سلسلة شرح المتون العلمية

شرح دروس البلاغة

تأليف

حفني ناصف — سلطان محمد

محمد دياب — مصطفى طموم

أحمد مصطفى

شرح

فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

مع أسئلة وأجوبة في

المعاني والبيان والبديع

للشيخ علي صقر

هذه الطبعة تعتمد في تصحيحات وتصويبات أحاديثها على أحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

إعتنى به

مركز المنبر للبحث العلمي

دار ابن الجوزي
القاهرة

دار ابن الهيثم
القاهرة

شرح دروس البلاغة

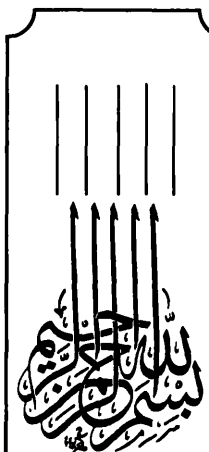

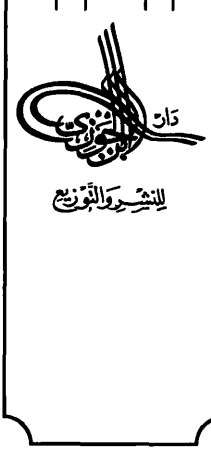

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٣٢١٣/٢٠٠٧م

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة

١٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٩٠٣/تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢٠

e_ mail: dar,_Ebn elgawzy @ yahoo. com

حقوق الطبع محفوظة ٢٠٠٦م لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو جزء منه.

ولا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي

Website: www.elmenbr.com

E-mail:info@ elmenbr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن شرف العلم لا يخفىٰ، وهو درجات ومنازل تعرف بما تتصل به، فَسموها من سموه، وقدرها من قدره؛ فلذا كان أعلاها علوم الدين التي تدرك بها معانيه وأسراره، وإنما شرفت وعظم قدرها لصلتها بالله رب العالمين؛ فهي العلوم الموصلة في الحقيقة إليه، وهذا معنىٰ أكبر من علوم الشريعة المقننة الاصطلاح؛ بل هو شامل لما يحقق من العلوم أسباب الوصول إلى الله عز وجل؛ فيندرج تحته كل علم أدىٰ إلىٰ هذه الحقيقة بأصله، كالعلوم التي يدرك بها مراد الله ورسوله ﷺ فهذه علوم باقية كطريق موصل إلىٰ الله وإن فسدت في طلبها النيات والمقاصد، علىٰ أنه ما من إنسان يسعىٰ لتحصيلها فيجد لذتها عند الطلب إلا وجرته بنفسها إلىٰ الإخلاص، كما قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله بعد فيه نية»[1].

ولقد اهتم العلماء بتدوين العلم؛ لكي يحفظ من الضياع؛ فمنهم من دونه نثرًا ومنهم من نظمه شعرًا، وقام آخرون بشرح هذه المتون، وكشف غامضها، وإيضاح غريبها، وتبيين مُشكلها؛ ونظرا لأهمية هذه الشروح؛ رأينا أن نضع بين يديك أخي الكريم سلسلة نفيسة لشروح هذه المتون العلمية، وسَمَّيناها «سلسلة شرح المتون العلمية»، ولم نقتصر فيها علىٰ جانب واحد من جوانب العلم؛ وإنما ضمت جوانب عديدة؛ فلم نقتصر فيها علىٰ متون العقيدة وحدها وإنما ضمت إلىٰ جانبها أصول التفسير وقواعده، وأصول الفقه، وعلم الفرائض، وعلم التجويد، ومصطلح الحديث، وعلوم اللغة.

---

(١) أخرجه الدارمي، برقم (٣٥٩) من قول مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وها نحن نقدم بين يدي القارئ الكريم كتاب «شرح دروس البلاغة» لأصحابها حفني ناصف، سلطان محمد، محمد دياب، مصطفىٰ طموم، في ثوب جديد وندعو الله مجتهدين أن ينفع به الطلاب، وأن يجازينا به الأجر والثواب، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير وهو علىٰ كل شيء قدير.

عملنا في الكتاب:

١- قمنا -بعون الله- بضبط المتن علىٰ أكثر من نسخة.

٢- قمنا بتقسيم المتن إلىٰ فقرات كل فقرة من فقراته تتضمن موضوع ما، ثم نفصل بين الشرح والمتن بكلمة «الشرح»، ثم نضع شرح الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين مبتدئين بـ«قال العلامة ...» في بداية شرحه؛ لكي يسهل علىٰ القارئ التمييز بين الشرح والمتن.

٣- قمنا بعزو الآيات إلىٰ أماكنها من السور بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤- قمنا بتخريج الأحاديث والآثار التي أوردها المصنف وإحالتها إلىٰ مواضعها من كتب السنة ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا؛ فإذا كان الحديث في «الصحيحين» أو في أحدهما اكتفينا بالعزو إليهما أو إلىٰ أحدهما؛ إذ إن الإشارة إليهما أو إلىٰ أحدهما كافية لإثبات الصحة عند جماهير أهل العلم، أما إذا كان الحديث خارج «الصحيحين» بينا صحة وضعف الحديث؛ وذلك بوضع حكم الشيخ الألباني في آخره وعزوه إلىٰ موضعه من كتب الشيخ، وذلك لمن أراد الوقوف عليه.

٥- قمنا بوضع عناوين لبعض فصول الكتب؛ وذلك لتقريب معناها ولتسهيل قراءتها والإفادة منها، وتم وضعها بين معقوفين لتمييزها عن العناوين التي من وضع المصنف.

هذا وقد بلغنا جهدنا في تصحيح نص الكتاب وضبطه ولا ندعي العصمة فمن وقف فيه علىٰ خطأٍ فلينبهنا عليه وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، ونسأل الله أن ينفع به الطلاب، وأن يجازينا به الأجر والثواب، وأن يغفر لمن قام بجمعه، ولمن عمل علىٰ ضبطه وإخراجه، ولمن قرأه وسمعه، ولكل من قال آمين، ونسأله أن يتقبل هذا العمل ويعفو عما فيه من تقصير وزلل.

مقدمة المؤلفين

الحمدُ لله الذي قَصَرَتْ عبارةُ البُلَغاءِ عن الإحاطة بمعاني آياتِهِ، وعَجَزَتْ أَلْسُنُ الفُصحاءِ عن بيانِ بدائعِ مصنوعاتِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن مَلَكَ طَرَفَيِ البلاغةِ إطنابًا وإيجازًا، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الفائِحين بهديِهم إلى الحقيقةِ مَجازًا.

وبعدُ، فهذا كتابٌ في فنونِ البلاغةِ الثلاثةِ، سَهْلُ المَنالِ، قريبُ المَأْخَذِ، بريءٌ مِن وَصْمَةِ التطويلِ المُمِلِّ، وعَيْبِ الاختصارِ المُخِلِّ، سَلَكْنا في تأليفِه أسهلَ التراتيبِ، وأوضحَ الأساليبِ، وجَمَعْنا فيه خُلاصةَ قواعدِ البلاغةِ؛ وأُمَّهاتِ مسائِلِها، وتَرَكْنا ما لا تَمَسُّ إليه حاجَةُ التلاميذِ من الفوائدِ الزَّوائِدِ؛ وُقوفًا عند حَدِّ اللَّازِمِ، وحِرْصًا على أوقاتِهم أن تَضيعَ في حَلِّ مُعَقَّدٍ، أو تلخيصِ مُطَوَّلٍ، أو تكميلِ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ به مع كُتُبِ الدروسِ النَّحْوِيةِ سُلَّمُ الدراسةِ العربيةِ في المدارسِ الابتدائيةِ، والتجهيزيةِ.

والفضلُ في ذلك كلِّه للأميرَيْن الكبيرَيْن نُبْلًا، والإنسانَيْن الكاملَيْن فَضْلًا، ناظرِ المعارف، المتجافي عن مِهادِ الراحةِ في خدمة البلاد، الواقفِ في مَنْفَعَتِها على قَدَمِ الاستعداد، صاحب العُطوفة: محمَّد زكي باشا، ووكيلِها ذي الأيادي البيضاءِ في تقدُّم المعارف نحو الصراط المستقيم إدارة شئونها على المحور القويم، صاحب السعادة: يعقوب أرتين باشا؛ فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام المفيد وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد.

حِفْني ناصف، محمد دياب، سلطان محمد، مصطفى طمُّوم.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

* قوله: «الحمد لله الذي قصرت عبارة البلغاء عن الإحاطة بمعاني آياته»:

بسم الله الرحمن الرحيم، مثل هذا الأسلوب يسميه العلماء «براعة الاستفتاح»؛ يعني: أن الإنسان يستفتح بكلام يدل على الموضوع، فهنا يقول: «عبارة البلغاء» إشارةً إلى أن هذا الفن: هو علم البلاغة والفصاحة، وقال أيضًا: «عن بيان بدائع مصنوعاته» بدائع: إشارة إلى علم البديع؛ لأن هذا الفن يعود على هذا الشيء.

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

الفصاحةُ في اللُّغة تُنْبِئ عن البيانِ والظُّهورِ. يقال: «أَفْصَحَ الصَّبِيُّ في مَنْطِقِه إذا بانَ وظَهَرَ كلامُه».

وتَقَعُ في الاصطِلاحِ وَصْفًا للكلمِة، والكلامِ، والمُتَكَلِّمِ.

١ - ففصاحةُ الكلمِة: سلامتُها مِن تنافُرِ الحروفِ، ومخالَفةِ القياسِ، والغرابِة.

أ - فتنافُرُ الحروفِ: وَصْفٌ في الكلمة يُوجِبُ ثِقْلَها على اللِّسانِ، وعُسْرَ النُّطقِ بها، نحو: «الظَّشّ» للموضع الخَشِن، و«الهُعْخُع» لنباتٍ ترعاه الإبلُ، و«النَّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافي، و«المُسْتَشْزِر» للمَفْتُول.

ب- ومخالَفَة القياسِ: كونُ الكلمِة غيرَ جاريةٍ على القانونِ الصَّرْفِيِّ، كجَمْعِ «بُوق» على «بُوقَات» في قول المُتَنَبِّي [الطويل]:

فإنْ يَكُ بعضُ الناسِ سَيْفًا لدولةٍ ... ففي الناسِ بُوقَاتٌ لها وطُبُولُ

إذِ القياسُ في جَمْعِه للقِلَّةِ: «أَبْوَاق»، وكـ «مَوْدِدَة» في قوله [الرجز]:

إنَّ بَنِيَّ لَئِامٌ زَهَدَهْ ... ما لِيَ في صُدُورِهِمْ مِنْ مَوِدَّهْ

والقياس: «مَوَدَّة» بالإدغام.

ج - والغَرابةُ: كونُ الكلمِة غيرَ ظاهرةِ المعنى، نحو: «تَكَأْكَأَ» بمعنى: اجتَمَعَ، و«افْرَنْقَعَ» بمعنى: انْصَرَفَ، و«اطْلَخَمَّ» بمعنى: اشْتَدَّ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «الفصاحة في اللغة تُنبئ عن البيان والظهور...»:**

إذًا؛ موضوع الفصاحة ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلِّم، كل منها يقال: «**فصيح**»، وفسرها المؤلف.

❁ **قوله «١ - ففصاحة الكلمة...» سلامتها من ثلاثة أمور:**

الأول: تنافر الحروف؛ يعني: بأن تكون حروفها متآلفة غير متناكرة، والتآلف: معناه: أن يسهل النطق بها مجتمعة، والتنافر: أن يصعب النطق بها مجتمعة.

الثاني: مخالفة القياس؛ يعني: القياس النحوي، فما خالف القياس النحوي أوَ الصرفي فإنه غير فصيح.

الثالث: الغرابة وصل الكلام بأن يكون علىٰ الأسلوب العربي والمتكلم به يكون فصيحًا ينطق بالفصاحة:

❁ **قوله «الهُعْخُع»:**

هذه فيها تنافر حروف؛ لأنه يصعب النطق بها؛ إذ أن كل حرف لا يتلاءم بما بعده، «**الظَّشُّ**» أهون منها؛ يعني «**الظش**» ليس فيه تنافر كثير.

و«**النقاخ**» للماء العذب الصافي، و«**المُسْتَشْزِر**» للمفتول.

❁ **قوله «الظَّش، الهُعْخُع، النقاخ، المستشزر»:**

هذه كلها كلمات متنافرة، لكن «**النُّقاخ**» ليس فيه تنافر إلىٰ ذاك، إلا أنها كلمة مستهجنة؛ بمعنىٰ: أن النفس لا ترتاح لها؛ فالماء الصافي العذب لا ينبغي أن يوصف بهذا الوصف.

❁ **قوله «ب- ومخالفة القياس...»:**

إذًا؛ الفرق في موضع الإدغام يعتبر غير فصاحة لمخالفة القياس، كذلك «**أبواق**» إذا قال «**بوقات**» فهذا مخالف، للقياس؛ لأن القياس أن يُجمع علىٰ «**أبواق**» لا علىٰ «**بوقات**».

❁ قوله «والغرابة...»؛

يعني: لو قال إنسان: «**اليوم اطْلَخَمَّ الحرُّ**»؛ يعني: اشتد، هذا غريب؛ يعني: غير معهود أن يعبر بكلمة «**اطْلَخَمَّ**» عن «**اشْتَدَّ**»، كذلك «**تَكَأْكَأَ**» بمعنىٰ: اجتمع، وهذا أيضا غريب، فإذا عبر الإنسان عن «**اجتمع**» بـ «**تكأكأ**» قيل: الكلام غير فصيح؛ لغرابة الكلمة.

إذًا:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعد غيرَ فصاحة.

٢- كونها علىٰ خلاف القياس -كالفك في موضع الإدغام- أيضا غير فصيح؛ لأنها مخالفة للقياس.

٣- غرابتها بحيث لا تستعمل إلا قليلًا، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته رَحِمَهُ اللَّهُ [البسيط]:

وطالمـــا مَـــرَّ بي كلـــبٌ وفي فَمِـــهِ ثـــورٌ ولكنَّـــه ثَـــورٌ بـــلا ذَنَـــبِ

ما الذي يفهم من هذا؟ كيف ثور؟ ثور في فم كلب؟ وثور مقطوع الذنب أيضا غير معلوم، الثور: هو قُرص البَقْلِ، البقل: الذي يُصنع منه المخيط، هذا يُسمَّىٰ ثورًا في اللغة العربية، لكن التعبير عنه بكلمة «ثور» غريب، فيعُتبر هذا غير فصيح.

٢ - وفصاحةُ الكلامِ: سلامتُه مِن تنافُرِ الكلماتِ مُجْتَمِعَةً، ومِن ضَعْفِ التأليفِ، ومِن التعقيدِ، مع فصاحةِ كلماتِه.

أ - فالتنافُرُ: وَصْفٌ في الكلام يُوجِبُ ثِقَلَه على اللِّسان وعُسْرَ النُّطقِ به، نحو [الكامل]:

..... في رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعَ مِثْلُكَ يَشْرَعُ

..... وليس قُرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرُ

[الطويل]:

كريمٌ مَتَىٰ أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرَىٰ معي وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وحْدِي

ب - وضَعْفُ التأليفِ: كَوْنُ الكلامِ غيرَ جارٍ على القانونِ النَّحويِّ المشهورِ، كالإضمار قبل الذِّكْرِ لفظًا ورُتبةً في قولِه [البسيط]:

جَزَىٰ بَنُوهُ أبا الغَيْلانِ عَنْ كِبَرٍ وحُسْنِ فعْلٍ كما يُجْزَىٰ سِنِمَّارُ

ج - والتعقيدُ: أن يكونَ الكلامُ خَفِيَّ الدَّلالةِ على المعنىٰ المرادِ.

والخَفَاءُ:

إمَّا من جِهَةِ اللَّفظِ؛ بسببِ تقديمٍ أو تأخيرٍ أو فَصْلٍ، ويُسمَّىٰ تعقيدًا لفظيًّا، كقول المتنبي [الكامل]:

جَفَخَتْ وَهُمْ لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ شِيَمٌ على الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

فإنَّ تقديرَه: جَفَخَتْ بهم شِيَمٌ دلائلُ على الحَسَبِ الأَغَرِّ، وهم لا يَجفَخون بها.

وإمَّا من جِهَةِ المعنىٰ؛ بسببِ استعمالِ مَجازاتٍ وكِناياتٍ لا يُفهَم المرادُ بها، ويُسمَّىٰ تعقيدًا معنويًّا، نحو قولِك: «نَشَرَ المَلِكُ ألسنتَه في المدينةِ» مُريدًا جواسيسَه، والصَّواب: «نَشَرَ عيونَه»، وقولِه [الطويل]:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لِتَقْرَبُوا ... وتَسْكُبُ عينايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

حيثُ كَنَىٰ بالجُمود عن السُّرور، مع أنَّ الجُمودَ يُكْنَىٰ به عن البُخْلِ بالدموع وَقْتَ البُكاءِ.

٣ - وفصاحةُ المتكلِّم: مَلَكةٌ يُقْتَدَرُ بها علىٰ التعبير عن المقصود بكلامٍ فصيحٍ في أيِّ غَرَضٍ كان.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «٢- وفصاحة الكلام...»:

الآن لو نظرنا إلى الكلمات: «عَرْش» و«شَرْع» و«يَشْرَع» لوجدناها كلمات غير متنافرة الحروف، لكن جمع بعضها إلى بعض يوجب التنافر، فيكون عدم الفصاحة في الكلام، كذلك أيضا كلمة «قبر» و«قرب» ليس فيها تنافر بالنسبة للكلمة الواحدة، لكن بالنسبة لضم الكلمات بعضها إلى بعض يكون تنافر، فيقال: الكلام غير فصيح لتنافر كلماته.

❁ قوله

كـريمٌ مَتَـىٰ أَمْدَحْـهُ أَمْدَحْـهُ والـوَرَىٰ معـــي وإذا مـــا لُـــمْتهُ لُـــمْتهُ وحْـــدِي

هذا البيت قوي المعنى؛ يعني: «أني إذا مدحتُ فالورى كلهم يمدحونه، وإذا لمت لم يلمه أحد»، البيت قوي جدًّا في الثناء على الممدوح، لكنه من جهة البلاغة غير فصيح؛ لأن كلماته متنافرة.

❁ قوله «ب- وضعف التأليف...»:

انتبه لكلمة «المشهور»، لو كان جارٍ على القانون النحوي المتفق عليه فهذا لا يصلح أصلًا؛ فلا يقال: إنه كلام غير فصيح، بل يقال: إنه غير كلام وغير صحيح، مثلًا، لو قال: «قام زيدًا» هذا غير جار على القانون؛ القانون برفع «زيد»، لكن هل هذا القانون مُجْمَعٌ عليه أو مُخْتَلِفٌ فيه؟ مجمع عليه، إذًا؛ هذا يعد كلامًا فاسدًا، لا يقال: إنه كلام غير فصيح، بل يقال: إنه كلامٌ فاسدٌ، تركيبٌ لا تُجيزه اللغة بأي حال من الأحوال.

أما عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبةً فهذا فيه خلاف: هل هو جائز أو لا؟؛ فلذلك كان عود الضمير إلى متأخر لفظًا ورتبةً يجعل الكلام غير فصيح؛ لأنه غير جارٍ على القانون المشهور.

❁ قوله «بَنُوهُ أبا الغيلان»:

بنوه: الهاء متصلة بالفاعل، وهي تعود على المفعول به، فهي عائدة على متأخر لفظًا ورتبةً، وهذا مخالف للقانون المشهور، إذ أن المشهور أن الضمير لا يعود على متأخر لفظًا ورتبةً، كما مر

علينا ذلك في أصول التفسير.

«عن كِبَرٍ»؛ يعني: إذا كبر وتقدمت به السن.

«وحُسْنِ فِعْلٍ»؛ يعني: أحسن إلىٰ أولاده.

«كما يجزىٰ سنمار»: سنمار: هذا رجل بنىٰ قصرًا عظيمًا جدًّا جدًّا لأحد الملوك لا يُماثله قصر، فلما انتهىٰ من القصر ومن صُنعه ولم يبق إلا أن يسكنه الملك؛ صعد الملك بالباني الذي هو سنمار بعد أن أحسن بناء هذا القصر جزاؤه أن يرمىٰ به من فوق، وعند العوام مَثَلٌ يقارب لهذا، يقول: «رجل حج علىٰ بعير من بلده حتىٰ رجع إليه علىٰ هذا البعير، فلما وصل إلىٰ البلد ذبحه وجعله وليمة لقدومه من السفر»، فيقول العوام: «جزاء ناقة الحج ذبحها»، هذا كلام العوام، وأما هو من حيث الشرع لا بأس به، رجل ركب البعير وحج به ورجع وهو في غنىٰ عنه فذبحه.

❁ قوله

جَفَخَتْ وَهُمْ لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ شِيَمٌ علىٰ الْحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

أولًا ما معنىٰ «جَفَخَتْ»؟! هذه فيها شيء من نقص البلاغة وهو الغرابة؛ لهذا: هذا لا يستعمل بهذا المعنىٰ.

يقول: «جَفَخَتْ»؛ أي: علت، «وهم لا يجفخون بها بهم» كلام معقد، المعنىٰ: جفخت بهم وهم لا يجفخون بها، فـ «بهم» متعلقة بـ «جفخت»، و«بها» متعلقة بـ «يجفخون»، والمعنىٰ: أن هذه الشيم علت بهم وهم لا يعلون بها؛ لأنهم أشرف منها وأعلىٰ منها.

❁ قوله «نَشَرَ الملكُ ألسنتَه في المدينةِ...»:

الآن، التعقيد إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنىٰ، فإذا كان الكلام معقدًا فليس بفصيح، سواء كان التعقيد لفظيًّا، كالتقديم والتأخير الذي يصعب به فهم المعنىٰ أو معنويًّا كأن يأتي بكلمات بعيدة عن المراد.

«نَشَرَ الملكُ ألسنتَه في المدينةِ»، لو أراد «ألسنته»: «خطباءه»؛ لكان فصيحًا غير معقد، لكن يريد جواسيسه، وهذا غير صحيح بعيدُ المعنىٰ، إذ أن الجواسيس يُسمَّون عيونًا؛ لأن الجاسوس ينظر في

الملامح وفي الأشياء التي تعد قرائن، فالمهم أنه إذا قال: «نشر الملك ألسنته في المدينة» يريد الجواسيس؛ فهذا الكلام غير فصيح؛ لأن فيه تعقيدًا معنويًّا، إذ أن الألسنة لا يعبر بها عن الجواسيس.

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لِتَقْرَبُوا وتَسْكُبُ عينايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

هذا البيت معقد تعقيدًا معنويًّا، «سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لِتَقْرَبُوا»؛ لأنه إذا أبعد تبعوه، فهو كلما أبعد قربوا منه، «وتَسْكُبُ عينايَ الدُّموعُ لتَجْمُدَا»وهذا غير صحيح؛ لأنه يريد «لتسكب عيناي الدموع»: لأُسَرَّ، هذا لا يتناسب مع قوله: «لتَجْمُدَا».

إذًا؛ سبق لنا فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، بقي فصاحة المتكلم.

* قوله: «وفصاحة المتكلم...»:

فصاحة المتكلم نوعان:

١- غريزة: يمن الله بها على من يشاء من عباده، فيجعله فصيحًا قوي الكلام قوي الإقناع.

٢- ومكتسبة: وذلك بالتمرن على الخطابة، ولو أن تخرج إلى البر وتستحضر الأشجار حولك كأنهم رجال ثم تخطب فيهم، فإن شئت فقل: أيها الناس! وإن شئت فقل: أيها الأشجار! المهم أن تتعود على الخطابة.

فالفصاحة إذًا؛ نوعان: فصاحة غريزة يَمُنُّ الله بها على من يشاء من عباده، فتجد المتكلم طالب علمٍ صغيرًا ومع ذلك يخطب الخطبة البليغة العظيمة، وتجد بعض الناس عالمًا كبيرًا وفقيها نِحريرًا ومع ذلك لا يكاد يتكلم إلا كلامًا معقدًا ركيكًا، وأيضًا بعض الناس يكون فصيحًا في الكتابة غير فصيح في الخطابة، وقد حَكَىٰ لنا شيخُنا، تلميذ شيخنا ابن سعدي رحمهما الله أن الشيخ محمد رشيد رضا صاحب القلم السَّيَّال المعروف؛ كان إذا تكلم لا يتناسب كلامه مع كتابته، بل كلامه ضعيف جدًّا، وإن شئت أن تعرف ذلك فانظر إلى كلام ابن الجوزي الواعظ المشهور، وإلى كلام ابن تيمية؛ تجد بينهما فرقًا من حيث التأثير لا من حيث القوة المعنوية والاستدلال والأدلة، لا؛ لكن من حيث التأثير، ابن الجوزي يهز عشرات الآلاف في خطبته، وربما يموت بعض الناس من شدة تأثره، وابن تيمية لا يبلغ هذا المبلغ.

❁ وقول المؤلف «في أي غرض كان»:

هذه نقطة مهمة؛ لأن بعض الناس يكون فصيحًا في غرض من الأغراض وغير فصيح في غرض من الأغراض، تجده مثلًا إذا تكلم في باب الأصول يكون فصيحًا جيدًا، وإذا تكلم في فقه يكون رديئًا، والعكس.

والمهم أن نعرف أن فصاحة المتكلم هو قدرته على التعبير عما في ضميره بكلام فصيح، وعرفتم الكلام الفصيح أنه يكون فصيحًا في نفسه وفصيحًا في كلماته؛ يعني: اشتمل على فصاحة الكلمة وفصاحة التركيب.

والبلاغةُ في اللغة: الوصولُ والانتهاءُ: يقال: «بَلَغَ فلانٌ مُرادَه»: إذا وَصَلَ إليه، و«بَلَغَ الرَّكْبُ المدينةَ»: إذا انتهىٰ إليها.

وتقع في الاصطلاح وَصْفًا للكلام والمتكلِّم.

١ - فبلاغةُ الكلامِ: مطابَقتُه لِـمُقْتَضَىٰ الحالِ، مع فصاحتِه.

والحالُ -ويُسمَّىٰ بالمقام-: هو الأمرُ الحاملُ للمتكلِّم علىٰ أن يُورِدَ عبارتَه علىٰ صورةٍ مخصوصةٍ.

والمُقْتَضَىٰ - ويُسمَّىٰ الاعتبارَ المناسبَ: هو الصُّورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارةُ، مثلًا: المدحُ حالٌ يدعو لإيراد العبارة علىٰ صورة الإطناب، وذكاءُ المخاطَب حالٌ يدعو لإيرادها علىٰ صورة الإيجاز، فكُلٌّ من المدحِ والذَّكاءِ حالٌ، وكُلٌّ من الإطناب والإيجاز مُقْتَضًىٰ، وإيرادُ الكلامِ علىٰ صورةِ الإطنابِ أو الإيجازِ مطابَقةٌ للمُقْتَضَىٰ.

٢ - وبلاغةُ الـمُتكلِّمِ: مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها علىٰ التعبير عن المقصود بكلامٍ بليغٍ، في أيِّ غَرَضٍ كان.

ويُعرَفُ التنافُرُ: بالذَّوقِ، ومخالَفةُ القياسِ: بالصَّرْفِ، وضَعْفُ التأليفِ والتعقيدُ اللَّفظيُّ: بالنَّحْوِ، والغرابةُ: بكثرةِ الإطلاعِ علىٰ كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُ: بالبيان، والأحوالُ ومُقتضَياتُها: بالمعاني.

فَوَجب علىٰ طالبِ البلاغةِ معرفةُ اللُّغةِ والصرفِ والنحو والمعاني والبيان، مع كَوْنِه سليمَ الذَّوق، كثيرَ الاطلاعِ علىٰ كلامِ العربِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «والبلاغة في اللغة...»:

هنا سقط شيء من الفصاحة، وهو فصاحة الكلمة؛ لأن البلاغة لا تكون إلا في كلام مركب بخلاف الفصاحة، لذلك أسقط هنا فصاحة الكلمة، ولكن مع ذلك لا بد أن يكون الكلام البليغ فصيحًا، فالفصاحة ملازمة لنا في كل شيء، إذا فقدت الفصاحة فقدت البلاغة، وإن فقدت البلاغة فقد تُفْقَدُ الفصاحة وقد لا تُفْقَدُ.

والبلاغة تكون وصفًا للكلام والمتكلم، لا للكلمة؛ لأن الكلام إنما يكون في الجمل المركبة لا في المفردات.

❁ قوله «مطابقته لمقتضىٰ الحال»:

هذه مهمة جدًّا، وهي من الحكمة، لو رأيت إنسانًا غضبان متكدرًا تعبان؛ هل تورد عليه من الكلام ما يزيده غمًّا وهمًّا؟ لا، لا يمكن، هذه ليست بلاغة، إنما تخاطبه بما تقتضيه حاله.

❁ قوله «مع فصاحته»:

وهو لا يكون فصيحًا إلا بفصاحة كلماته.

❁ قوله «لإيرادها»:

أي: إيراد العبارة.

❁ قوله «للمقتضىٰ»:

أي: لمقتضىٰ الحال الإنسان الذكي هل يحتاج أن تُرَدِّدَ عليه الكلام وتُطَوِّل له الكلام؟ لا؛ لأنه ذكي، لو تُرَدِّدَ عليه انتقدك، وفي حال المدح طَوِّلِ العبارة، أَكْثِرْ من المدح؛ ولذلك تجد أن النبي ﷺ حين يسأل الله يسأل بإطناب وتطويل: «**الله اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته وسره، وأوله وأخره**»[1]، «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٣)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الدعاء في الركوع والسجود، برقم (٨٧٨)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعلم به مني» (٢) كل هذه إطناب؛ لأن المقام يقتضيه، إذ أنك تُخاطب من؟ تُخاطب أحب من تُخاطبه، وهو الله ﷻ.

في دعاء الميت: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا» (٣)، مع أنه يغني عن كل هذا: «لحينا وميتنا»؛ لأن كل هؤلاء إما أحياء وإما أموات، فلكل مقام مقال، لو قلت لذكي: «قُمْ قُمْ قُمْ»؛ فسيقول: أنا بليد تردد علي كلمة «قُمْ»؟!!، أنا لو أريد أن أقوم قمت، لكن لا سمعًا ولا طاعةً.

* **قوله** «وبلاغة المتكلم...»

نحن لو أردنا أن نأخذ بكلام المؤلف هذا كان من الآن رجعنا، إذا كان علم البلاغة يتطلب كل هذا: اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وكون الإنسان مِنَّا سليم الذوق كثير الإطلاع على كلام العرب؛ معناه أن نقول: من الآن رجعنا ولا داعي للبلاغة، لكني أقول لكم: هذا غير صحيح أبدا، وستعلمون ذلك -إن شاء الله من دراسة هذا الفن، هذا الفن؛ الإنسان بذوقه يشتاق إليه، وتجده نشيطًا دائمًا في قراءته، وسيتبين إن شاء الله.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، برقم (٧٧١)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم (٧٦١)، وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: الدعاء للميت، برقم (٣٢٠١)، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، برقم (١٤٩٨)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وصححه الألباني في «المشكاة»، برقم (١٦٧٥).

علم المعاني

هو عِلْمٌ يُعرَفُ به أحوالُ اللفظِ العربيِّ التي يُطابِق بها مُقتضَىٰ الحالِ، فَتَخْتَلِفُ صُوَرُ الكلامِ لاختلافِ الأحوالِ، مثالُ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإنَّ ما قبل ﴿أَمْ﴾ صورةٌ من صُوَرِ الكلامِ تُخالَفُ صورة ما بعدها؛ لأنَّ الأُولَىٰ فيها فِعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمجهول، والثانيةَ فيها فَعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمعلوم، والحالُ الدَّاعي لذلك نِسْبَةُ الخير إليه سبحانه وتعالىٰ في الثانية، ومَنْعُ نِسْبَةِ الشَّرِّ إليه في الأُولَىٰ.

ويَنْحَصِرُ الكلامُ هنا علىٰ هذا العِلْمِ في سِتَّةِ أبوابٍ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «علم المعاني...»:

هذا من البلاغة، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هذا يقوله الجن، ولم يقولوا: «**أشرٌّ أرادَ الله بمَن في الأرض**»، مع أن الإرادة إرادة الله، لكن تحاشيًا لإضافة الإرادة إلى الله ﷻ قالوا: ﴿أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فبنوا الفعل يقول المؤلف: «**للمجهول**» ونحن نقول: «**لما لم يسم فاعله**» كما عبر ذلك ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الألفية وكما هو واضح، فإن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] الخالق معلوم، لكن بُني الفعل لما لم يسم فاعله.

﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هذه الجملة مطابقة لمقتضى الحال؛ لأن مقتضى الحال ألا تضيف الشر إلى الله، كما قال النبي ﷺ: «**الشر ليس إليك**»[٤]، أما الخير فيضاف إلى الله؛ لأنه خير، ولهذا قالوا ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ولم يقولوا: «أم أرادَ الله»؛ لأن «**الرَّبَّ**» أخص فيما يتعلق بأفعال الرَّب من الإله.

(٤) سبق تخريجه برقم (٢).

الباب الأول: الخبر والإنشاء

كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنشاءٌ.

والخَبَرُ: ما يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه: إنَّه صادِقٌ فيه أو كاذِبٌ، كـ «سافَرَ محمَّدٌ» و«عِلِيٌّ مُقيمٌ».

والإنشاءُ: ما لا يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه ذلك؛ كـ «سافِرْ يا محمَّدُ»، و«أَقِمْ يا عِلِيُّ»، والمرادُ بصِدْقِ الخبرِ: مطابَقتُه للواقع، وبكَذِبِه: عدمُ مطابَقتَه له.

فجُمْلَةُ «عِلِيٌّ مُقيمٌ» إن كانت النِّسْبَةُ المفهومةُ منها مطابِقَةً لِمَا في الخارج فصِدْقٌ، وإلَّا فكَذِبٌ.

ولكلِّ جملةٍ رُكنانِ: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به.

ويُسمَّىٰ الأوَّلُ: مُسنَدًا إليه، كالفاعلِ ونائِبِه، والمبتدإِ الذي له خبرٌ.

ويُسمَّىٰ الثاني: مُسنَدًا، كالفِعْل، والمبتدأ المكتفِي بمرفوعِه.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنشاءٌ»:**

صحيح، لا يخرج عن هذا، ليس هناك كلام ليس خبرًا ولا إنشاءً، بل كل كلام في الدنيا - عربيًّا كان أو أعجميًّا- فإنه إما خبر وإما إنشاء.

❁ **قوله «والخَبَرُ...»:**

وهنا «أو كاذب» للتنويع، ليس معناه: «أنَّ كلَّ خبرٍ يَصِحُّ أن نقول: إنَّه صادق أو كاذب»، بل إمَّا أن يوصف بأنه صادق أو يوصف بأنه كاذب.

أخبار الله ﷻ ورسوله لا يمكن أن توصف بأنها كاذبة، وأخبار مسيلمة الكذاب وأشباهه لا يمكن أن توصف بالصدق؛ لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلًا، بل بالنظر إلى المتكلِّم، فامتناع الصدق في كلام مسيلمة وأشباهه فيما يدعيه من النبوة لا لأن الكلام لا يصح أن يوصف بالصدق؛ لأنه لو قاله الرسول محمد ﷺ لوصف بالصدق، لكن باعتبار أن هذا المتكلِّم به كاذب، وخبر الله ورسوله لا يمكن أن يوصف بالكذب؛ لأنه خبر الله ورسوله.

واحد قال لك: «سافَرَ محمدٌ»، هل يصحُّ أن تقول: «صدقْتَ»، إذا سافر صدق، وقال الثاني: «عليٌّ مُقيم» هل يصح أن نقول: «إنه كاذب أو صادق»، يصح، إن كان مقيما حقًّا فهو صادق، وإن كان غير مقيم فهو كاذب.

❁ **قوله «والإنشاء...»:**

لو قال لك إنسان -وأنت اسمك محمد-: «سَافِرْ يا محمد» فهل يصلح أن تقول: «صدقْتَ»، وهل يصلح أن تقول: «كذبت»، لا، بل تقول: «أَبْشِرْ» نعم، أو تقول: «لا»، كذلك «أَقِمْ يا عليُّ» نفس الشيء.

❁ **قوله «فجملة «عليٌّ مُقيمٌ إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقة لما في الخارج»:**

المراد «بالخارج»: الواقع، مطابقة لما في الواقع.

❁ **قوله «ولكل جملة ركنان...»:**

هذه أيضًا من القواعد، كل جملة لها ركنان:

١- محكوم عليه.

٢- ومحكوم به.

ويُسمَّىٰ الأول: **مُسنَدًا إليه**،والثاني: **مسندًا**.

نضرب مثلًا: «**قام زيدٌ**» هذه جملة فيها محكوم به ومحكوم عليه.

- **المحكوم به**: قام: المسند.

- **والمحكوم عليه**: زيد: المسند إليه.

يسمىٰ الأول: مسندًا «**المحكوم به**» ويسمىٰ الثاني: مسندًا إليه «**المحكوم عليه**»؛ ولهذا تقول في «**قام زيد**»: قام: مسند إلىٰ زيد، وتقول: أسندت القيام إلىٰ زيد، إذًا؛ كل جملة من خبرية أو إنشائية لا بد فيها من ركنين.

مَثِّل بعدَّة أمثلة:

- **كالفاعل ونائبه**: مسند إليه.

- **المبتدأ الذي له خبر**: مسند إليه، «**زيدٌ قائمٌ**»: زيد: مسند إليه، قائم: خبر مسند.

- الفعل، واضح: «**قام زيد**».

- المبتدأ المكتفي بمرفوعه، مثل: «**أقائمٌ زيدٌ**» قائم: مبتدأ، وزيد: فاعل أغنىٰ عن الخبر.

الكلام على الخبر

الخبرُ إمَّا أن يكون جُملةً فعليَّةً أو اسميَّةً.

فالأُولى: موضوعةٌ لإفادَةِ الْحُدوثِ في زَمَنٍ مخصوص مع الاختصار، وقد تُفيدُ الاستمرارَ التَّجدُّدِيَّ بالقرائِنِ إذا كان الفِعْلُ مضارعًا، كقول طريف [الكامل]:

أَوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكَاظَ قبيلةٌ ... بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

والثانيةُ: موضوعةٌ لُمجَرَّدِ ثُبوتِ الْمُسْنَدِ للمُسْنَدِ إليه، نحو: «الشَّمسُ مضيئةٌ» وقد تُفيدُ الاستمرارَ بالقرائِنِ إذا لم يَكُنْ في خبرِها فَعْلٌ، نحو: «العِلْمُ نافِعٌ».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «الخبرُ إمَّا أن يكون جُملةً فعليَّةً أو اسميَّةً...»:

الآن أفادنا المؤلف أن الخبر إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

- **الفعلية**: يراد بها ثبوت مدلولها في زمن معين.
- **والاسمية**: يراد بها ثبوت مدلولها على وجه الاستمرار.

ولهذا قالوا: «**الجملة الفعلية تفيد الحدوث، والجملة الاسمية تفيد الاستمرار**»، وهذا أيضًا من البلاغة، كلما وجدت جملة اسمية فهي للاستمرار، وكلما وجدت جملة فعلية فهي للحدوث لا تقتضي الاستمرار، لكنها مع ذلك قد تقتضي بالقرائن، ومنها: إذا كان الفعل مضارعًا، فإن المضارع يفيد الاستمرار غالبًا، مثل: «**كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بـ «سبح» و«الغاشية»**»[٥].

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، برقم (٨٧٨)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يقرأ به في الجمعة، برقم (١١٢٢)، وغيرهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الغرض من إلقاء الخبر

والأصلُ في الخبر أن يُلْقَىٰ لإفادةِ المخاطَبِ الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجملةُ، كما في قولِنا: «حَضَرَ الأميرُ»: أو لإفادة أن المتكلِّمَ عالمٌ به نحو: «أنت حضرت أمس»، ويُسمَّىٰ الحُكْمُ فائِدةَ الخبرِ، وكَوْنُ المتكلِّمِ عالِمًا به: لازِمَ الفائِدةِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله: «والأصل في الخبر أن يلقىٰ لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة»:

الأصل في الخبر أن يلقىٰ لإفادة المخاطب ما دل عليه، كقولك: «حضر الأمير»، فإن قولك: «حضر الأمير» يراد به إفادة المخاطب بحضور الأمير، هذا هو الأصل.

وقد يُلْقَىٰ لإفادة أن المتكلِّم عالمٌ به، نحو أن تقول للمخاطب: «لقد حضرت أمس وحصل كذا وكذا»، يسمىٰ الأول: فائدة الخبر، ويسمىٰ الثاني: لازم الفائدة، وهذا شيء مصطلح عليه عندهم، ولكن هذا مضمون الكلام.

أضرب الخبر

حيثُ كان قَصْدُ المُخْبِرِ بخبرِه إفادةَ المخاطَبِ؛ ينبغي أن يُقْتَصَرَ مِن الكلامِ على قَدْرِ الحاجةِ؛ حَذَرًا مَن اللَّغوِ.

فإن كان المخاطَبُ خاليَ الذِّهْنِ مِن الحُكْمِ أُلْقِيَ إليه الخبرُ مُجَرَّدًا عن التأكيد، نحو: «أخوك قادمٌ».

وإن كان مُتَرَدِّدًا فيه طالِبًا لمعرفتِه حَسُنَ توكيدُه، نحو: «إنَّ أخاك قادمٌ».

وإن كان مُنْكِرًا له وَجَبَ توكيدُه بمُؤكِّدٍ أو مُؤكِّدَيْنِ أو أَكْثَرَ، حَسَبَ درجةِ الإنكارِ، نحو: «إنَّ أخاك قادمٌ» أو «إنَّه لَقَادمٌ» أو «والله إنَّه لَقَادمٌ».

فالخبرُ بالنسبة لِخُلُوِّهِ من التوكيدَ واشتمالِه عليه ثلاثُة أَضْرُبٍ كما رأيتَ، ويُسمَّىٰ الضَّرْبُ:

الأولُ: ابتدائيًّا.

والثاني: طَلَبيًّا.

والثالثُ: إنكاريًّا.

ويكون التوكيدُ بـ «أنَّ»، و«إنَّ» ولام الابتداءِ، وأَحْرُفِ التنبيهِ، والقَسَمِ، ونونَي التوكيدِ، والحروف الزائدةِ، والتكريرِ، و«قد»، و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «فالخبرُ بالنسبة لِخُلُوِّهِ من التوكيدَ...»:

الأصل أن يلقىٰ الخبر خاليًا من التوكيد؛ لأن التوكيد؛ زيادةٌ في المبنَىٰ، والزيادة التي لا فائدة منها تَرْكُها فائدة.

- فإذا كنت تخاطب رجلًا خالي الذهن فالأحسن ألا تؤكِّد؛ بل تقول: «أخوك قادمٌ»، لماذا؟ لأنه خالي الذهن، ولا حاجة أن تؤكِّد.

- وإن كان متردِّدًا حَسُنَ أن تؤكِّده؛ ليزول عنه التردد، كإنسان شكَّ في مفاد الخبر فتؤكِّده له.

- وإن كان مُنكِرًا يقول: «هذا لم يكن» فإنه يجب أن تؤكِّده، إما بمؤكِّده أو مؤكِّدين أو ثلاثة، حسب قوة الإنكار، إن كان منكرًا إنكارًا عظيمًا فبمؤكِّدين أو ثلاثة، بل ولو زاد علىٰ ذلك حتىٰ يُقِرَّ، وأيضًا إذا رأيته منكرًا أكثر اضْرِبْ له الأمثال التي تبين إمكان صدق الخبر.

- «إن أخاك قادمٌ» لمن أنكر، ولكن ليس إنكارًا شديدًا.

- «إن أخاك لقادمٌ» لمن أنكر إنكارا متوسطًا.

- «والله إن أخاك لقادمٌ» لمن أنكر إنكارا شديدًا.

هذا هو الأصل، وسيأتيك ما يخالف الأصل إن شاء الله تعالىٰ.

❁ قوله «ويكون التوكيد بـ «أنَّ»، «إنَّ»...»:

هذه أدوات التوكيد.

١ - «إنَّ» و«أنَّ»، سواءٌ كانتا مخففتين أو مثقلتين؛ فقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]هذه مؤكدة بمؤكدين: «إنْ» و«اللام».

٢ - لام الابتداء، مثل أن تقول: «لَزيدٌ قائمٌ»، اللام هنا ليست للقسم ولكنها للابتداء، وتفيد التوكيد.

٣ - وأحرف التنبيه، مثل: «يا» «لا»: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١]

٤ - والقسم

٥ - ونونا التوكيد؛ يعني: المخففة والمثقلة، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، الأولىٰ: مثقلة، والثانية: مخففة.

٦ - والحروف الزائدة، الحروف الزائدة لا يصح أن نقول: إنها زائدة بمعنىٰ أنها لغوٌ لا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب، لكنها في المعنىٰ مفيدة للتوكيد، فيصحُّ أن تقول: «هي زائدةٌ زائدٌ»، ما هذا؟!، نعم، الأولىٰ: لازمة، والثانية: متعدية؛ لأن «زاد» و«نقص» تستعملان متعديتين ولازمتين، تقول: «نقصَ المالُ» هذه لازمة، وقال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٤] هذه متعدية.

إذًا؛ نقول: الحروف الزائدة زائدةٌ زائدةٌ.

٧ - والتكرير، مثل أن تقول: «قُمْ قُمْ» أو أن تقول: «جاء زيدٌ جاء زيدٌ»، هذا يسمَّىٰ توكيدًا لفظيًّا، قال ابن مالك:

وما من التوكيد لفظيٌّ يجي ... مكررا كقولك: أُدرجي أُدرجي

ومنه علىٰ قول بعض العلماء: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]، فإن بعض المفسرين يقول: معنىٰ ﴿أَلْقِيَا﴾: ألقِ ألقِ؛ لأن المخاطَبَ واحدٌ، والتثنية للفاعل تثنية للفعل، هكذا قيل، وقيل: إن ﴿أَلْقِيَا﴾ خطاب للملَكين جميعا.

٨ - و«قد»، إذا قلت: «قَدِمَ زيدٌ» هذا غير مؤكَّد، «قد قَدِمَ» هذا مؤكَّد.

٩ - و«أما» الشرطية، مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩-١٠]

الكلام على الإنشاء

الإنشاءُ إمَّا طَلَبِيٌّ أو غيرُ طَلَبِيٍّ.

فالطَّلَبِيُّ: ما يَسْتَدْعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقتَ الطَّلَبِ.

وغيرُ الطَّلَبِيِّ: ما ليس كذلك.

والأوَّلُ يكون بخمسةِ أشياءَ: الأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمَنِّي، والنِّداء.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «الإنشاء»:

الإنشاء ضد الخبر.

❁ قوله «والأول»:

الإنشاء الطلبي.

[١ - الأمر]

أمَّا الأمرُ: فهو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء، وله أربعُ صِيَغٍ:

١ - فعلُ الأمرِ، نحو: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢ - والمضارعُ المقرونُ باللَّام، نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٣ - واسمُ فعلِ الأمرِ، نحو: «حَيَّ على الفلاح».

٤ - والمَصْدَرُ النائبُ عن فعلِ الأمرِ، نحو: «سَعْيًا في الخير».

وقد تَخْرُجُ صِيَغُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ من سياقِ الكلامِ وقرائنِ الأحوالِ:

١ - كالدُّعاء، نحو: ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩].

٢ - والالتماس، كقولك لمَن يُساويك: «أعطني الكتابَ».

٣ - والتمني، نحو [الطويل]:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي ... بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

٤ - والتهديد، نحو: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٠].

٥ - والتعجيز، نحو[المديد]:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْبًا ... يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ؟

٦ - والتَّسْوِيَة، نحو: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ [الطور: ١٦].

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «أمّا الأمرُ...»:

هنا يحسن أن يقال: «هو طلبُ الفعل على وجه الاستعلاء بصيغةٍ مخصوصةٍ»، ثم نقول الصيغة، فخرج:

- بقولنا: «طلب»: ما ليس بطلب.

- وبقولنا: «بطلب الفعل»: طَلَبُ التَّرْكِ.

- وبقولنا: «على وجه الاستعلاء»: الالتماس والدعاء وما كان على غير وجه الاستعلاء، فهذا طلبٌ لا على وجه الاستعلاء، فلا يكون أمرًا.

❁ قوله «والمصدر النائب عن فعل الأمر»:

الآن صار أربع صيغ للأمر:

١ - **فعل الأمر**، مثل: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢ - **المضارع المقرون بلام الأمر**، مثل: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.

٣ - **اسم فعل الأمر**: وهو ما دل على الطلب على معنى الأمر دون حروفه؛ يعني: ما يدل على الأمر لكن لا يقبل علامة الأمر، كل ما دل على الأمر ولم يقبل علامته فهو اسم فعل أمر، إذًا «حي على الفلاح» بمعنى: أَقْبِلْ على الفلاح، لو أنك أردتَ أن تُدخِلَ علامات الأمر على «حَيَّ» ما قَبِلَتْ.

٤ - **المصدر النائب عن فعل الأمر**، نحو: «سَعْيًا إلى الخير» بمعنى: اسْعَ إلى الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[محمد: ٤]؛ يعني: فاضربُوا رقابهم.

قوله بـ: ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: الخطاب لمن ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾؟ لله ﷻ، هذا ليس أمرًا؛ لأنك لا يمكن أن تأمر ربك ﷻ، فهو طلبٌ لا على وجه الاستعلاء، ومعنى ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾؛ أي: ألهمني أن أشكر نعمتك.

❁ **قوله «أعطني الكتاب»:**

هذا ليس أمرًا؛ لأن الذي يُساويك لا تأمره، وهو لو يفهم أنك تأمره لقال: «لا، ما لك عليَّ أمرٌ» لكن إذا كان التماسًا – يعني: بتلطف وتحنُّنٍ – فإنه يعطيك.

❁ **قوله «والتمني...»:**

يقال التمني في خطاب مَنْ لا يَعقِل، الشاهد في قوله: «انْجَلِ»، ولا يمكن أن يقول للَّيل – وهو لا يعقل –: انْجَلِ.

❁ **قوله «والتهديد...»:**

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾، بل ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ للتهديد؛ يعني يهدد البشر، والدليل على ذلك قوله تعالى بعدها: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾، فسوف يعلم بكم ويحاسبكم.

قوله:

يـــا لَبَكْـــرٍ أَنْـــشِرُوا لِيْ كليبًـــا يـــا لَبَكْـــرٍ أيـــنَ أيـــنَ الفِـــرَارُ؟

«أنشروا لي كليبًا»؛ يعني: أحيوه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] لا، ما يستطيعون، فهذا تعجيزٌ وتحدٍّ، ومثل قوله تعالى في الصيغة الثانية: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾[الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾[الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

❁ **قوله «والتسوية...»:**

الدليل على التسوية قوله بعدها: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ﴾.

[٢ – النهي]

وأمَّا النَّهْيُ: فهو طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجهِ الاستعلاء، وله صيغةٌ واحدةٌ: وهي المضارعُ مع «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقد تَخْرُجُ صيغتُه عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ مِن المقامِ والسِّياقِ:

١ – كالدُّعاء، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٢ – والالتماس: كقولِك لمَن يُساويك: «لا تَبْرَحْ مِن مكانِك حتَّىٰ أَرْجعَ إليك».

٣ – والتَّمَنِّي، نحو: (لا تَطْلُعْ) في قوله [مجزوء الرَّجَز]:

يـــا ليـــلُ طُـــلْ، يـــا نَـــومُ زُلْ يـــا صُـــبْحُ قَـــفْ لا تَطْلُـــعِ

٤ – والتهديد، كقولِك لخادِمِك: «لا تُطِعْ غَيْرِي».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «وأما النهي...»:

النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغة واحدة، ما له إلا صيغة واحدة، وهي «لا» الناهية ولهذا «اجتنبْ» «اتركْ» «دعْ» «تجنبْ» هذه ليست نهيًا مع أنها طلب للكف عن الفعل؛ لأن النهي له صيغة واحدة معينة وهي المضارع المقرون بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، والأمثلة كثيرة.

❁ قوله «كالدعاء...»:

نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾؟!!!، لا يحسن المثال بهذا هذه نعم لو وُجِّهت لله ﷻ لكان صحيحًا؛ لأنه جاء في الحديث التعوذ من شماتة الأعداء[٦] فلو وُجِّهت لله كانت دعاءً، ولكن إذا وُجِّهت للمخلوق الذي هو أعلى منك -وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء- فلا ينبغي؛ بل ينبغي أن يقال: إنه ترجٍّ أو نحو ذلك، لكن إذا وُجِّهت لله مثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦] هذا دعاء؛ يعني يحسن أن نمثل يدل هذه الآية بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

❁ قوله «والتهديد...»:

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[آل عمران: ١٩٦]، هذا تهديد ليس للرسول ﷺ، تهديد لهؤلاء الذين يتقلَّبون في البلاد؛ ولهذا قال بعدها: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[آل عمران: ١٩٧]

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من جهد البلاء، برقم (٦٣٤٧)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة...، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء...، برقم (٢٧٠٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ «كان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»، واللفظ للبخاري.

[٣ - الاستفهام]

وأمَّا الاستفهامُ: فهو طَلَبُ العِلْمِ بشيءٍ، وأدواتُه: الهمزة، و«هل»، و«ما»، و«مَن»، و«مَتَىٰ»، و«أيَّانَ» و«كَيفَ»، و«أَيْنَ» و«أَنَّىٰ»، و«كَمْ»، و«أَيّ».

١ - فالهمزةُ لِطَلَبِ التصوُّرِ أو التصديقِ:

والتصوُّرُ: هو إدراكُ المُفرَدِ، كقولك: «أعليٌّ مسافرٌ أَمْ خالدٌ؟» تَعْتَقِدُ أنَّ السَّفَرَ حَصَلَ مِن أحدِهما ولكن تَطْلُبُ تعيينَه؛ ولِذا يُجابُ بالتعيين، فيُقال: «عليٌّ» مثلًا.

والتصديقُ: هو إدراكُ النِّسبةِ، نحو: «أسافَرَ عليٌّ؟» تستفهِم عن حُصولِ السَّفَرِ وعدمه؛ ولِذا يُجابُ بـ «نَعَمْ» أو «لا».

والمسئول عنه في التصوُّر: ما يلي الهمزةَ، ويكون له مُعادِلٌ يُذكَرُ بعد «أَمْ»، وتُسمَّىٰ: مُتَّصِلَةً، فتقول في الاستفهامِ:

عن المُسنَد إليه: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أَمْ يوسُفُ؟».

وعن المُسنَد: «أراغِبٌ أنتَ عن الأمْر أَمْ راغِبٌ فيه؟».

وعن المفعول: «أَإيَّايَ تَقْصِدُ أَمْ خالدًا؟».

وعن الحال: «أراكِبًا جِئْتَ أَمْ ماشِيًا؟».

وعن الظَّرْف: «أيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ أَمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؟» وهكذا.

وقد لا يُذكَرُ المُعادِلُ، نحو: «أأنت فَعَلْت هذا؟»، «أراغِبٌ أنت عن الأمْرِ؟»، «أَإيَّايَ تَقْصِدُ؟». «أراكبًا جئْتَ؟». «أيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ؟».

والمسئول عنه في التصديق: النِّسبةُ: ولا يكون لها مُعادِلٌ، فإن جاءَتْ «أَمْ» بعدها قُدِّرتْ مُنْقَطِعةً وتكون بمعنىٰ «بَلْ».

٢- و«هَلْ» لَطَلَبِ التصديق فقط، نحو: «هل جاءَ صديقُك؟». والجوابُ: «نَعَمْ» أو «لا»، ولِذا يَمتنِعُ معها ذِكْرُ المعادِلِ، فلا يقال: «هل جاء صديقُك أَمْ عدوُّك».

و«هل» تُسمَّىٰ:

بَسيطةً: إنِ استُفْهِمَ بها عن وجودِ شيءٍ في نَفْسِه، نحو: «هل العَنْقَاءُ موجودةٌ؟».

ومُرَكَّبةً: إنِ استُفْهِمَ بها عن وجودِ شيءٍ لشيءٍ، نحو: «هل تَبيضُ العَنْقَاءُ وتُفَرِّخُ؟».

٣ - و«ما» يُطلَبُ بها:

- شَرْحُ الاسمِ: نحو: «ما العَسْجَدُ أو اللُّجَيْنُ؟».

- أو حقيقةُ المُسَمَّىٰ، نحو: «ما الإنسانُ؟».

- أو حالُ المذكورِ معها، كقولك لقادمٍ عليك: «ما أنت؟».

٤ - و«مَن» يُطلَبُ بها تعيينُ العُقَلاءِ، كقولك: «مَن فَتَحَ مِصْرَ؟».

٥- «مَتَىٰ» يُطلَبُ بها تعيينُ الزمانِ، ماضِيًا كان أو مُستقبَلًا، نحو: «متىٰ جِئْتَ؟»، و«متىٰ تذهب؟».

٦ - «أَيَّانَ» يُطلَبُ بها تعيينُ الزمانِ المُستقبَلِ خاصَّةً، وتكون في موضع التَّهْويل، كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦].

٧ - «كَيْفَ» يُطلَبُ بها تعيينُ الحالِ، نحو: «كيف أنت؟».

٨- و«أَيْنَ» يُطلَبُ بها تعيينُ المكانِ، نحو: «أين تذهب؟».

٩ - و«أَنَّىٰ» تكون بمعنىٰ «كيف»، نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].وبمعنىٰ «مِن أين»، نحو: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وبمعنىٰ «متىٰ»، نحو: «أَنَّىٰ تكون زيادةُ النِّيلِ؟».

١٠ - و«كَمْ» يُطلَبُ بها تعيينُ عَدَدٍ مُبْهَمٍ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١ - و«أيّ» يُطلَبُ بها تمييزُ أحدِ المُتشارِكَيْن في أمر يَعُمُّهما.

نحو: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، ويُسأَل بها عن الزمانِ، والمكانِ، والحالِ، والعَدَدِ، والعاقلِ، وغيرِهِ، حَسَبَ ما تُضافُ إليه.

وقد تَخْرُجُ ألفاظُ الاستفهامِ عن معناها الأصليِّ لمعانٍ أُخَرَىٰ، تُفهم مِن سياقِ الكلامِ:

١ - كالتَّسْوِيَة، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

٢ - والنَّفي، نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣ - والإنكار، نحو: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

٤ - والأمر، نحو: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]؛ أي: انْتَهُوا وأَسْلِمُوا.

٥ - والنَّهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣].

٦ - والتشويق، نحو: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٧- والتعظيم، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٨ - والتحقير، نحو «أهذا الذي مَدَحْتَه كثيرًا؟».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «وأما الاستفهام...»:

الاستفهام أصله: طلب الفهم، أو: طلب الإفهام؛ أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: «هل قام زيد؟» فالمعنى: أَعْلِمْني هل قام زيد، فهو طلب الإعلام بالشيء، وهذا التفسير أدق من تفسير المؤلف الذي هو: «طَلَب العِلْم»؛ لأن من يطالع الكتب ليتعلم يقال: إنه طالب عِلْم، ولا يقال: مُستفهِم؛ فالأحسن أن يقال: الاستفهام: طلب الإعلام بالشيء.

❁ قوله «وأدواته...»:

هذه الأدوات تأتي استفهامية وغير استفهامية، لكن هي من أدوات الاستفهام:

١ - الهمزة -وهي الأصل-: أقائمٌ زيدٌ؟

٢ - هل: هل قام زيدٌ؟

٣ - ما: ما هذا؟

٤ - مَن: مَنِ القائمُ؟

٥ - أيَّانَ: أيَّانَ تقوم؟

٦ - كيف: كيف جاء زيدٌ؟

٧ - أين: أين تنزل؟

٨ - أنىَّ: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الدخان: ١٣].

٩ - كم: كم مالُك؟

١٠ - أيّ: أيُّ الرجلين قائم؟

❁ قوله «والتصديق...»:

هذه المسألة مهمة: التصور أو التصديق، التصور: تصورٌ الشيء، والتصديق: الحكم عليه، فالتصديق بمعنى الحكم، والتصور إدراك الشيء، فمجرد الإدراك تصورٌ، والحكم على الشيء تصديقٌ.

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «**إدراك المفرد، كقولك: أعليٌّ مسافر أم خالدٌ؟**»؛ الآن هل أنت شاكٌّ في السفر أو في المسافِر؟ في المسافِر، الحُكم -وهو السفر- معلومٌ عندك، لكن مَنِ المسافر؟ إذا كنت تطلب تعيين المسافر وأنت عارف أن السفر حاصل فهذا يقال: إنه استفهامُ تصورٍ؛ يعني لمعرفة من الفاعل، فيجاب بالتعيين، فيقال: إما علي وإما خالد.

والتصديق: إدراك النسبة؛ يعني: الحكم، تستفهم عن الحكم؛ يعني؛ عن نسبة الشيء إلى الشيء، فأنت تعلم أنه لا يوجد في الساحة إلا عليٌّ، لكن لا تدري أسافر أم هو مقيم، فتقول: «**أسافر عليٌّ؟**» الشك الآن أو الجهل بالسفر هل حصل أم لا، أما المسافر فإنه معلوم أنه لن يسافر إلا فلان، مثلًا تقول: «**أَقدِمَ الأميرُ؟**» هذا تصديق؛ لأنك تطلب هل قَدِمَ أم لم يَقْدُم؛ ولهذا يكون الجواب بـ «**نعم**» أو «**لا**» بخلاف الأول، الأول: الجواب بالتعيين، والثاني: الجواب بالنفي أو الإثبات.

✿ **قوله «والمسئول عنه في التصور...»**:

المسئول عنه في التصور: ما يلي الهمزة، والتصور المطلوب فيه التعيين، المسئول عنه يلي الهمزة وله معادل، فتقول: «**أأنت فعلت هذا أم يوسف؟**» **الجواب**: «**يوسف**» أو «**أنت**» لكن لو قلت: أفعلت أنت هذا؟ ما تقول أم يوسف، لو قلت أم لكان هذا خطأ؛ لأن هذا نقص في الفصاحة؛ لأنك الآن تستفهم عن التعيين لا الحكم فتقول أأنت القائم أم يوسف؟ ولهذا يذكر ما يعادلها، وتُسمَّىٰ هذه متصلة، أما إذا كان عن المسند فأنت تذكر الحكم، الذي يلي الهمزة هو الحكم، تقول: «**أمسافر أنت أم مقيم؟**»، وتقول «**أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟**» بينهما فرق، «**أراغب أنت عنه أم فيه**» ما الفرق؟

الطالب: أراغب فيه: تطلبه، أراغب عنه: زاهد عنه.

الشيخ: أي: تتركه.

✿ **قوله «وقد لا يذكر المعَادِل...»**:

الآن قد لا يذكر المعَادِل، لكن حذفه مشروط بأن يكون مفهومًا، مثلًا إذا قلت: «**أراكبًا**

جئتَ» ما ضده؟ «أم ماشيًا».

علىٰ كل حال يشترط لحذف المعادِل أن يكون معلومًا، فإن كان غير معلوم فإنه لا يجوز حذفه، وقد أشار ابن مالك إلىٰ هذه القاعدة في قوله:

وحَـــذْفُ مـــا يُعْلَـــمُ جـــائزٌ .....

❁ قوله «والمسئول عنه في التصديق...»:

المسئول عنه في التصديق: النسبة؛ يعني: الحكم، ولا يُذكر معها معادِل، فإن ذكر معادِل فإنها تكون منقطعة تقديرًا وتكون بمعنىٰ «بل»، وهذا كثير في القرآن مثل قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١] ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩] الأمثلة في هذا كثيرة.

❁ قوله ««وهل» لطلب التصديق فقط...»:

ماذا يقال إذا كنت تريد أن تستفهم هل جاء عدوه أو صديقه؟ يُؤتَىٰ بالهمزة، فتقول: «أجاء صديقك أم عدوك»؟

❁ قوله ««وهل» تسمىٰ...»:

إذا كان المقصود الاستفهام بها عن وجود الشيء فهذه تسمىٰ: بسيطة؛ لأنها استفهام عن شيء معين، أما إذا استفهم عن صفة في شيء فإنها تسمىٰ: مركبة، مثل «هل تبيض العنقاء وتفرخ»؟

حسنًا، لو قلت: «هل اصفرَّ النخل أو احمرَّ؟» بسيطة أو مركبة؟ مركبة «هل الثمرة موجودة؟» بسيطة.

❁ قوله ««وما» يطلب بها...»:

يطلب بها: شرح الاسم: نحو: «ما العسجد؟» الجواب: الذهب، «ما اللُّجَيْنُ»؟ الفضة.

- حقيقة المسمىٰ: «ما الإنسان؟» حيوان ناطق، هذه حقيقة الإنسان؛ فـ «حيوان» تشمل كل ما في الحياة من البهائم والإنسان، «ناطق»: تخرج البهائم؛ لأنها غير ناطقة، والمراد غير ناطقة نطقًا

مفهومًا وإلا فهي ناطقة كما قال الله تعالىٰ: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

- **أو حال المذكور معها**: كقولك لقادمٍ عليك: «ما أنت؟»، ماذا يكون الجواب؟ «صديق»، لا تقل: «فلان»؛ فلان للتعيين، إذا أراد أن يَعْرِف اسمه يقول: «مَنْ أنت؟»، لكن إذا قال: «ما أنت؟» يَستفهِم عن حاله لا عن عينه، يستفهم عن حاله هل هو صديق هل هو عدو، ماذا يقول إذا قال: «ما أنت؟»، يقول: «صديق»، إذا كان بينه وبينه نسب يقول: «قريب»، إذا أراد أن يحدد النسب يقول: «ابن عمَك»، وما أشبه ذلك.

❁ قوله «من فتح مصر؟»:

الجواب: عمرو بن العاص.

قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؛ يعني: من أين لك؟

❁ قوله «"وأي" يطلب بها...»:

فتقول للزمان: «أيَّ يومٍ تسافرُ؟»: وتقول في المكان: «أيَّ بيتٍ تسكنُ؟»، وتقول في الحال: «أيَّ حال تأتي إليَّ فيها؟»، والعدد: «أيَّ عددٍ تملكه من الإبل؟»، والعاقل وغيره، حسب ما تضاف إليه.

❁ قوله «﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾»:

قال النحويون الذين يُعربون: إن ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ استفهام، لكنه يسبك وما بعده بمصدر، مع أن الهمزة ليست حرفًا مصدريًّا، لكن هذا التركيب يسبك ما بعد الهمزة بمصدر، فيكون التقدير: «إنذارك وعدمه سواء عليهم»، وعلىٰ هذا فتكون ﴿سَوَآءٌ﴾ خبرًا مقدمًا، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ مسبوكة بمصدرٍ مبتدأ مؤخر.

❁ قوله «والنفي نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾»:

والدليل علىٰ أن الاستفهام للنفي هنا أنها أتت ﴿إِلَّا﴾.

❁ قوله «والإنكار»:

نحو: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾»: هذا للإنكار، ولكنه إنكارٌ بمعنىٰ التوبيخ.

❁ أما قوله «﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾»:

أما قوله ففي التمثيل به نظر؛ لأن هذا الاستفهام للتقرير؛ يعني: إن الله كافٍ عبده، لكن وجه كلام المؤلف أن إنكار النفي إقرار؛ إذا أنكرت النفي فهو إقرار؛ يعني المؤلف كأنه يقول: الهمزة هنا دخلت على النفي فهي لإنكار النفي، وإنكار النفي إقرار، هذا وجه كلام المؤلف، لكن غيره من المُعْرِبين يقولون: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

❁ قوله «﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾»:

جاءت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ في تحريم الخمر والميسر والأنصاب، فإن الله تعالى قال: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؛ أي: فبعد هذا التقرير هل أنتم منتهون أو لستم بمنتهين؟ قال الصحابة: «انتهينا انتهينا» (٧)، المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن الاستفهام هنا بمعنى الأمر؛ أي: فانتهوا.

❁ قوله «﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾»:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ يقول المؤلف: «إنها بمعنى: أسلموا»، ولكن في هذا نظر، بل المعنى: أأسلمتم بعد هذا البيان أم لم تسلموا؟، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فهذه هي التي يصلح أن تقول: إنها بمعنى: «فَأَسْلِمُوا».

❁ قوله «﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾»:

يعني: «لا تخشوهم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]

❁ قوله «والتشويق نحو...»:

ومثل ذلك أيضًا: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] مع أن هذه الثانية يُحتمل أن تكون للتعظيم؛ يعني: أنه حديث عظيم.

---

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، برقم (٣٦٧٠)، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، برقم (٣٠٤٩)، والنسائي، كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، برقم (٥٥٤٠)، وأحمد (١/ ٥٣)، وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم (٢٣٤٨).

❁ قوله «والتعظيم، نحو...»:

التعظيم هنا تعظيم المشفوع إليه، نعم، تعظيم الله ﷻ، أنه لعظمته لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بإذن الله.

❁ قوله «والتحقير، نحو...»:

ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[الأنبياء: ٣٦]؛ يعني: يسبها ويعيبها؛ يعني كأنهم يقولون: هو أحقر من أن يسب آلهتهم ويعيبها.

[٤- التمني]

وأمَّا التَّمَنِّي: فهو طَلَبُ شيءٍ محبوبٍ لا يُرْجَىٰ حصولُهُ لَكَوْنِه مُستَحيلًا أو بَعيدَ الوُقوع، كقولِهِ [الوافر]:

أَلَا لَيْـتَ الـشَّبَابَ يَعـودُ يَوْمًـا فَـأُخْبِرَهُ بِـما فَعَـلَ المَـشيبُ

وقولِ المُعْسِرِ: «ليت لي أَلْفَ دينارٍ».

وإذا كان الأمرُ مُتَوَقَّعَ الحصولِ فإنَّ تَرَقُّبَه يُسمَّىٰ تَرَجِّيًا، ويُعَبَّرُ عنه بـ «عسىٰ» و«لعلَّ»، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[الطلاق: ١].

وللتمنِّي أربعُ أدواتٍ:

- واحدةٌ أصليَّةٌ وهي: «ليت».

- وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ وهي:

١- «هَلْ»، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾[الأعراف: ٥٣].

٢- و«لَوْ»، نحو: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء: ١٠٢].

٣- و«لعلَّ»، نحو قولِهِ [الطويل]:

أَسِرْبَ القَطَـا! هـل مَـن يُعـيرُ جناحَـهُ لَعَـلِّي إلىٰ مَـن قـد هَوِيْـتُ أَطـيرُ

ولاستعمالِ هذه الأدواتِ في التمنِّي يُنْصَبُ المضارعُ الواقِعُ في جوابِها.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

يعني: في الدنيا لا يمكن أن يعود الشباب، لكن لو فُرِضَ أن الإنسان فقد قوته -لضعف لا لكبر سن- هل يمكن أن تعود القوة؟ نعم يمكن، بالشفاء من هذا المرض يمكن أن تعود.

❁ قوله «وقول المعسر: «ليت لي ألف دينار»»:

وهل هذا مستحيل؟ بعيد الوقوع، لكن قد يقع، ربما يموت للمعسر ابن عم عنده ملايين الدنانير، ولا يرثه إلا هذا الفقير، بين عشية وضحاها يكون عنده ملايين، أليس كذلك؟ إذًا؛ ليس بمستحيل أن يرزق الله ﷻ الفقير ألف دينار بين عشية وضحاها، لكنه بعيد.

❁ قوله «وإذا كان الأمر متوقع الحصول...»:

إذًا؛ الفرق بين الترجي والتمني أن:

- الترجي فيما يترقب حصوله.
- والتمني عكس ذلك، فيما لا يترقب وقوعه، إما لكونه مستحيلًا وإما لكونه بعيد المنال.

قوله بـ ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾: «هل» هنا للتمني؛ يعني: يتمنون أن يكون لهم شفعاء فيشفعوا لهم عند الله.

❁ قوله «﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»:

يعني: يتمنون أن يكون لهم رجعة إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين.

❁ قوله:

أَسِرْبَ القَطَا! هَل مَن يُعِيرُ جناحَهُ لَعَلِّي إلى مَن قد هَوِيتُ أَطِيرُ

هذا إنسان مشتاق إلى أهله أو إلى معشوقته -الله أعلم- مرَّ به سرب من القطا، فقال يخاطب القطا: هذا تمن؛ لأنه يستحيل أن تنزل قطاة تقول: «خُذْ جناحي طِرْ به»، لا يمكن هذا.

❁ قوله «ولاستعمال هذه الأدوات في التمني ينصب المضارع الواقع في جوابها»:

كل مضارع يقع جوابًا للتمني أو الترجي فإنه يكن منصوبًا.

[٥ - النداء]

وأمَّا النِّداءُ: فهو طَلَبُ الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ مَنابَ «أَدْعُو».

وأدواتُه ثمانٍ: «يا»، «والهمزةُ»، و«أيْ» و«آ»، و«آيْ»، و«أيَا»، و«هَيَا» و«وَا»، فالهمزةُ و«أيْ» للقريب، وغيرُهما للبعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ مَنْزِلَةَ القريبِ، فيُنادَىٰ بالهمزة و«أيْ» إشارةً إلىٰ أنَّه لِشِدَّةِ استحضارِهِ في ذِهْنِ المُتكلِّمِ صارَ كالحاضرِ معه، كقول الشاعرِ [الطويل]:

أَسُــكَّانَ نَعْــمانِ الأَراكِ! تَيَقَّنُــوا بــأنكُمُ في رَبْــعِ قلبــيَ سُــكَّانُ

وقد يُنَزَّلُ القريبُ مَنْزِلَةَ البعيدِ، فيُنادَىٰ بأحد الحروفِ الموضوعةِ له؛ إشارةً إلىٰ أنَّ المُنادَىٰ عظيمُ الشأنِ، رفيعُ المرتبةِ، حتىٰ كأنَّ بُعْدَ درجتِه في العِظَمِ عن درجةِ المتكلِّم بُعْدٌ في المسافةِ، كقولك: «أيَا مَوْلايَ!» وأنت معه، أو إشارةً إلىٰ انحِطاطِ درجتِهِ، كقولك: «أَيَا هذا!» لَمن هو معك، أو إشارةً إلىٰ أنَّ السامعَ غافِلٌ لَنِحْوِ نومٍ أو ذُهُولٍ كأنَّه غيرُ حاضرٍ في المجلس، كقولك للساهي: «أيَا فلان!».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «وأما النداء...»:**

لو قال المؤلِّف: النداء: طلب الإقبال بـ «يا» أو إحدىٰ أخواتها لكان أوضح.

أدواته ثمانٍ، لكن «وَا» تأتي في الندبة؛ يعني: يندب الإنسان ميتًا أو ما أشبه ذلك، يأتي بـ «وَا»، ثم فصَّل المؤلف.

قوله:

أَسُكَّانَ نَعْمانِ الأَراكِ! تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمُ في رَبْعِ قلبيَ سُكَّانُ

هنا يخاطب أناسًا بعيدين: «أسكان نعمان الأراك»، لكنه لشدة استحضاره إياهم ناداهم منادىٰ القريب.

❁ **قوله «وقد يُنزَّل القريب منزلة البعيد»:**

قد ينزَّل القريب منزلة البعيد لأسباب، إما:

١- لعلو المرتبة.

٢- أو لدنو المرتبة.

٣- أو لغفلته.

٤- أو لبلاهته، أو ما أشبه ذلك.

ولهذا إذا فهَّمت رجلًا مسألة من المسائل وعجز ألا يفهم تقول: «يا رجل! هذا هو المقصود، يا رجل! افهم»، وهو عندك، لا تقل «أَرَجُلُ» لا، بل تقول: «يا رَجُلُ»؛ لأنه لبلاهته صار كأنه بعيد.

وقد يُنَزَّل القريب منزلة البعيد، أو البعيد منزلة القريب؛ وذلك حسب السياق.

[الإنشاء غير الطلبي]

وغيرُ الطَّلَبِيِّ يكون بالتعَجُّبِ، والقَسَمِ، وصِيَغِ العُقودِ كـ «بِعْتُ» و«اشتريتُ»، ويكون بغير ذلك.

وأنواعُ الإنشاءِ غيرِ الطَّلَبِيِّ ليست من مباحث عِلْمِ المعاني؛ فلذا ضَرَبْنا صَفْحًا عنها.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

الإنشاء غير الطلبي يكون:

- **بالتعجب، مثل: «ما أحسن زيدًا»**، ومثل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨].

- **بالقسم**؛ لأن القسم إنشاءٌ: «**والله لأفعلنَّ**» هذا إنشاء قسم، ليس خبرًا عن قسم، بل هو إنشاء قسم.

- **وصيغ العقود** كـ «**بعتُ**» «**طلقتُ**» «**رهنتُ**»، هذه ليست أخبارًا، هذه إنشاء؛ لأنها عقد من الآن، لكنها في الواقع إخبار عما في نفس العاقد، فإذا قلت: «**طلَّقتُ زوجتي**» هل تطلق؟ إن كان خبرًا عن الماضي نظرنا هل طلَّقَ أو ما طلَّقَ، وإن كان إنشاءً للطلاق الآن طلقت.

كذلك لو قلت: «**بعت بيتي عليك**»، إذا كان إنشاء عقد من الآن فليس خبرًا بل هو إنشاء، ماذا يقول الثاني؟ «**قَبِلْتُ**» إذا كان خبرًا – يعني: بعته أمس – ماذا يقول الثاني؟ «**صَدَقْتَ**» أو «**كَذَبْتَ**»، الأول يكون إنشاء وعقدًا إذا قَبِلَ المخاطب تم البيع، والثاني يكون خبرًا إن كان قد وقع أمس بيع فهو بيع وإلا فلا.

الباب الثاني: الذكر والحذف

إذا أُريدَ إفادةُ السامع حُكْمًا فأيُّ لفظٍ يَدُلُّ علىٰ معنىً فيه فالأصلُ ذِكْرُه، وأيُّ لفظٍ عُلِمَ مِن الكلام لِدَلالِة باقِيهِ عليه فالأصلُ حذفُه، وإذا تعارَضَ هذانِ الأصلان فلا يُعْدَلُ عن مُقْتَضَىٰ أحدهما إلىٰ مُقْتَضَىٰ الآخَرِ إلا لداعٍ.

فمِن دواعي الذِّكْرِ:

١- زيادةُ التقرير والإيضاحِ، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]

٢- والتسجيلُ علىٰ السامع حتىٰ لا يَتَأَتَّىٰ له الإنكارُ، كما إذا قال الحاكَمُ لشاهِدٍ: «هل أَقَرَّ زيدٌ هذا بأنَّ عليه كذا»؟ فيقول الشاهدُ: «نَعَمْ، زيدٌ هذا أَقَرَّ بأنَّ عليه كذا».

ومِن دواعي الحذفِ:

١ - إخفاءُ الأمرِ عن غيرِ المُخاطَبِ، نحو: «أَقْبَلَ»، تريد «عَلِيًّا» مثلًا.

٢ - وضِيقُ المقامِ:

٣ - إمَّا لِتَوَجُّع، نحو [الخفيف]:

قال لي: «كيف أنت؟» قُلْتُ: «عليلٌ سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طويلُ»

ب - وإمَّا لِخَوْفِ فَواتِ فرصة، نحو قولِ الصَّيَّادِ: «غزالٌ!!».

٣ - والتعميمُ باختصارٍ، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

أي: جميعَ عِبادِه؛ لأنَّ حَذْفَ المعمولِ يُؤْذِنُ بالعمومِ.

٤ - وتنزيلُ المُتعدِّي مَنْزِلَةَ اللازِمِ لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ، نحو: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزُّمَر: ٩].

ويُعَدُّ مَنَ الحذفِ إسنادُ الفعلِ إلى نائِبِ الفاعل، فيُقال: حُذِفَ الفاعِلُ للخَوْفِ منه أو عليه، أو للعِلْمِ به، أو الجهلِ، نحو: «سُرِقَ المتاعُ»، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «إذا أريد إفادة السامع حكمًا...»:

الأصل فيما يراد إفهامه: الذكر؛ لأن المحذوف الأصل فيه عدم العلم فالأصل الذكر، وإذا كان ذكر الشيء لا فائدة منه فالأصل الحذف ولا يذكر إلا لفائدة؛ يعني: إذا كان معلومًا من السياق فالأصل حذفه ولا يذكر إلا لفائدة؛ وذلك لأن ذكره مع العلم به تطويل بلا فائدة، إذا تعارض هذا وهذا فإن الأصل ذكر ما يحتاج إلىٰ ذكر، وحذف ما يحتاج إلىٰ حذف.

❁ قوله «زيادة التقرير والإيضاح...»:

الشاهد قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، لو قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ كفىٰ؛ لأن كل من كان علىٰ هدىٰ من ربه فهو مفلِح، لكن ختمها بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

❁ قوله «والتسجيل علىٰ السامع...»:

لا يحتاج إلىٰ «زيدٌ هذا» إلا من أجل أن يسجل علىٰ السامع حتىٰ لا ينكر ويقول: «إني أردتُ زيدًا غير هذا».

❁ قوله «إخفاء الأمر عن غير المخاطب...»:

صحيح، من دواعي الحذف هو ما ذكره: إخفاء الأمر، تقول: «أَقْبَلَ»، تقول: «سَرَقَ» ولا تذكر السارق، تقول: «سُرِق المتاعُ» ولا تذكر السارق.

❁ قوله «إما لتوجع...»:

هذا سُئِلَ: «كيف أنت؟» قال: «عليل مريض»، فسَّرَه بقوله: «سهر دائم وحزن طويل»، اللهم أعذنا من ذلك.

المحذوف: «قلت: أنا عليل، حالي سهر دائم وحزن طويل» فحذف المبتدأ في كلتا الجملتين:

الأول التقدير: «أنا عليل»، لكن قال «عليل»؛ لأجل أن يبادر المتكلم بذكر الحال.

وأيضًا «سهر دائم وحزن طويل» هذا مثله، والتقدير: «حالي سهر دائم وحزن طويل»، فحذفها حتىٰ يبين سبب علته من أول وهلة.

❁ **قوله «وإما لخوف فوات فرصة...»:**

الصياد يريد أن يصيد، فيقال له: «**غزال غزال ! ! !**»، لا يقال: «**انظر إلى الغزال يمشي على يمينك أو على يسارك**» لو كان يتكلم هذا الكلام تفوت الفرصة، أو مثلًا الصياد يريد أن يصيد والسلاح عنده، فيأتي مسرعًا ويقول: «**غزال غزال!!**» لا يقول: «**رأيت غزالًا يمكن أن أرميه فأوثقه**»، ما يحتاج، المهم إذا خاف فوات الفرصة فإنه يحذف، «**غزال**» تقديرها: هذا غزال.

❁ **قوله «والتعميم باختصار...»:**

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ مَن يدعو؟ جميع العباد؛ ولهذا في الهداية قال: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، الدعوة: عامة، والهداية: خاصة.

❁ **قوله «وتنزيل المتعدي منزلة اللازم...»:**

المتعدي: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ و﴿يَعۡلَمُونَ﴾: هل يستوي الذين يعلمون العلم أو يعلمون الشيء والذين لا يعلمونه، حُذِفَ لعدم تعلق الغرض بالمعمول؛ لأن الغرض هو العلم إثباتًا أو نفيًا.

❁ **قوله «ويعد من الحذف إسناد الفعل إلى نائب الفاعل...»:**

«سُرِقَ المتاعُ» للخوف منه أو عليه؟ يحتمل أنه أخفاه:

- للخوف عليه أنك تأخذه للصدقات وتُعزره.
- للخوف منه لو أعلم بالسارق، خشي من السارق، هذا الخوف منه.
- للجهل إذا كان لا يدري.
- أما ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ فللعلم به؛ لأنه لا خالق إلا الله.

الباب الثالث: التقديم والتأخير

مِن المعلومِ أنَّه لا يُمْكِنُ النُّطْقُ بأجزاءِ الكلامِ دَفْعَةً واحدةً، بل لا بُدَّ مَن تقديم بعضِ الأجزاءِ وتأخيرِ البعضِ، وليس شيءٌ منها في نَفْسِه أَوْلَىٰ بالتقدُّمِ مِن الآخرِ؛ لاشتراكِ جميع الألفاظِ – من حيثُ هي ألفاظٌ – في درجةِ الاعتبارِ، فلا بُدَّ لتقديم هذا علىٰ ذاك مِن داعٍ يُوجِبُه، فمِن الدَّواعي:

١ – التشويق إلىٰ المتأخِّر إذا كان المُتَقَدِّمُ مُشعِرًا بغَرَابَةٍ، نحو [الخفيف]:

وَالَّـــذي حـــارَتِ البَرِيَّـــةُ فيـــهِ حَيَـــوَانٌ مُـــسْتَحْدَثٌ مِـــن جَمَـــادِ

٢ – وتعجيلُ المَسَرَّةِ أو المَساءَةِ، نحو: «العَفْوُ عنك صَدَرَ به الأمرُ»، أو: «القصاص حَكَمَ به القاضِي».

٣ – كَونُ المُتَقَدِّمِ مَحَطَّ الإنكارِ والتعجُّبِ، نحو: «أَبَعْدَ طُولِ التجرِبة تَنْخَدِعُ بهذه الزَّخارِفِ؟!».

٤ – والنَّصُّ علىٰ عُمومِ السَّلْب، أو سَلْبِ العُمومِ:

فالأوَّلُ: يكون بتقديمِ أداةِ العُمومِ علىٰ أداةِ النَّفْيِ نحو: «كلُّ ذلك لم يَكُنْ»؛ أي: لَمْ يَقَعْ هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداةِ النَّفْيِ علىٰ أداةِ العُمومِ، نحو: «لَمْ يَكُنْ كلُّ ذلك»؛ أي: لَمْ يَقَعِ المجموعُ، فيَحْتَمِلُ ثُبوتَ البعضِ، ويَحْتَمِلُ نَفْيَ كلِّ فَرْدٍ.

٥ – والتخصيصُ، نحو: «ما أنا قُلْتُ»، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

ولَمْ يُذكَرْ لِكلٍّ مِن التقديم والتأخيرِ دواعٍ خاصَّةٌ؛ لأنَّه إذا تقدَّمَ أحدُ رُكنَي الجملةِ تأخَّرَ الآخرُ، فهما متلازَمان.

❁ ❁ ❁

الشرح

❁ قوله «من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة...»:

التقديم والتأخير من حيث الكلمات ليست هذه الكلمة بأولىٰ بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات، لكن من حيث التركيب لا شك أن بعضها أولىٰ بالتقديم، فالمبتدأ والخبر، ما الأولىٰ بالتقديم؟ المبتدأ، الفعل والفاعل؟ الفعل، وهلم جرًّا، الاستفهام له الصدارة، لكن كلامنا علىٰ الكلمة من حيث هي.

❁ قوله «التشويق إلىٰ المتأخر...»:

ماذا يعني؟ يعني: الإنسان، الإنسان خُلق من تراب، هو الآن جاء بهذا البيت الفخم الذي يذهب الإنسان في تصوره كل مذهب.

❁ قوله «القصاص حَكَمَ به القاضي»:

لو قال: «القصاص منك» كان أوضح، القصاص قد يكون لغيره، وربما يُسَرُّ به لا يُساءُ به، لكن «القصاص منك حَكَمَ به القاضي» عجَّلتَ له المساءَةَ.

«العفو عنك صدر به الأمر» الأصل أن يقال: «صدر الأمر بالعفو عنك» هذا الأصل، لكن تعجيلًا لمسرته قلت: «العفو عنك صدر به الأمر» والحقيقة أن هذا الكلام في حد ذاته علىٰ هذا التقدير فيه ركاكة، لكن المقصود ضربُ المثال، إذا أردنا أن نعجل له البشارة ماذا نقول؟ «أبشر، فقد صدر الأمر بالعفو عنك» أما «العفو عنك صدر به الأمر» هذا لا شك أنه ركيك، فليس ببليغ، لكن المؤلف أراد بذلك ضرب المثل.

كذلك «القصاص حكم به القاضي»؛ يعني: القصاص عليك، وهو علىٰ كل حال أول ما يسمع «القصاص» ينفر ويخاف ويرتعد، لكن لو قال: «حكم القاضي بالقصاص عليك» صار عند قول القائل: «حَكَمَ القاضي» - بين هل عَلَيَّ أو لا؟

❁ قوله «أبعدَ طول التجرِبة»:

(نطقها من يقرأ على الشيخ بضم الراء، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ مُصَوِّبًا). هذا من الخطأ الشائع، الناس يقولون: «التجارُب» و«التجرُبة» وهذا غلط، لغةً لا يستقيم، بل هو بكسر الراء في المفرد والجمع: «تجرِبة وتجارِب»، قال الشاعر [البسيط]:

قد جرَّبُوه فما زادَتْ تجارِبُهم ... أبعد طول التجرِبة تنخدع بهذه الزخارف

❁ قوله «أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف...»:

هذا محل الإنكار والتعجب؛ لأنه بعد طول التجربة يجب أن يكون الإنسان حذرًا منتبهًا يقظًا، فلا يكون منخدعًا، ومثل قول الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ [الطويل]:

أَبَعْدَ بَياضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا ... سوى القَبْرِ، إنِّي إنْ فَعَلْتُ لَأَحْمَقُ

يُخَبِّرُني شَيْبِي بأنِّيَ مَيِّتٌ ... وَشيكًا وينعاني إليَّ فيَصْدُقُ

الشاهد قوله: «أَبَعْدَ بَياضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سوى القَبْرِ».

❁ قوله «يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم...»:

هذه مسألة مهمة، إذا قلت: «هل كلَّمتَ فلانًا أو فلانًا؟» فقلت: «كل ذلك لم يكن» هذا نفي عموم السلب؛ يعني: أني لم أكلِّم هذا ولا هذا، وإذا قلتُ: «لم يكن كل ذلك» ففيه احتمال أني لم أكلِّمهما، أو احتمال أني لم أكلمهما جميعًا بل كلمت واحدًا وتركت الآخر.

- **عموم السلب**؛ يكون إذا قدمت صيغة العموم على النفي.

- **وسلب العموم**؛ إذا قدمتَ النفي على صيغة العموم.

في بعض ألفاظ حديث ذي اليدين أنه لما قال ذو اليدين للنبي ﷺ: «أنسيت أم قُصِرَتِ الصلاة؟» فقال: «كل ذلك لم يكن»[٨] من أيهما؟: من عموم السلب؛ يعني: ما كان هذا ولا هذا،

(٨) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، برقم (٩٩/ ٥٧٣) واللفظ له، والنسائي، كتاب: السهو، باب:ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيًا...، برقم (١٢٢٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لكن لو قال: «لم يكن كل ذلك» صار من سلب العموم. والسلب هنا بمعنىٰ النفي.

❁ **قوله «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾»:**

هنا قدم المعمول، وتقديم المعمول يدل علىٰ الاختصاص.

❁ **قوله «ولم يذكر لكل من التقديم والتأخير دواعٍ خاصة...»:**

إذا ذكرت دواعي التقديم عرفت دواعي التأخير.

الباب الرابع: القصر

القَصْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ، بطريقٍ مخصوصٍ.

وينقسم إلىٰ: حقيقيٍّ، وإضافيٍّ.

١ - فالحقيقيُّ: ما كان الاختصاصُ فيه بحَسَبِ الواقع والحقيقةِ، لا بحَسَبِ الإضافةِ إلىٰ شيءٍ آخَرَ، نحو: «لا كاتِبَ في المدينة إلا عليٌّ» إذا لم يكن غيرُه فيها من الكُتَّابِ.

٢ - والإضافيُّ: ما كان الاختصاصُ فيه بحَسَبِ الإضافةِ إلىٰ شيءٍ مُعَيَّنٍ، نحو: «ما عليٌّ إلا قائمٌ»؛ أي: أنَّ له صفةَ القيام لا صفةَ القُعودِ، وليس الغَرَضُ نَفْيَ جميعَ الصِّفاتِ عنه، ما عدا صفةَ القيامِ.

وكلٌّ منهما ينقسم باعتبار طَرَفَيْهِ إلىٰ:

١ - قَصْرِ صفةٍ علىٰ موصوفٍ، نحو: «لا فارِسَ إلا عليٌّ».

٢ - وقَصْرِ موصوفٍ علىٰ صفة، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[آل عمران: ١٤٤]، فيَجوزُ عليه الموتُ.

والقَصْرُ الإضافيُّ ينقسم باعتبار حال المُخاطَبِ إلىٰ ثلاثة أقسامٍ:

١ - قَصْرِ إفرادٍ: إذا اعْتَقَدَ المُخاطَبُ الشَّرِكَةَ.

٢ - وقَصْرِ قَلْبٍ: إذا اعْتَقَدَ العكسَ.

٣ - وقَصْرِ تعيينٍ: إذا اعْتَقَدَ واحدًا غَيْرَ مُعَيَّنٍ.

وللقَصْرِ طُرُقٌ:

١ - منها: النَّفْيُ والاستثناءُ، نحو: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١].

٢ - ومنها: «إنَّما»، نحو: «إنَّما الفاهِمُ عليٌّ».

٣ - ومنها: العَطْفُ بـ«لا» أو «بل» أو «لكنْ»، نحو: «أنا ناثِرٌ لا ناظِمٌ»، و«ما أنا حاسِبٌ بل كاتِبٌ».

ومنها: تقديمُ ما حقُّهُ التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥].

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «القصر...»:

انتبه إلىٰ أن القصر؛ يعني: الحصر، فهو يسمىٰ حصرًا ويُسَمَّىٰ قصرًا؛ لأن الحصر: قصر شيء علىٰ آخر، فهما بمعنىٰ واحد.

❁ قوله «وينقسم إلىٰ...»:

القصر -وهو الحصر- حقيقيٌّ وإضافيٌّ:

- فإذا قلت: «**لا إله إلا الله**»فالحصر حقيقيٌّ؛ لأن المقصود: لا إله حقٌّ إلا الله، وهذا حقيقيٌّ.

- وإذا قلت: «**لا خالق إلا اللهُ**» فهو أيضًا حقيقيٌّ.

- وإذا قلت: «**لا مَلِكَ إلا فلان**» وهو -حقيقةً- ليس هناك إلا مَلِك واحد؛ هذا حقيقي.

- وإذا قلت: «**لا مُعلِّم إلا فلان**» وليس في البلدة سواه، و«**لا كاتب إلا فلان**» ولا كاتب سواه؛ حقيقيٌّ.

- الإضافي: هو ما كان محصورًا بالنسبة إلىٰ شيء معين.

إذا قلت: «**لا جوادَ إلا حاتمٌ**» -حاتم الطائيّ المعروف- إضافي؛ لأنه يوجد أجوادٌ كثيرون، ولكن لا جواد مثلًا باعتبار المكان الذي هو فيه، باعتبار الزمان الذي هو فيه باعتبار نوع من الجود، فالإضافي: ما كان الحصر فيه باعتبار شيء معيَّن.

وأيهما الحصر الذي يُقصد عند الإطلاق؟ عند الإطلاق يُحمل علىٰ الحقيقي، فإذا تعذَّر الحمل علىٰ الحقيقي قلنا: هذا إضافي.

حسنًا، «**ما عليٌّ إلا قائمٌ**» هذا إضافي؛ لأنه ضاحك جائع عطشان باكٍ له صفات كثيرة غير «قائم»، لكن هذا بالنسبة لهذه الصفة المعينة؛ يعني: أنه قائم وليس بقاعد هذا ما نسميه حصرًا إضافيًّا، فما كان الحصر فيه باعتبار الواقع فهو حقيقي، وما كان الحصر به باعتبار شيء معين فهو إضافي.

❁ قوله «وكل منهما ينقسم باعتبار طرفيه إلىٰ...»:

إذا كانت الصفة مختصة بموصوفها فهو قصر صفة علىٰ موصوف، وإن كان الموصوف

مقصورًا على الصفة فهو قصر موصوف على صفة.

- «لا فارسَ إلا عليٌّ» قصرنا صفة الفروسية على عليٍّ، أما كونه حقيقيًّا أو إضافيًّا فننظر، إن كان في البلد فارس سواه فهو إضافي، وإلا فهو حقيقي.

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ هذا قصر موصوف على صفة؛ يعني: أن محمدًا ﷺ موصوف بأنه رسول لا أنه ربٌّ، ولا أنه ملك، ولا أنه سيخلد؛ لأن آخر الآية يدل على ذلك: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾.

- «لا قائم إلا محمدٌ»: صفة على موصوف.

- «ما محمَّدٌ إلا قائمٌ»: موصوف على صفة.

❁ **قوله «والقصر الإضافي...»:**

القصر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **قصر إفراد:** إذا اعتقد المخاطَبُ الشَّرِكَةَ، فإذا قلت: «لا قائم إلا محمد» تخاطب رجلًا يعتقد أن القائم محمدٌ وعليٌّ؛ هذا قصر إفراد؛ يعني: بعدما كان المخاطَبُ يعتقد أن القائم أكثر من واحد؛ صار الآن لا يتصور إلا واحدًا.

٢- **قصر قلب:** إنسان يعتقد أن عمرًا هو الكاتب، فقلت: «لا كاتب إلا عليٌّ»، هذا قصر قلب؛ لأن المخاطب يعتقد أنه لا كاتب إلا عمرٌو، الآن قَلَبْتَ الأمر عليه وقلت: «لا كاتب إلا عليٌّ أو محمدٌ» المهم أنني خاطبتُه بغير ما كان يعتقد، هذا يسمى قَصرَ قلبٍ؛ لأني قَلبتُ مفهوم المخاطب إلى ضده.

٣- **قصر تعيين:** مثل أن يسألك سائل: «يا فلان! هل عمروٌ هو الكاتب أو خالدٌ؟» فقلت: «لا كاتب إلا خالدٌ» هذا تعيين.

❁ **قوله «ومنها العطف بـ «لا»...»:**

ما أتى بمثال «لكن!»، انزع «بل» وضع بدلها «لكن»؛ يستقيم، تقول: «ما أنا حاسب لكن كاتب».

❁ قوله «ومنها: تقديم ما حقه التأخير»:

الآن ذكر الطرق:

١- النفي والاستثناء، وهو أعلاها، مثل: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: ما هذا إلا ملكٌ كريم، وهذا الحصر إضافي؛ يعني أن النسوة قُلْنَ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٢- «إنما»، والفرق بين «إلا» و«إنما»؛ أن «إلا» يليها المحصور فيه، و«إنما» يليها المحصور، انتبه للفرق، مثاله: «إنما الفاهم عليٌّ» الآن حصرت الفهم بـ «عليٌّ»؛ لأن «إنما» يليها المحصور.

٣- «لا» تقول: «القائم عليٌّ لا بكرٌ».

٤- «بل»: «ما القائم فلانٌ بل فلانٌ».

٥- «لكن»: «ما القائم فلانٌ لكن فلانٌ».

٦- تقديم ما حقُّه التأخير: هذه عامة، كل «تقديم ما حقُّه التأخير» فهو مفيد للحصر، سواء كان مفعولًا به أو كان خبرًا أو غير ذلك.

الباب الخامس: الفصل والوصل

الوَصْلُ: عَطْفُ جملةٍ علىٰ أُخرىٰ.

والفَصْلُ: تَرْكُهُ.

والكلامُ هنا قاصِرٌ علىٰ العطفِ بالواوِ؛ لأنَّ العطفَ بغيرِها لا يَقعُ فيه اشْتِباهٌ.

ولكلٍّ من الوصلِ بها والفصلِ مواضِعُ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «الفصل والوصل»:**

الوصل: عطف الشيء على الشيء بالواو.

والفصل: ترك عطفه بالواو.

هذا الضابط، ولكل منهما مواضع يذكرها المؤلف.

مواضع الوصل بالواو

يَجِبُ الوَصْلُ في موضعَينِ:

الأول: إذا اتَّفَقَتِ الجُملتانِ خبرًا أو إنشاءً وكان بينهما جِهةٌ جامِعَةٌ؛ أي: مناسَبَةٌ تامَّةٌ، ولم يكن مانِعٌ مِن العطفِ، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، ونحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

الثاني: إذا أَوْهَمَ تَرْكُ العطفِ خَلافَ المقصودِ، كما إذا قُلْتَ: «لا، وشَفَاه اللهُ» جوابًا لمن يَسألُك: «هل بَرِئَ عليٌّ مِن المرض؟»، فتَرْكُ الواوِ يُوهِمُ الدعاءَ عليه، وغَرَضُك الدعاءُ له.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾: الآن لو فُصِلَ وقلت: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ تنافرت الجملتان فإذا قلت: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ صارت المناسبة بينهما أظهر، فهنا وصل؛ لأننا عطفنا إحدىٰ الجملتين علىٰ الأخرىٰ بالواو.

❁ قوله «﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾»:

كذلك أيضًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ لو حذفت الواو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ لم يكن بين الجملتين تناسب، لكن لو قلنا ﴿وَلْيَبْكُوا۟﴾ قرنت الواو بينهما وصار بينهما مناسبة.

❁ قوله «إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود...»:

هذه كثيرًا ما تقع، ويخطئ فيها الناس، دائمًا يقولون: «**لا هداك الله**» «**لا رحمك الله**»، تسأله: «**هل قدم زيد؟**» يقول: «**لا رحمك الله**»، «**هل شُفي من المرض؟**» فيقول: «**لا شفاه الله**»، وما أشبه ذلك، هنا يتعين العطف بالواو وهو الوصل، فتقول: «**لا، وشفاه الله**».

لو قلت لمن سألك: «**هل بَرِئَ من المرض؟**»: «**لا شفاه الله؛ سيقول لك «ما الذي بينك وبينه؟ لماذا تدعو له بعدم الشفاء»**، لكن إذا قلت: «**لا، وشفاه الله**» قطعت هذا الاحتمال، وصال الوصل هنا واجبًا.

أكثر مخاطبتنا بعدم الواو، لكن ينبغي أن تضع ذلك في ذهنك أن تأتي بالوصل.

مواضع الفصل

يَجِبُ الفَصْلُ في خمسةِ مواضعَ:

الأول: أن يكونَ بين الجُملتَيْنِ اتِّحادٌ تامٌّ بأن تكونَ الثانيةُ:

- بَدَلًا من الأُولىٰ، نحو: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣].

- أو بأن تكونَ بَيانًا لها، نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

- أو بأن تكونَ مُؤَكِّدَةً لها، نحو: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

ويُقال في هذا الموضعِ: إنَّ بين الجملتين كمالَ الاتِّصالِ.

الثاني: أن يكونَ بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ:

- بأن يَخْتَلِفَا خبرًا وإنشاءً، كقوله [المُنْسَرِح]:

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عن خَلائِقِهِ ... في وَجْهِهِ شاهِدٌ مِن الخَبَرِ

وكقولِ الآخَرِ [البسيط]:

وقالَ رائِدُهُمْ: أَرْسُوا نُزاوِلُها ... فَحَتْفُ كُلِّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدارِ

- أو بأن لا يكونَ بينهما مُناسَبةٌ في المعنىٰ، كقولك: «عليٌّ كاتِبٌ، الحَمامُ طائِرٌ» فإنَّه لا مُناسَبةَ في المعنىٰ بين كتابَةِ عليٍّ وطَيَرانِ الحَمامِ.

ويُقال في هذا الموضعِ: إنَّ بين الجملتين كمالَ الانقطاعِ.

الثالث: كَوْنُ الجملةِ الثانيةِ جوابًا عن سؤالٍ نَشَأ من الجملة الأُولىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف: ٥٣].

ويُقال: بين الجملتين شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ.

الرابع: أن تُسْبَقَ جملةٌ بجملتين يَصِحُّ عطفُها علىٰ إحداهما؛ لِوُجودِ المناسَبةِ، وفي عطفِها علىٰ الأُخرىٰ فسادٌ، فيُتْرَكُ العطف؛ دَفْعًا للوَهْمِ، كقوله [الكامل]:

وَتَظُنُّ سَلْمَىٰ أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلًا، أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

فجملةُ «أُراها» يَصِحُّ عطفُها علىٰ «تَظُنُّ»، لكن يَمْنَعُ مِن هذا تَوَهُّمُ العطفِ علىٰ جملةِ «أبغي بها»، فتكون الجملةُ الثالثةُ من مَظْنوناتِ سَلْمَىٰ، مع أنه ليس مُرادًا.

ويُقال: بين الجملتين في هذا الموضِعِ شِبْهُ كمالِ الانقطاعِ.

الخامس: أن لا يُقْصَدَ تَشريكُ الجملتين في الحُكْمِ؛ لِقيامِ مانِعٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[البقرة: ١٤-١٥]، فجملةُ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يَصِحُّ عطفُها علىٰ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لاقْتِضائِه أنه مِن مَقُولِهم، ولا علىٰ جملةِ ﴿قَالُوٓا۟﴾؛ لاقْتِضائِه أنَّ استهزاءَ اللهِ بهم مُقَيَّدٌ بحالِ خُلُوِّهِم إلىٰ شياطينهم.

ويُقال: بين الجملتين في هذا الموضعِ تَوَسُّطٌ بين الكمالَيْن.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾»:

بماذا أمدنا؟ أمدكم بأنعام وبنين؛ لأنك هنا لو وصلت وقلت: «**وأمدكم**»صارت الثانية غير الأولىٰ، والمقصود بيان أن الثانية هي الأولىٰ، لو كانت الآية الكريمة: «**أمدكم بما تعلمون وأمدكم بأنعام وبنين**»؛ صارت الثانية غير الأولىٰ والمقصود بيان أن الثانية هي الأولىٰ، فيكون ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ بدلًا من الأولىٰ.

قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: القائل إبليس، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ يعني: ألقىٰ إليه الوسواس، ولم يقل: «**فوسوس له**» بل أوصله إليه، كلمة ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ بيان للوسوسة التي ألقاها إليه الشيطان، لو قال: «**فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم**» لكان ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ غير الوسوسة، لكن وسوس إليه بشيء غير مذكور.

قوله: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾: «**مهِّل**» و«**أمْهِلْ**» معناهما واحد، ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا مطلق ما يدرىٰ هل أُمْهِلْهُم قليلًا أو كثيرًا؟ فيذهب الذهن كل مذهب، فقال ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

فإن قال قائل: لماذا قال «مَهِّل» و«أمْهِل»؟

قلنا: هذا اختلاف الفعلين؛ لئلا يقع التكرار، وهو ما يسمىٰ عندهم بـ«**التفنن في العبارة**».

إذًا؛ لو كان في غير القرآن وقلت: «**أمهل الكافرين أمهلهم رويدًا**» يجوز، -وهو في غير القرآن- أيضًا: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ يجوز.

❁ قوله «إن بين الجملتين كمال الاتصال»:

لأن الثانية هي الأولىٰ أو بدل منها أو بيان لها، فبينهما كمال الاتصال.

❁ قوله «بأن يختلفا خبرًا وإنشاءً»:

هذا عكس الأولىٰ، والتباين فسَّره: بأن يختلفا خبرًا وإنشاءً؛ يعني بأن تكون إحداهما خبرًا والأخرىٰ إنشاءً.

❁ **قوله:**

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عن خَلائِقِهِ ... في وَجْهِهِ شاهِدٌ مِن الخَبَرِ

يعني لا تسأله: ما الذي بك؟ ما الذي أغضبك؟ ما الذي سرَّك؟ لا تسأله؛ لأن في وجهه شاهدًا من الخبر، الإنسان يعرف الشخص إذا رأىٰ وجهه، يعرف أنه مسرور أو مغموم، يعرف أنه عدو أو صديق، فالوجوه في الحقيقة صفحات القلوب.

هاتان الجملتان اختلفتا خبرًا وإنشاءً: الأولىٰ: إنشاء، والثانية: خبر.

❁ **قوله:**

وقالَ رائِدُهُمْ: أَرْسُوا نُزاوِلُها ... فَحَتْفُ كُلِّ امْرِئٍ يَجْرِي بمقدارِ

بينهما تباين، الأولىٰ: إنشاء، والثانية: خبر، هل بين الجملتين انفصال؟ هناك عطف: «**فَحَتْفُ**»، ولكن بغير الواو، العطفُ بغير الواو فصل.

❁ **قوله «إن بين الجملتين كمال الانقطاع»:**

الآن لو قال قائل: «**عليٌّ كاتب، والحمامُ طائرٌ**»؛ كان الناس ينتقدون عليه، ما العلاقة بين «**عليٌّ كاتب**» و«**الحمام طائر**»؟! ما العلاقة؟!، فإذا قال: «**عليٌّ كاتب، الحمام طائر**» فصلهما ولم يجعل بينهما علاقة، فبينهما إذًا؛ تباينٌ تام لعدم المناسبة.

❁ **قوله «كون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة الأولىٰ...»:**

كلتا الجملتين خبر، لكن الثانية تعليل للأولىٰ، فالجملة التعليلية بينها وبين الأولىٰ فصل، يجب الفصل؛ لأنها تعليل لها.

❁ **وقوله «الرابع: أن تسبق جملة بجملتين»:**

لو قال: «**وأُراها**» لكان يحتمل أن تكون عطفًا علىٰ «**تظن**»، وأن تكون عطفًا علىٰ «**أبغي**»، والمعنىٰ يختلف اختلافًا عظيمًا؛ لذلك نقول: اقطع العطف؛ لتكون جملة مستقلة: «**أُراها في الضلال تهيم**».

❁ قوله «الخامس: أن لا يُقصد تشريك الجملتين...»:

إذا لم يقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام مانع فإنه يجب الفصل؛ لئلا يتوهم واهِمٌ أن الجملتين مشتركتان في الحكم.

إذا قال قائل: هذه المعاني التي قالها المؤلف بماذا تُدرَك؟

فالجواب: أنها تدرك بسياق الكلام وما يحتمله من المعاني؛ ولذلك ربما يفهم بعض الناس أن الأولىٰ الفصل، وآخر يرىٰ أن الأولىٰ الوصل؛ لأن الأفهام تختلف، فالشيء الذي يرجع إلىٰ القرائن هنا لا بد أن يختلف الناس فيه، لكن أنت إذا عرفت الضابط نزل كلامك الذي تتكلم به علىٰ هذا الضابط.

❁ قوله «ويقال»:

أما قول المؤلف: «**ويقال ويقال**»: فهذا تعريف الاصطلاح: اصطلاح البلاغين، بمعنىٰ أنت إن شئت لا تقل بهذا، لكن الاصطلاح لا مشاحة فيه.

الباب السادس:

الإيجاز والإطناب والمساواة

كلُّ ما يَجولُ في الصَّدْرِ من المعاني يُمْكِنُ أن يُعَبَّرَ عنه بثلاثِ طُرقٍ:

١ - الْمُسَاواة: وهي تَأْدِيَةُ المعنىٰ المُرادِ بعبارةٍ مُساوِيَةٍ له، بأن تكونَ علىٰ الحَدِّ الذي جَرَىٰ به عُرْفُ أَوْساطِ الناس: وهم الذين لم يَرْتَقُوا إلىٰ درجة البلاغِة، ولم يَنْحَطُّوا إلىٰ درجة الفَهَاهَةِ، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢ - والإيجاز: وهو تَأْدِيَةُ المعنىٰ بعبارةٍ ناقِصَةٍ عنه مع وَفائِها بالغَرَضِ، نحو: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ»[٩]، فإذا لم تَفِ بالغَرَضِ سُمِّيَ إخلالًا، كقوله: [مجزوء الكامل]:

والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِلا ... لِ النُّوكِ مِمَّنْ عاشَ كَدَّا

مُرادُه: أنَّ العَيْشَ الرَّغَدَ في ظِلالِ الحُمْقِ خيرٌ مِن العَيْشِ الشَّاقِّ في ظِلالِ العَقْلِ.

٣ - والإطناب: وهو تَأْدِيَةُ المعنىٰ بعبارةٍ زائدة عنه مع الفائِدةِ، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]؛ أي: كَبِرْتُ.

---

(٩) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة...، برقم (٥٤)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»...، برقم (١٩٠٧)، وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فإذا لم تكُنْ في الزِّيادةِ فائِدةٌ سُمِّيَ تطويلًا إن كانت الزِّيادةُ غيرَ مُتَعَيِّنَةٍ، وحَشْوًا إن تَعَيَّنَتْ.

فالتطويلُ نحو [الوافر]:

..... وأَلْفَـــىٰ قَوْلَـــهَا كَـــذِبًا ومَيْنًـــا

والحَشْوُ نحو [الطويل]:

وَأَعْلَـمُ عِلْـمَ اليـومِ والأمْـسِ قَبْلَـهُ .....

ومن دواعي الإيجازِ: تسهيلُ الحفظِ، وتقريبُ الفَهْمِ، وضِيقُ المَقامِ، والإخفاءُ، وسآمَةُ المُحادَثَةِ.

ومن دواعي الإطنابِ: تَثْبيتُ المعنىٰ، وتوضيحُ المُرادِ، والتوكيدُ، ودَفْعُ الإيهامِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «الإيجاز والإطناب والمساواة»:

هذا أيضًا من المهم: هل الأولىٰ في الكلام الإطناب، أو الأولىٰ القصر والاختصار، أو الأولىٰ التسوية؟، هذا يرجع إلىٰ ما تقتضيه الحال.

❁ قوله «المساواة...»:

هذا من جنس اللقطة، تتبعه همة أوساط الناس.

❁ قوله «والإيجاز...»:

الإيجاز ذكر المؤلف أنه: «**أن يؤتىٰ بعبارة ناقصة مع وفائها بالغرض**»، النقص قد يكون نقصًا في الجمل، وقد يكون نقصًا بالحذف وهذا أكثر ما يكون في القصص، في القرآن الكريم تأمل أن القصص – قصة يوسف وقصة موسىٰ – يكون فيها حذف كثيرًا، هذا الذي نسميه إيجازًا.

❁ قوله «إنما الأعمال بالنيات»[١٠]:

هذا إيجاز، لكنه واضح أو غير واضح؟ واضح.

«**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١١]. إيجاز.

«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[١٢] هذا إيجاز مع وضوح المعنىٰ.

الإيجاز له مَحلَّات ومواضع، والإطناب له محلات ومواضع.

❁ قوله «فإذا لم تفِ بالغرض سمي إخلالًا...»:

هذا مُخِلٌّ ولا يفهم معناه أحد، مع أنه غير مُسَلَّم، نحن نرىٰ أن العيش في ظلال العقل وإن كان

---

(١٠) سبق تخريجه برقم (٩).

(١١) أخرجه مسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة...، برقم (١٨/ ١٧١٨).

(١٢) أخرجه البخاري، كتاب:الأدب، باب: من كان يؤمن بالله...، برقم (٦٠١٨) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث علي إكرام الجار...، برقم (٧٤/ ٤٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شاقًّا خير من العيش في ظلال النُّوك -يعني: الترف والتنعم- لكن أكثر الناس بهائم يريد أن يعيش في ترف ورخاء وإن كان عيشه ليس مبنيًّا على العقل.

❁ قوله «الإطناب...»:

الإطناب: هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عنه -أي: عن المعنى- مع الفائدة، فإن لم يكن فائدة سمي تطويلًا إن كانت الزيادة غير متعينة، وحشوًا إن تعينت، مثلًا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذا كناية عن كبر السن، لو قال: «رب إني كبرت» صح الكلام؛ يعني: حصل المقصود، لكن أراد أن يبين الدلالة الواضحة على كبره وهو الجمع بين هذين الأمرين:

١- وهن العظم.

٢ - واشتعال الرأس شيبًا.

لو أن أحدهما تخلَّف فليس دليلًا على الكبر؛ لأنه ربما يَهِنُ العظم من مرض مع صغره، وربما يشتعل الرأس شيبًا مع صغره، وهذا واقع، لكن إذا اجتمعا كان ذلك دليلًا على الكبر.

إذا لم يكن في الزيادة فائدة فإن كانت الزيادة غير متعينة فهو تطويل، وإن كانت متعينة فهو حشو، مثال ذلك: «**وألفى قولَها كذبًا وميْنًا**» الآن «**كذبًا وميْنًا**» معناهما: «**كذبٌ**»، أيهما الزائد؟

الطلبة: المين.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، الزيادة غير متعينة، لا ندري هي الأولى أو الثانية، لو قال: «**وألفى قولها كذبًا**» صح، و«**ألفى قولها مينًا**» صح، فلا ندري أيهما الزائد.

قد يقول قائل كما قلتم: «**إن الزائد هو الثاني؛ لأنه لو اقتصر على «كذبًا» استغنى عن الثاني**».

فيقال: إن الواو -التي هي حرف العطف- تقتضي الاشتراك، وإن كانت تقتضي التشريك صارت الكلمتان كأنهما كلمة احدة، فأحدهما يستغنى عنه ولا يعلم أيهما.

وأما «**وأعلم علم اليوم والأمس قبله**»: فالثانية زائدة قطعًا؛ لأن كلمة «**أمس**» تغني عن «**قبله**»، وليس بينهما عطف بالواو حتى نقول إن هناك اشتراكًا.

بقية البيت: «**ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ**»؛ يعني: لا أعلم.

الخلاصة:

- إن زاد اللفظ على المعنى فهو إطناب.

- وإن كان المعنى أكثر فهو إيجاز.

- وإن تساوى اللفظ والمعنى فهو مساواة، قولك: «قام زيد» مساواة، وأكثر الكلام مساواة.

- الإطناب إن لم يكن فائدة في الزيادة فهو تطويل، فإن تعينت الزيادة فهو حشو.

❁ قوله «ومن دواعي الإيجاز...»:

صحيح، أو الإنسان له شغل مثلًا، فأسباب الإطناب كثيرة:

- تسهيل الحفظ؛ ولذلك صار العلماء رحمهم الله يختصرون الكتب المطولة.

- تقريب الفهم، أيضًا ربما إذا طال الكلام ينسى آخرُه أولَه، فإذا صار قصيرًا فهمه الإنسان.

- ضيق المقام، يكون الإنسان عجلًا لا يستطيع أن يطوِّل؛ لأن المقام لا يقتضي.

- الإخفاء؛ يعني: أنه يحذف بعض الأمور إخفاءً لها.

- سآمة المحادثة؛ يعني: أن الذي تخاطبه سئم منك، وتشعر هذا إذا قلت «خلاص» وهو يقول: «كيف حالك، كيف العيال، كيف الحر عندكم...؟»، نفصِّل كل شيء؟!، تقول له: «خلاص» ويظل يسأل!، هنا يحسن الإيجاز.

ولذلك ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نُطوِّل عليهم، نقتصر على «السلام عليكم، كيف حالكم، ما تقول في كذا وكذا؟»، أو تسأل حاجتك التي تريد.

❁ قوله «ومن دواعي الإطناب...»:

هذه من الدواعي، ومن الدواعي:

بلاهة المخاطب، إذا كان المخاطب أبله يحتاج أن تطوِّل له وتأتي بالمرادف وبالتوكيد حتى يفهم، ولعله داخل في قول المؤلف: «توضيح المراد».

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إمَّا أن يكونَ بتضمُّنِ العبارة القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مَرْكَزُ عِنايةِ البُلَغاءِ، وبه تتفاوَتُ أقدارُهم، ويُسمَّىٰ: إيجازَ قِصَرٍ، نحو قولِه تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة: ١٧٩].

وإمَّا أن يكونَ بحذفِ كلمةٍ أو جملةٍ أو أكثرَ مع قرينةٍ تُعَيِّنُ المحذوف، ويُسمَّىٰ: إيجازَ حَذْفٍ.

فَحَذْفُ الكلمةِ، كحذفِ «لا» في قول امرئ القيس [الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعِدًا ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيكِ وأَوْصالِي

وحَذْفُ الجملةِ، كقولِهِ تعالىٰ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[آل عمران: ١٨٤]؛ أي: فَتَأَسَّ وَٱصْبِرْ.

وحَذْفُ الأكثر، نحو قولِه تعالىٰ: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[يوسف: ٤٥-٤٦]؛ أي: أَرْسِلوني إلىٰ يوسُفَ لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيا، فَفَعَلُوا، فَأَتَاهُ، وقال له: يا يوسُفُ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «أقسام الإيجاز...»:

النوع الأول وهو إيجاز القصر، هذا يختلف فيه الناس اختلافًا عظيمًا، قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ هذه عبارة مختصرة لكنها جمعت بين الحُكم وكيفية تنفيذه والغاية منه، الحُكم: القصاص، الغاية منه، الحياة، الحكم أن يُفعل بالجاني كما فَعل.

اشتهر عند الجاهلين عبارة يتناقلونها ويرون أنها من أبلغ العبارات، وهي قولهم: «القتل أنفىٰ للقتل»، لكن لو قارنت بينها وبين هذه الآية لوجدت الفرق العظيم؛ لأن «القتل أنفىٰ للقتل» كلها قتل ليس فيها حياة؛ ولأنها ليس فيها دليل علىٰ أنها مقاصَّة.

وذكروا عشرة أوجه في الفرق بينهما، مع أننا لا نحبذ هذا؛ لأنه لا شك أنه لا سواء ولا مقاربة بين صفات الخالق والمخلوق، والقرآن صفة الخالق ﷻ.

إذًا؛ هذه فيها إيجاز قصر؛ لأنها تضمنت معاني كثيرة مع أن كلماتها قليلة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾.

❁ قوله «فَقُلْتُ: يَمِينُ الله أَبْرَحُ قاعِدًا...»:

التقدير «لا أبرح»؛ لأن «أبرح» و«أزال» و«فتئ» و«انفك» لا تعمل عمل «كان» إلا إذا سبقت بنفي أو معناه.

❁ قوله «وحذف الأكثر»:

بدلًا من كلام المؤلف الطويل هذا نقول: حذف الأكثر قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، فأرسلوه، فأتىٰ يوسف، وقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، فتجد فيها حذفًا، وكما قلت لكم قبل: الغالب في القصص أن يكون فيها إيجاز حذف.

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأمورٍ كثيرةٍ:

١- منها: ذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ، نحو: «اجْتَهِدُوا في دُروسِكم واللُّغةِ العربيَّةِ»، وفائدتُه: التنبيهُ على فَضْلِ الخاصِّ، كأنَّه لِرِفْعَتِه جِنْسٌ آخَرُ مغايرٌ لِمَا قَبْلَه.

٢-ومنها: ذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ، كقوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

٣- ومنها: الإيضاحُ بعد الإبهامِ، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾. [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣].

٤- منها: التكريرُ لِغَرَضٍ:

كطُولِ الفَصْلِ في قوله [الطويل]:

وإنَّ أمـــرَأً دامَـــتْ مواثيـــقُ عَهْـــدِهِ عـــلى مِثْـــلِ هـــذا إنَّـــهُ لَكَـــريمُ

وكزيادةِ الترغيب في العَفْوِ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وكتأكيدِ الإنذارِ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ﴾ [التكاثر: ٣-٤].

٥ - ومنها: الاعتراضُ: وهو تَوَسُّطُ لفظٍ بين أجزاء جملةٍ أو بين جملتين مرتبطَتين معنىً لِغَرَضٍ، نحو [السريع]:

إنَّ الثمانينَ -وبُلِّغْتَها- قد أَحْوَجَتْ سَمْعِيْ إلى تَرْجُمانْ

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

٦ - ومنها: التَّذْييلُ: وهو تَعْقيبُ الجملةِ بأُخْرَىٰ تَشتمِلُ علىٰ معناها؛ تأكيدًا لها، وهو: إمَّا أن يكونَ جاريًا مجرَىٰ المَثَلِ؛ لاستقلالِ معناه واستغنائِه عمَّا قَبْلَه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإمَّا أن يكونَ غيرَ جارٍ مجرَىٰ المَثَلِ؛ لعدم استغنائِه عمَّا قَبْلَه، كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٧].

٧ - ومنها: الاحتراسُ: وهو أن يُؤْتَىٰ في كلامٍ يُوهِمُ خِلافَ المقصودِ بما يَدْفَعُه، نحو [الكامل]:

فَسَقَىٰ ديارَكِ غيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرَّبيعِ ودِيمَةٌ تَهْمي

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «ذكر الخاص بعد العام»:

نحو «اجتهدوا في دروسكم واللغة العربية»: الشاهد قوله: «واللغة العربية»؛ لأنها من دروسهم، لكن نص عليها لما سيأتي، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، فـ«الروح» بعض الملائكة، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

❁ قوله «ومنها ذكر العام بعد الخاص، كقوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾»:

قوله: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ هذا خاص ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ أعم لكنه خاص بالنسبة؛ لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، فصارت الآية فيها ترقٍّ من العام إلىٰ ما هو أعم ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ ووالداه يدخلان بيته، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، والفائدة: إرادة العموم بعد التخصيص.

في هذه الآية دليل علىٰ أن أبوي نوح كانا مؤمنين؛ لأنه استغفر لهما ولم ينه عن ذلك، بخلاف إبراهيم عليه السلام، فإنه استغفر لأبويه ولكنه نُهِيَ عن الاستغفار لأبيه، قال الله تعالىٰ في إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

❁ قوله «كطول الفصل في قوله [الطويل]»:

وإنَّ امـرَأً دامَـتْ مواثيـقُ عَهْـدِهِ ... عـلىٰ مِثْـلِ هـذا إنَّـهُ لَكَـريمُ

الشاهد قوله: «إنه لكريم»: لو حذف «إنه» وقال:

وإنَّ امـرَأً دامَـتْ مواثيـقُ عَهْـدِهِ ... عـلىٰ مِثْـلِ هـذا لَكَـريمُ

يستقيم الكلام، لكن لطول الفصل أعاد فقال: «إنه لكريم».

❁ قوله «وكزيادة الترغيب في العفو»:

قوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾، ﴿تَعْفُواْ﴾: هذا العفو، لكن العافي قد لا يصفح، قد

يتكلم فيمن جنىٰ عليه، لكن إذا صفح – يعني: أعرض عنه وولاه صفحة عنقه – صار أبلغ من مجرد العفو، ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: هذا أبلغ، بأن تستروا عليهم، ولا يبقىٰ في قلوبكم شيء، فهو من باب الترقي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ.

❁ قوله «وكتأكيد الإنذار»:

وكذلك في سورة النبإ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان: ٤-٥]

❁ قوله:

«إنَّ الثمانـــــينَ –وبُلِّغْتَهـــــا– قـد أَحْوَجَـتْ سَـمْعِيْ إلىٰ تَرْجُمـانْ»

هذا توسط لفظ بين أجزاء جملة، الجملة: «**الثمانين**» و«**قد أحوجت**»، و«**بلغتها**» جملة معترضة، يخاطب الملك يقول: «**وبلغتها أنت**»، فجملة «**وبلغتها**» دعائية يدعو له بأن يبلغ الثمانين، «**قد أحوجت سمعي إلىٰ ترجمان**»؛ يعني: أنه ثقل سمعه لما بلغ الثمانين، واحتاج إلىٰ ترجمان؛ يعني: أحد يبلغ؛ لأن المبلغ مترجم.

❁ قوله «ونحو قوله تعالىٰ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾»:

هذا بين جملتين ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ المقصود بذلك تنزيه الله ﷻ عما جعلوه له من البنات، وهذه الكلمة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ في هذا الموضع من أحسن ما يكون موضعًا، كقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١] فالاحتراز هنا من أحسن ما يكون.

❁ قوله «ومنها التذييل...»:

الشاهد في الآية الأولىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فهذا يصلح أن يكون مثلًا، كلما قيل لك: «**إن الباطل خُذِلَ صاحبُه**» تقول: «**إن الباطل كان زهوقًا**».

الثاني: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ لا يمكن أن تجعلها مثلًا؛ لأنها مرتبطة بما قبلها: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ هذا يسمىٰ التذييل؛ لأن الجملة الثانية وقعت ذيلًا للجملة الأولىٰ.

وهنا: التذييل، والحاشية، والهامش، بينها فرق:

١- الهامش: يكون عن اليمين أو اليسار أو فوق.

٢- والحاشية: أسفل.

٣- والتذييل: أن يؤتَىٰ بجملة بعد جملة لكن لها اتصال بها ونوع من التكميل.

❁ قوله:

فَسَقىٰ ديارَكِ غيرَ مُفْسِدِها ... صَوْبُ الرَّبيعِ وديمَةٌ تَهْمي

الشاهد قوله: «غير مفسدها»؛ لأنه لو قال: «فسقىٰ ديارك صوب الربيع وديمة تهمي»؛ لأوهم أنه إذا كثر المطر يفسد الديار، فقال: «غير مفسدها»، هذا احتراس.

وبهذا انتهىٰ علم المعاني، وأرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن تكونوا انتفعتم ولو ببعض الشيء؛ لأننا قصدنا ألا نطوِّل خوفًا من ألا نكمل.

أسئلة

س ١: في الدعاء، هل الأفضل الإطناب أو المساواة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، الأفضل الإطناب، الغالب في الدعاء الإطناب، وقد يكون إيجازًا مثل: ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢٠١] هذا إيجاز يشمل ما لا يحصىٰ، لكن: «**اللهم اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي**»، «**اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أعلنت، وما أسررت**»؛ هذه كلها إطناب.

س ٢: هناك نوع من الإطناب من البعض يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وعمي وخالي...»؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إطناب غير محمود، يقول: «**اللهم اغفر لي ولأبي وأمي وخالي وعمي وجدي وجاري وصديقي...**»!! الإطناب فيما يتعلق بنفس الإنسان.

س ٣: ما الفرق بين الزيادة المتعيِّنة والزيادة غير المتعينة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الفرق بينهما أنه إذا كان العطف بالواو فالزيادة غير متعينة؛ لأن الواو تقتضي التشريك، فلا يُدرىٰ أيهما المقصود، أما إذا كان ليس بينهما عطف فالزيادة هي الأخيرة.

س ٤: ما الفرق بين البدل والبيان؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: **البدل**: مساواة الشيء للشيء، مثل «**زيد أخوك**»، «**قام زيد أخوك**»، أما البيان فهو لا بد أن يكون فيه زيادة معنىٰ توضح.

س ٥ طالب يسأل: الله سبحانه وتعالى يسمع من العبد كلامه، ويعرف معنى ما يقصد، ويفهم ما يريد...

الشيط مصوبًا: قل: «يَعلَم» أحسن من «يفهم»؛ الله لا يُوصف بالفهم.

الطالب مكملاً: لكن الرسول ﷺ والسلف الصالح إذا دعوا الله سبحانه وتعالى بسطوا الدعاء، والله يعلم كل شيء يا شيطا، لا بد أن هذا فيه فائدة، لا أدري ما فائدته؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الفائدة هو إظهار الفقر إلىٰ الله ﷻ، كلما كثر الدعاء فهذا يكثر إظهار الحاجة

والفقر إلى الله ﷻ.

ثانيًا: جرت العادة أن الحبيب مع حبيبه يحب التبسط معه والزيادة في المناجاة.

ثالثًا: استحضار كل واحد؛ يعني مثلًا: «**اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه**» تستحضر جميع أنواع الذنوب: الدقيق، والجليل، والذي أسررته، والذي أعلنته.

علم البيان

البيانُ: عَلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن التشبيهِ، والمَجازِ، والكِنايةِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «البيان: علم يبحث فيه عن التشبيه، والمجاز، والكناية»:

معلوم أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كغيره من عامة العلماء الذين يثبتون المجاز، والمسألة خلافية: هل في اللغة العربية مجاز، أو كلها حقيقة، أو كلها مجاز؟

بعض العلماء يقول -علماء اللغة-: كل ألفاظ اللغة العربية كلها مجاز، حتىٰ قول الإنسان «قام زيدٌ» مجاز، وقد تكلم علىٰ هذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصواعق المرسلة» وقرأت هذا في مختصر الصواعق، وبيَّن أقوال الناس في هذا.

❁ قوله «الكناية»:

الكناية نوع من المجاز كما سيأتي.

التشبيه

التشبيهُ: إِلْحاقُ أَمْرٍ بأَمْرٍ في وَصْفٍ بأداةٍ لَغَرَضٍ.

والأمرُ الأوَّلُ يُسمَّىٰ: الْمُشَبَّهَ، والثاني: الْمُشَبَّهَ به، والوَصْفُ: وجْهَ الشَّبَهِ، والأداةُ: الكافُ أو نحوُها، نحو: «العِلْمُ كالنُّورِ في الهدايةِ»؛ فـ:

«العِلْمُ»: مُشَبَّهٌ.

و«النُّور»: مُشَبَّهٌ به.

و«الهداية»: وَجْهُ الشَّبَهِ.

والكافُ: أداةُ التشبيهِ.

ويَتعلَّقُ بالتشبيهِ ثلاثةُ مباحِثَ: الأوَّلُ: في أركانِه، والثاني: في أقسامِه، والثالثُ: في الغَرَضِ منه.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «التشبيه»:**

إلحاق أمر بأمر: هناك ملحق وملحق به.

في وصف: لا بد أن يكون هناك وصف جامع.

بأداة: وهي أداة التشبيه كـ «**الكاف**» و«**مثل**» و«**كأن**» وما أشبه ذلك.

لغرض؛ أي: لغرض من أغراض التشبيه، فإذا قلت: «**فلان كالبحر**» ما الغرض؟ كثرة الكرم، وسعة الكرم، فلا بد من غرض، وستأتي – إن شاء الله – أغراض التشبيه.

«**أركان التشبيه**»: إذًا؛ أربعة أركان: مشبه، مشبه به، أداة تشبيه، وجه شبه، أضعف أنواع التشبيه هو الذي ذكر فيه جميع أركان التشبيه.

المبحث الأول: في أركان التشبيه

أركانُ التشبيهِ أربعةٌ: المُشَبَّهُ، والمُشَبَّهُ به - ويُسَمَّيانِ طَرَفَي التشبيهِ - ووَجْهُ الشَّبَهِ والأداةُ.

ووجه الشبه: هو الوصف الخاص الذي قُصِدَ اشتراك الطرفين فيه، كـ«الهداية»، في «العلم» و«النور».

وأداة التشبيه: هي اللَّفظُ الذي يَدُلُّ على معنىٰ المُشابَهَةِ، كـ «الكاف» و«كأنَّ» وما في معناهما.

والكافُ يَليها المُشَبَّهُ به، بخلاف «كأنَّ» فيَليها المُشَبَّهُ، نحو [الطويل]:

كَـأَنَّ الثُّرَيَّـا راحَـةٌ تَـشْبُرُ الـدُّجَىٰ ... لِتَنْظُـرَ طـالَ اللَّيـلُ أَمْ قـد تَعَرَّضَـا

و«كأنَّ» تُفيدُ التشبيهَ إذا كان خبرُها جامِدًا، والشَّكَّ إذا كان خبرُها مُشْتَقًّا، نحو: «كأنَّك فاهِمٌ».

وقد يُذْكَرُ فَعْلٌ يُنْبِئُ عن التشبيه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[الإنسان: ١٩].

وإذا حُذِفَتْ أداةُ التشبيهِ ووَجْهُهُ سُمِّيَ تشبيهًا بليغًا، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[النبأ: ١٠]؛ أي: كاللِّباسِ في السِّتْرِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «ووجه الشبه: هو الوصف الخاص الذي قص اشتراك الطرفين فيه»:**

«الطرفين»؛ يعني: المشبه والمشبه به، أين المثال الذي ذكر؟:..«العلم كالنور في الهداية».

❁ **قوله ««كأن» تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدًا»:**

إذا كان خبر «كأن» جامدًا فيه للتشبيه، تقول: «كأنك أسد»: أسد جامد، «كأنك بحر» جامِد، هذه للتشبيه.

إذا كان مشتقًّا -سواء كان فعلًا أو اسم- فاعل فإنه يكون للظن، يقول المؤلف: «الشك»، والمراد: الظن، مثاله: «كأنك تفهم»؛ يعني: أظنك فاهمًا، وتقول: «كأنك قد علمت هذا الشيء»، هذا أيضًا للظن.

❁ **قوله «وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه...»:**

﴿حَسِبْتَهُمْ﴾؛ يعني: «ظننتهم».

﴿لُؤْلُؤًا مَنثُورًا﴾؛ لأنهم يشابهون اللؤلؤ المنثور.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ الضمير في «هم» يعود على الوِلْدان.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾؛ يعني: بكثرتهم وحسنهم وبهائهم.

المهم افهموا التشبيه، إذا اجتمعت أركان التشبيه الأربعة: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، وجه الشبه؛ فالذي يليه المشبه: «كأن» والذي يليه المشبه به: «الكاف».

«كأن» تكون للتشبيه إذا كان خبرها جامدًا، تتعين أن تكون للتشبيه، وتكون للظن إذا كان خبرها مشتقًّا، سواء اسم فاعل أو اسم مفعول أو فعلًا مضارعًا أو فعلًا ماضيًا المهم أن يكون مشتقًّا.

التشبيه البليغ: هو الذي حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، تقول: «محمد كالبحر في الكرم»، كيف نجعله بليغًا؟: «محمدٌ بحرٌ» هذا بليغ؛ لأنك بالغت في التشبيه حتى جعلت المشبه نفس المشبه به.

وستأتينا -إن شاء الله تعالى- أقسام أخرى، لكن المؤلف أراد أن يشير إشارة.

المبحث الثاني: في أقسام التشبيه

ينقسم التشبيهُ باعتبارِ وَجْهِ الشَّبَهِ إلىٰ تمثيلٍ وغير تمثيلٍ:

فالتمثيلُ: ما كان وَجْهُهُ مُنْتَزَعًا مِن مُتَعَدِّدٍ، كتشبيهِ الثُّرَيَّا بعنقودِ العِنَبِ المُنَوَّرِ.

وغيرُ التمثيلِ: ما ليس كذلك، كتشبيهِ النَّجْمِ بالدِّرْهَمِ.

وينقسم أيضًا: بهذا الاعتبار – إلىٰ مُفَصَّلٍ ومُجْمَلٍ:

- فالأول: ما ذُكِرَ فيه وَجْهُ الشَّبَهِ، نحو [المُجْتَثّ]:

وَثَغْـــــرُهُ في صَـــــفاءٍ وَأَدْمُعِـــــي كـــــاللَّآلِي

والثاني: ما ليس كذلك، نحو: «النَّحْوُ في الكَلامِ كالمِلْحِ في الطَّعامِ».

وينقسم باعتبار أداتِه إلىٰ:

مُؤكَّدٍ: وهو ما حُذِفَتْ أداتُه، نحو: «هو بَحْرٌ في الجُودِ».

ومُرْسَلٍ: وهو ما ليس كذلك، نحو: «هو كالبحر كَرَمًا».

ومِن المؤكَّدِ ما أُضِيفَ فيه المُشَبَّهُ به إلىٰ المُشَبَّه، نحو [الكامل]:

والـرِّيحُ تَعْبَـثُ بالغُـصونِ، وقـد جَـرَىٰ ذَهَـبُ الأصـيلِ عـلىٰ لُـجَيْنِ المـاءِ

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ **قوله «ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل»:**

- فإن كان مفردًا بمفرد فغير تمثيل.
- إذا كان جمعًا بمفرد فغير تمثيل.
- إذا كان مفردًا بجمع فتمثيل.
- أو جمعًا بجمع فتمثيل.

❁ **قوله «فالتمثيل: ما كان وجهه منتزعًا من متعدد، كتشبيه الثريا بعنقود العنب المنور»:**

هذا تمثيل؛ لأنه مركب من الهيئة ومن الحبات التي في الهيئة، الهيئة: جُرْمٌ منضم بعضه إلى بعض، الحبات متعددة، فيسمى هذا «تشبيه تمثيل»كتمثيل النجم بالدرهم.

وكتشبيه حصا الجمار بحب الباقلاء، هذا يكون غير تمثيل.

❁ **قوله:**

وَثَغْـــــــرُهُ في صَـــــــفاءٍ وَأَدْمُعِـــــــي كـــــــاللَّآلِي

قوله «في صفاء»:

هذا وجه الشبه، «**وأدمعي كاللآلي**»هذا المشبه به.

❁ **قوله «النَّحْوُ في الكَلامِ كالمِلْحِ في الطَّعامِ»:**

النحو في الكلام كالملح في الطعام في تقويمه وتهذيبه وطعمه، فوجه الشبه محذوف.

❁ **قوله «وينقسم باعتبار أداته إلى»:**

الآن:

- إذا وجد الطرفان فقط فهو «**بليغ**».
- إذا حذف وجه الشبه وبقيت الأداة فهو «**مجمل مرسل**».
- إذا حذفت الأداة ووجه الشبه فهو «**مؤكد مفصل**».

- وإن وجد الجميع فهو ضعيف، يقال له: «مرسل مفصل».

❁ قوله:

والرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصونِ، وقد جَرَىٰ ذَهَبُ الأصيلِ علىٰ لُجَيْنِ الماءِ

«ذهب الأصيل» لأن الأصيل -وهو آخر النهار- يكون أصفر كالذهب، المشبه به: الذهب، والأصيل: مشبه؛ لأن الأصيل تصفر به الشمس فتكون كالذهب، «علىٰ لجين الماء» اللجين: الفضة، والمعنىٰ: علىٰ ماء كاللجين.

المبحث الثالث: في أغراض التشبيه

الغَرَضُ من التشبيهِ:

١ - إمَّا بَيانُ إمْكانِ الْمُشَبَّهِ، نحو [الوافر]:

فـإنْ تَفُـقِ الأنَـامَ - وأنـتَ مِـنْهُمْ - فـإنَّ المِـسْكَ بَعْـضُ دَمِ الغَـزَالِ

فإنَّه لـمَّا ادَّعَىٰ أنَّ الممدوحَ مُبايِنٌ لأصلِهِ بخصائِصَ جَعَلَتْهُ حقيقةً مُنْفَرِدَةً؛ احْتَجَّ علىٰ إمْكانِ دَعْواهُ بتشبيهِهِ بالمِسْكِ الذي أَصلُهُ دَمُ الغَزَالِ.

٢ - وإمَّا بَيانُ حالِهِ، كما في قوله [الطويل]:

كأَنَّـك شَـمْسٌ والملـوكُ كواكِـبٌ إذا طَلَعَـتْ لَمْ يَبْـدُ مِـنْهُنَّ كَوْكَـبُ

٣ - وإمَّا بيانُ مِقْدارِ حالِهِ، نحو [الكامل]:

فيهـا اثْنَتَـانِ وأَرْبَعـونَ حَلُوبَـةً سُـودًا كخافِيَـةِ الغُـرابِ الأسْـحَمِ

شَبَّه النُّوقَ السُّودَ بخافِيَةِ الغُرابِ؛ بيانًا لِمِقْدارِ سَوادِها.

٤ - وإمَّا تقريرُ حالِهِ، نحو [الكامل]:

إنَّ القلـــوبَ إذا تَنـــافَرَ وُدُّهَـــا مِثْـلُ الزُّجاجَـةِ كَـسْرُها لا يُجْـبَرُ

شَبَّهَ تَنافُرَ القلوب بكَسْرِ الزُّجاجَةِ؛ تثبيتًا لِتَعَذُّرِ عَوْدَتِها إلىٰ ما كانت عليه مِن المَوَدَّة.

٥ - وإمَّا تَزْيِينُهُ، نحو [مجزوء الكامل]:

سَـــوْداءُ واضِـــحَةُ الجَبِيـــ ـــنِ كَمُقْلَـــةِ الظَّبْـــيِ الغَريـــرِ

شَبَّهَ سوادَها بسوادِ مُقْلَةِ الظَّبْي؛ تحسينًا لها.

٦ - وإمَّا تَقْبِيحُهُ، نحو [الكامل]:

وإذا أشَـــارَ مُحَـــدِّثًا فكأنَّـــهُ قِـــرْدٌ يُقَهْقِـــهُ أو عَجـــوزٌ تَلْطِـــمُ

وقد يَعودُ الغَرَضُ إلىٰ المُشَبَّهِ به إذا عُكِسَ طَرَفَا التشبيه، نحو [الكامل]:

وَبَـــدَا الـــصَّباحُ كـــأنَّ غُرَّتَـــهُ وَجْـــهُ الخليفَـــةِ حـــينَ يُمتَـــدَحُ

ومِثْلُ هذا يُسَمَّىٰ بالتشبيهِ المقلوبِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله:

فـإنْ تَفُـقِ الأنَـامَ -وأنـتَ مِـنْهُمْ- فـإنَّ المِـسْكَ بَعْـضُ دَمِ الغَـزَالِ

يُسَمَّىٰ هذا النوع من التشبيه «**التشبيه الضمني**»؛ لأنه خلا من أدوات التشبيه.

يخاطب الممدوح يقول: «إن كنت أعلىٰ من الأنام – وأنت منهم من مادتهم من تراب ثم من نطفة – فإن ذلك ممكن، ودليل الإمكان أن المسك بعض دم الغزال»، ومعلوم الفرق بين الدم وبين المسك مع أنه أصله، يقول: «أنت أيضًا أيها المخاطَب أنت من الأنام، من تراب ثم من نطفة، ولكنك تفوقهم كما يفوق المسك دم الغزال».

❁ قوله:

كأنَّـكَ شَـمْسٌ والملـوكُ كواكِـبُ إذا طَلَعَـتْ لَمْ يَبْـدُ مِـنْهُنَّ كَوْكَـبُ

هذا يبين حاله مع الملوك، يقول: إنك أنت تفوق الملوك، وحالك معهم كحال الشمس مع الكواكب، الشمس إذا طلعت تختفي النجوم، فهذا الملك بالنسبة للملوك الآخرين كالشمس مع الكواكب، تختفي معه الملوك في كل شيء: في الشجاعة، في الكرم، في السماحة، في الحذق، في كل شيء.

قوله: «**شَبَّه النُّوقَ السُّودَ بخافِيَةِ الغُرابِ**»: كثيرًا ما يأتي التشبيه؛ لبيان مقدار الشبه، السواد معلوم أنه قد يكون فاتحًا، وقد يكون شديد السواد، فهنا عرفنا أن هذه النوق الأربعين شديدة السواد.

❁ قوله:

إنَّ القلـوبَ إذا تَنـافَرَ وُدُّهَـا مِثْـلُ الزُّجاجَـةِ كَـسْرُها لا يُجْـبَرُ

هذا البيت ليس بصحيح؛ لأن القلوب قد يتنافر ودها ثم يرجع الود وهذا كثيرًا، ودليله قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وأيضًا «**أحبب حبيبك هونًا ما؛ فعسىٰ أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما؛ فعسىٰ أن يكون حبيبك يومًا ما**»، وهذا يُروىٰ حديثًا ولكنه ضعيف.

الشاهد من هذا البيت غير صحيح، لكن علىٰ ما يريده الشاعر به نقول: هذا المقصود به تقرير الحال.

❁ قوله:

سَـــوْداءُ واضِـــحَةُ الجَبِـــــ ـــنِ كَمُقْلَـــةِ الظَّبْـــيِ الغَريـــرِ

هذا يخاف أن يهجوه الناس باختيار السوداء، فبيَّن أن سوادها كمقلة الظبي الغرير، وهذا لا شك أنه تحسين.

❁ قوله:

وإذا أشـــارَ مُحَـــدِّثًا فكأنَّـــهُ قِـــرْدٌ يُقَهْقِـــهُ أو عَجـــوزٌ تَلْطِـــمُ

هو إذا قام يتحدث صار مثل القرد الذي يضحك، وإذا قام يشير بحديثه صار كأنه عجوز تلطم على رأسها، عندما يسمع الإنسان عن هذا الخطيب أنه بهذا الحال؛ فهل يرغب في سماعه؟ لا؛ لأنه قبَّحه عنده.

يقول الشاعر في العسل [البسيط]:

تقـولُ: «هـذا مُجـاجُ النَّحـلِ» تَمْدَحُـهُ وإن تَـشَأْ قُلْـتَ: «ذا قَـيْءُ الزنـابير»

مَـدْحًا وذَمًّـا ومـا جـاوَزْتَ وَصْـفَهُما والحـقُّ قـد يَعْتَريـهِ سـوءُ تعبـيرِ

وهذا صحيح؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرًا»(١٣)، أحيانًا يتكلم الإنسان -وعنده فصاحة- عن شيء كنت راغبًا فيه، فإذا به ينزِّله إلى أسفل من القدمين، أو بالعكس.

❁ قوله «بدا الصباح»:

والصباح إذا بدا بدا مُسفرًا، «كأن غرته»؛ يعني: بياضه «وجه الخليفة حين يمتدح» وكان الأولى أن يقول: «كأن وجه الخليفة حين يمتدح غرة الصباح»، لكنه عكس، فيكون هنا الغرض تحسين المشبه به.

(١٣) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٨٦٩)، من حديث عمار رضي الله عنه.

المجاز

هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ في غيرِ ما وُضِعَ له لِعَلاقَةٍ مع قرينةٍ مانِعَةٍ من إرادةِ المعنىٰ السابقِ، كـ «الدُّرَر» المُسْتَعْمَلَةُ في الكلماتِ الفصيحةِ في قَوْلِك: «فلانٌ يتكلَّمُ بالدُّرَر» فإنَّها مُسْتَعْمَلَةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له، إذْ قد وُضِعَتْ في الأصلِ لِلَّآلِئِ الحقيقيةِ، ثم نُقِلَتْ إلىٰ الكلماتِ الفصيحةِ لِعَلاقَةِ المُشابَهَةِ بينهما في الحُسْنِ، والذي يَمْنَعُ من إرادةِ المعنىٰ الحقيقيِّ قرينةُ «يتكلَّم».

وكـ«الأصابع» المُسْتَعْمَلَةِ في «الأنامِل» في قوله تعالىٰ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، فإنَّها مُسْتَعْمَلَةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له لِعَلاقَةِ أنَّ الأَنْمُلَةَ جُزْءٌ من الإصبع، فَاسْتُعْمِلَ الكلُّ في الجُزْءِ، وقرينةُ ذلك أنَّه لا يُمْكِنُ جَعْلُ الأصابعِ بتمامِها في الآذانِ.

والمَجازُ إن كانت عَلاقَتُهُ المُشابَهَةَ بين المعنىٰ المجازيِّ والمعنىٰ الحقيقيِّ – كما في المثال الأول – يُسَمَّىٰ استعارةً وإلَّا فَمجازٌ مُرْسَلٌ كما في المثال الثاني.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «المجاز»:

المجاز هل هو موجود في اللغة أو لا؟

من العلماء من أنكر أن يكون موجودًا في اللغة، وحجته أن المعنىٰ إنما يعينه السياق وقرائن الأحوال، وأن الكلمات نفسها ليس لها معنىٰ ذاتي بل هي بحسب التركيب، وإذا كانت بحسب التركيب صار الذي يعين المعنىٰ هو السياق، وإذا تعين المعنىٰ فهذا هو الحقيقة، فإذا قلت: «**رأيت أسدًا يحمل سيفًا**» هل يمكن لأي واحد يسمع هذا الكلام أن يشتبه عليه الأسد الحقيقي بالأسد الشجاع، أو لا يمكن؟: لا يمكن، إذًا؛ هو حقيقة، هذا اللفظ مستعمل حقيقة في موضعه بقرينة الحال، لكن لو قلت: «**رأيت أسدًا**» فهنا لا يمكن أن يراد به الرجل الشجاع؛ لأن الكلمة موضوعة في الأصل للحيوان المفترس المعروف، فَتُحْمَل عند عدم القرينة علىٰ ما وضعت له أولًا، وهذا الذي حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأطال فيه في كتاب «الإيمان»، ولخصه تلميذه ابن القيم وقربه إلىٰ الأفهام بكتابه «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة».

علىٰ كل حال يرىٰ هؤلاء العلماء أنه لا مجاز في اللغة مطلقًا، حجتهم أن المعنىٰ يعينه السياق، وأن الكلمة بسياقها لا يمكن أن يراد بها إلا ما سيقت له وهذا هو الحقيقة.

ومنهم من يرىٰ أن المجاز في اللغة واقع وفي القرآن ممنوع، كالشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: محمد الأمين، فإنه ألف رسالة تدل علىٰ أن المجاز ممنوع في القرآن لكنه موجود في اللغة العربية، حجته في ذلك يقول: إن من علامات المجاز جواز نفيه، ولا شيء في القرآن يجوز نفيه، فبطل أن يكون في القرآن مجاز، مثال ذلك لو قلت: «**رأيت أسدًا يحمل سيفًا**» يجوز لأي واحد أن يعارضك ويقول: «**هذا ليس بأسد، هذا رجل شجاع**» فمن علامات المجاز صحة نفيه، وليس في القرآن ما يصح نفيه.

لكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أقرب إلىٰ الصواب، ما دمنا نقول: «**إن المعنىٰ تابع للسياق وقرائن الأحوال**»؛ فإنه لا مجاز فيه، ولهذا نجد الفرق حتىٰ في نبرات الصوت، لو قلت لواحد: «**اسكت**» قالها الشيخ بهدوء، وآخر: «**اسكت**» قالها بشدة؛ يفهم من الأول: الأمر

بالسكوت بطمأنينة، ومن الثاني: الزجر بشدة، مع أن الاختلاف في الأداء فقط، فالمعاني تعينها السياقات والقرائن.

لكن الجمهور علىٰ ثبوت المجاز في القرآن وفي اللغة العربية، فلننظر ما هو المجاز عندهم؟

❁ قوله «يقول: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له»:

فخرج به: اللفظ المستعمل فيما وضع له، فإذا استعملت «أسدًا» في الحيوان المفترس فهو غير مجاز، وإذا استعملته في الرجل الشجاع فهو مجاز، لكن لا بد من قيود.

«العلاقة»؛ يعني: لا بد أن يكون بين المعنىٰ الحقيقي والمعنىٰ المجازي علاقة؛ ولهذا لا نستعمل الخبز بدل الثياب، لو قلت: «اشترِ لي ثيابًا»، فذهبتَ واشتريتَ بها خبزًا وأتيت إليَّ بكيس خبز؛ أنا قلت لك: ثياب!!، قلت: هذه مجاز، نقول: لا يصح المجاز هذا، لماذا؟ لا علاقة بين هذا وهذا.

«مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الحقيقي»، فإن لم توجد قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي فليس بمجاز، ولا يجوز أن يُحَمل علىٰ المجاز إذا لم يكن قرينة، ولهذا نقول للذين حرَّفوا آيات الصفات وأحاديثها: «ليس عندكم قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي»، فإذا قالوا: «اليد بمعنىٰ النعمة»، قلنا: «لماذا؟» قالوا: «لأن هناك ما يمنع إرادة المعنىٰ الحقيقي – وهو عندهم العقل- ما يمكن أن يكون له يد يلزم أن يكون جسمًا وأن يكون مماثلًا للمخلوقات، وهذا ممتنع»؛ ولذلك صار ارتكاب المجاز ركيزة يرتكز عليها المعطلة ومشوا علىٰ هذا.

الشروط:

١- أن يكون مستعملًا في غير ما وضع له.

٢- أن يكون هناك علاقة بين المعنىٰ الحقيقي والمعنىٰ المجازي.

٣- أن توجد قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي.

❁ قوله «فلان يتكلم بالدرر»:

العلاقة هنا: الحُسن؛ ولذلك إذا قلنا: «فلان يتكلم بكلام كالدرر» وسُئِلنا: «أين وجه الشبه؟»؛ قلنا: «الحُسْنُ» والذي يمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي قرينة وهي «يتكلم»؛ لأنه لا يمكن

أن الدرر -التي هي اللآلئ- تخرج من فيه إذا قام يتكلم، فصار «يتكلم» قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الحقيقي.

❁ **قوله «﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾»:**

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يجعل الإنسان كل الإصبع في الأذن، إذ أن المعروف أن ثقب الأذن لا يدخل فيه الإصبع، لا من جهة السعة ولا من جهة العمق، فعندنا الآن قرينة مانعة وهي: أن الأصابع لا يمكن أن تدخل كلها في الآذان، والمقصود: يجعلون أناملهم في آذانهم، فاستعمل الأصابع في الجزء من الأصابع، العلاقة: أن الأنملة التي عُبِّر عنها بالإصبع جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك: أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

أما الذين يمنعون المجاز فيقولون: من المعلوم عند كل مخاطَب أنك إذا قلت: «**فلان جعل إصبعه في أذنه**» فالمراد: جعل جزءًا منه، ليس المراد أنه أدخل إصبعه كله، لكن أحيانًا يُقصد بذلك المبالغة.

❁ **قوله «والمجاز إن كانت علاقته المشابهة...»:**

إذا كانت العلاقة هي المشابهة فهو استعارة، وهذا هو الأكثر في المجاز، وإن كانت العلاقة غير المشابهة سُمِّي مجازًا مرسلًا، مثل: إطلاق الكل علىٰ البعض، أو البعض علىٰ الكل، أو السبب علىٰ المُسبَّب، أو المُسبَّب علىٰ السبب.

الضابط: أن الاستعارة تكون علاقتها المشابهة، وما كان علاقته غير المشابهة فهو مجاز مرسل.

الاستعارة

الاستعارَةُ: هي مَجازٌ عَلاقتهُ المُشابَهَةُ، كقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[إبراهيم: ١]؛ أي: مِن الضَّلالِ إلىٰ الهُدَىٰ، فقد استُعْمِلَتِ «الظُّلُماتُ» و«النُّورُ» في غير معناهما الحقيقي، والعَلاقةُ: المُشابَهَةُ بين «الضَّلالِ» و«الظَّلامِ»، و«الهُدَىٰ» و«النُّورِ»، والقرينةُ: ما قَبْلَ ذلك.

ويقال في إجرائها: شُبِّهَتِ «الضَّلالَةُ» بـ «الظُّلْمَةِ» بجامع عدم الاهتداء في كلٍّ، واستُعيرَ اللفظُ الدالُّ علىٰ المُشَبَّهِ به وهو «الظُّلْمَةُ» للمُشَبَّهِ وهو «الضَّلالَةُ» علىٰ طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

وأصلُ الاستعارةِ تشبيهٌ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ ووَجْهُ شَبَهِهِ وأداتُهُ.

والمُشَبَّهُ يُسَمَّىٰ مُستعارًا له، والمُشَبَّهُ به يُسَمَّىٰ مُستعارًا منه، ففي هذا المثالِ: المستعارُ له هو «الضَّلالُ» و«الهُدَىٰ»، والمُستعارُ منه هو معنىٰ «الظَّلامِ»

و«النُّورِ»، ولَفْظُ «الظُّلُماتِ» و«النُّورِ» يُسَمَّىٰ مُستعارًا.

أ - وتنقسم الاستعارةُ باعتبارِ ما يُذكَر مِنَ الطرفَينِ:

١ - إلى مُصَرَّحَة: وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المُشَبَّهِ به، كما في قوله [البسيط]:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا من نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَرْدًا، وَعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

فقدِ استعارَ اللُّؤلُؤَ والنَّرْجِسَ والوَرْدَ والعُنَّابَ والبَرَدَ للدُّموعِ والعُيونِ والخدودِ والأنامِلِ والأسنانِ.

٢- وإلى مَكْنِيَّة: وهي ما حُذِفَ فيها المُشَبَّهُ به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لَوازِمِهِ، كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[الإسراء: ٢٤]، فقدِ استعارَ الطائِرَ للذُّلِّ، ثم حَذَفَهُ، ودَلَّ عليه بشيءٍ مِن لَوازِمِه وهو الجَناحُ.

وإثباتُ الجَناحِ للذُّلِّ يُسَمُّونَهُ استعارةً تخييليَّةً.

ب - وتنقسم الاستعارةُ باعتبار اللفظ المستعار.

١ - إلى أصليَّة: وهي ما كان فيها المستعارُ اسمًا غيرَ مُشْتقٍّ، كاستعارةِ «الظَّلام» لـ «الضَّلالِ»، و«النُّورِ» لـ«الهُدَى».

٢ - وإلى تَبَعِيَّة: وهي ما كان فيها المستعارُ فِعْلًا أو حَرْفًا أو اسمًا مُشْتَقًّا، نحو: «ركِبَ فلانٌ كَتِفَيْ غَريمِهِ»؛ أي: لازَمَهُ مُلازَمَةً شديدةً، وقولِه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة: ٥]؛ أي: تَمَكَّنُوا من الحُصول على الهدايةِ التامَّةِ، ونحو قوله [الكامل]:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسانُ حالي بالشِّكايَةِ أَنْطَقُ

أي: أَدَلُّ.

جـ - وتنقسم الاستعارةُ باعتبار ذِكْرِ المُلائِم:

١ - إلى مُرَشَّحَة: وهي ما ذُكِرَ فيها مُلائِمُ المُشَبَّهِ به، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[البقرة: ١٦]، فالاشْتِراءُ مُستعارٌ للاسْتِبْدالِ، وذِكْرُ الرِّبح والتِّجارَةِ ترشيحٌ.

٢ - وإلى مُجَرَّدَة: وهي التي فيها مُلائِمُ المشبه، نحو: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استُعيرَ اللِّباسُ لِمَا غَشِيَ الإنسانَ عند الجوعِ والخوفِ، والإذاقَةُ تجريدٌ لذلك.

٣ - وإلى مُطْلَقَة: وهي التي لَمْ يُذْكَرْ معها مُلائِمٌ، نحو: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٧].

ولا يُعْتَبَرُ الترشيحُ والتجريدُ إلَّا بعد تَمامِ الاستعارةِ بالقرينةِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾»:

الكتاب هو القرآن، والخطاب للنبي ﷺ، وأضيف الإخراج إليه؛ لأنه هو السبب، وإلا فالمُخرِج حقيقة هو الله ﷻ، ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: من ظلمات الجهل: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: إلى نور العلم.

لو أنا أخذنا ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ على إطلاقها لكان المعنى: أن الرسول ﷺ يُخْرِج الناس من الظِّلال -يعني: الظِّل- إلى الشمس مثلًا، أو من الحجرة إلى فِنائها، لكن هل هذا المراد؟ لا، المراد ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: من الجهل الذي هو الضلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ يعني: إلى العلم والهدى.

القرينة المانعة من إرادة الظلمة الحسية: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾، فالقرآن لا يخرج به الناس من الظلمات الحسية إلى النور الحسي، بل من الظلمات المعنوية إلى النور المعنوي.

العلاقة: المشابهة؛ لأن الجهل يشبه الظلمة، إذ أن الجاهل لا يهتدي، لا يدري، حيران، والعلم يشبه النور في الاهتداء.

❁ قوله «﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾»:

ويقال أيضًا في «النور» كذلك: شُبِّه العلم بالنور بجامع الاهتداء في كلٍّ، ثم استعير لفظ «النور» - لفظ المشبه به - للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

التصريحية: هي التي يستعار فيها المشبه به للمشبه.

الأصلية: هي التي ليست مشتقة، أما المشتقة فإنها تكون تبعية، ووجه ذلك أنك استعرت المعنى أولًا ثم حولته إلى مشتقه: اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو الفعل المبنى للفاعل، أو المبني لما لم يسم فاعله.

❁ قوله «وأصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه...»:

نعم، هذا أصل الاستعارة، أصلها التشبيه، مثال ذلك: «**محمدٌ كالبحر في العطاء**»:

- احذف وجه الشبه: محمد كالبحر.

- احذف الأداة: محمد بحر.

- احذف أحد الطرفين، تقول: «**رأيت بحرًا ينفق المال على الناس بلا حساب**»، الآن ما بقي معنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد وهو المشبه به.

وعلى هذا فإذا أردت أن تأخذ استعارة كَوِّن أولًا تشبيهًا تامًّا ثم قَصِّصه:

١- احذف وجه الشبه.

٢- ثم أداة التشبيه.

٣- ثم المشبه.

٤- ثم كَوِّن جملة يتم بها الكلام.

حسنًا؛ أردتَ أن تمدح شخصًا بالعلم، فتقول: «**عليٌّ كالبحر في السعة**»، ماذا تعمل؟

١- احذف وجه الشبه: عليٌّ كالبحر.

٢- احذف أداة التشبيه: عليٌّ بحر.

٣- احذف المشبه وهو: «**عليٌّ**».

٤- ما الذي يبقى معك؟ «**بحر**»، «**بحر**» كلمة مفردة، اجعلها في جملة مفيدة: «**رأيت بحرًا يعلم الناس**».

حسنًا؛ تريد أن تستعير أسدًا لرجل شجاع، ماذا تقول؟: «**فلان كالأسد في الشجاعة**»:

١- احذف وجه الشبه: فلان كالأسد.

٢- احذف أداة التشبيه: فلان أسد.

٣- احذف المشبه: أسد.

٤- «**أسد**» لا بد أن تجعلها في جملة مفيدة، فتقول: «**رأيت أسدًا يحمل سيفًا**».

ولذلك المؤلف قربها بقوله: «**أصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته**».

❁ قوله:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا من نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَرْدًا، وَعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

هذا البيت غريب، هل هو فصيح؟ نعم، لكن فصيح تشدد في الاستعارة؛ استعار اللؤلؤ للدموع، والنرجس للعيون، والورد للخدود، والعناب للأنامل، والبَرَدَ للأسنان، معناه: أنها بكت وحصل من بكائها ما ذُكِرَ.

لو قال قائل: ذكرتم أن المجاز -سواء علاقته المشابهة أو غير المشابهة- لا بد فيه من قرينة وعلاقة، فما هي القرينة التي تمنع من إرادة المعنىٰ الحقيقي؟ القرينة: أنه لا يمكن أن تمطر لؤلؤا، وكذلك يقال في الباقي، أما العلاقة في كل الكلمات هذه فهي المشابهة، شبه دموعها باللؤلؤ، والغرض من ذلك التحسين، وكذلك يقال في البواقي.

حسنًا؛ ما العلاقة بين «العُنَّاب» و«الأنامل»؟ العلاقة اللون؛ لأن العناب لونه أحمر، وهذه قد صبغت أناملها بالحناء، فصارت تشبه العناب.

❁ قوله «وإثبات الجناح للذل يسمونه استعارة تخييلية»:

نعم؛ لأن الذل – حقيقة – ليس له جناح، لكن تخيله كأنه طائر له جناح، فحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، مثال ذلك أيضًا قوله: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، إذا جعلنا الاستعارة في كلمة ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ نقول: شُبِّهت الضلالة بالمتاع؛ لأن المتاع هو الذي يُشترىٰ وحذف المتاع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشراء، فهذا استعارة مكنية، وقال الشاعر [الكامل]:

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

هل للمنية أظفار، تنشب؟ لا، لكنه شبه المنية بالوحش أنشب ظفره، وحذف الوحش، ورمز إليه بشي من لوازمه وهي الأظفار.

صار:

- إذا وجد المشبه به فهي تصريحية.

- وإذا وجد المشبه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه فهي مكنية.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، إذا قلنا: «**إن في القرآن مجازًا**» فتخريجها واضح كما قال المؤلف، لكن إذا قلنا: «**ليس فيه مجاز**» فكيف نخرج الآية؟، نخرج الآية على أن من المعروف أن الذل ليس له جناح، لكن لما كان الإنسان إذا استعلى على غيره وتكبر عليه وارتفع صار كأنه طائر، فأُمِر أن يخفض الجناح الذي يكون به الطيران حتى ينزل ويكون بالنسبة لوالديه ذليلًا، وحينئذ نقول: إن السياق يمنع تمامًا أن يكون المراد أن الذل طائر له أجنحة، وأن الله أمر أن يخفض له الجناح، فهذا شيء معروف أنه لا يمكن.

❁ قوله «وإلى تبعية»:

إذا كانت الاستعارة في فعل أو حرف أو مشتق فهي تبعية، وإذا كانت في اسم جامد فهي أصلية، وذلك واضح؛ لأن أصل الأفعال والمشتقات مصادر اشتق منها كذا وكذا، فإذا قلت: «**رأيت أسدًا يحمل حقيقة**» فهي أصلية؛ لأنها جرت في اسم جامد غير مشتق.

❁ قوله «ركب فلان كتفي غريمه»:

شبه الملازمة بالركوب، فهنا «رَكِبَ» فعل، فتكون تبعية، أيضًا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] كنا أجريناها قبل قليل على أنها مكنية لا تصريحية، يمكن أن نجريها تصريحية ونجعلها في كلمة ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾، ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ بمعنى: اختاروا الضلالة على الهدى، فشبه اختيارهم الضلالة على الهدى بالشراء بجامع الرغبة في كل منهما، ثم استعار لفظ الاشتراء للاختيار، ثم اشتق من الاشتراء ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ إذًا؛ التبعية أطول إجراء من الأصلية؛ لأن التبعية لا بد أن تجريها في أصل المعنى ثم تقول: «**واشتق منه كذا وكذا**»؛ ولهذا سميت تبعية.

❁ قوله «﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾»:

هل الهدى شيء يركب؟ لا، لكن كلمة «الهدى» استعيرت استعارة مكنية؛ وذلك لأن الهدى -الذي هو المعنى وهو العلم- لا يمكن أن يركب، لكن شبه ملازمته للهدى بالركوب عليه.

❁ قوله «إلى مرشحة»:

المرشحة: المقواة، ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الاستعارة انتهت إلى هذا الحد، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ هذه جملة تُقَوِّي الاستعارة التي ذكرنا أنها في الشراء؛ التجارة تناسب الشراء؛ لأن الرجل يشتري الشيء ليربح فيه أو ليستعمله في بيته مثلًا، فهذا نسميه ترشيحًا؛ يعني: إذا ذكر في الاستعارة، ما يلائم المشبه به سمي ذلك ترشيحًا.

❁ قوله «وإلى مطلقة»:

الآن قسمها رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما ذكر فيه مُلائم المشبه به، وهذا ترشيح.

والثاني: ما ذكر فيها مُلائم المشبه، وهذه مجردة.

والثالث: ما خلت عن ملائم هذا وهذا، فهذه مطلقة، وكذلك ما ذكر فيها ملائم هذا وهذا فإنها تسمى مطلقة.

طبعًا هذه اصطلاحات، ليس شيئًا مبنيًّا على دليل، هذا مصطلح من جنس المصطلح في علم الحديث.

حسنًا:

- إذا قلت: «**رأيت أسدًا يحمل حقيبة ويكتب بقلم**»، الآن «**ويكتب بقلم**» هل يناسب المشبه أو المشبه به؟ المشبه، إذًا مجردة.

- وإذا قلت: «**رأيت أسدًا يحمل حقيبة يفترس أقرانه**»هذا ترشيح؛ لأنه يلائم المشبه به.

- إذا قلت: «**رأيت أسدًا يحمل حقيبة**» هذه مطلقة.

الخلاصة أنه:

١- إذا ذكر في الاستعارة ما يلائم المشبه به فهو ترشيح، والترشيح؛ يعني: التقوية.

٢- إذا ذكر ما يلائم المشبه فهو تجريد؛ يعني: كأنك بعد أن ادعيت أن هذا المستعار له هو المستعار جردته بذكر ما يلائم المستعار له.

٣- إذا لم يذكر هذا ولا هذا فهي مطلقة.

❁ قوله «ولا يعتبر الترشيح والتجريد إلا بعد تمام الاستعارة بالقرينة»:

صحيح، هذا ضروري، لا يعتبر الترشيح والتجريد إلا بعد أن تتم الاستعارة، انظر إلى قولك: «رأيت أسدًا يحمل حقيبة»، استعرته للرجل الشجاع، كلمة «يحمل حقيبة» تلائم المشبه، لكننا لا نجعلها هنا مجردة؛ لأن هذه هي القرينة المانعة، إذًا؛ التجريد والترشيح لا يعتبر إلا بعد تمام الاستعارة بقرينتها.

المجاز المرسل

هو مَجازٌ عَلاقَتُهُ غيرُ المُشابَهَةِ:

١ - كالسَّبَبِيَّةِ، في قولك: «عَظُمَتْ يَدُ فلانٍ عندي»؛ أي: نِعْمَتُهُ التي سَبَبُها اليَدُ.

٢ - والمُسَبَّبِيَّةِ، في قولك: «أَمْطَرَتِ السماءُ نباتًا»؛ أي: مَطَرًا يَتَسَبَّبُ عنه النباتُ.

٣ - والجُزْئِيَّةِ، في قولك: «أَرْسَلْتُ العُيونَ لِتَطَّلِعَ على أحوالِ العَدُوِّ»؛ أي: الجواسيسَ.

٤ - والكُلِّيَّةِ، في قوله تعالىٰ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]؛ أي: أَناملَهُمْ.

٥ - واعتبارِ ما كان، في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النِّساء: ٢]؛ أي: البالِغِينَ.

٦ - واعتبارِ ما يكون، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي: عِنَبًا.

٧ - والمَحلِّيَّةِ، في قولك: «قَرَّرَ المجلِسُ ذلك»؛ أي: أَهْلُهُ.

٨ - والحالِيَّةِ، في قوله تعالىٰ: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]؛ أي: جَنَّتِه.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «المجاز المرسل»:

المجاز المرسل ضابطه: ما تُجُوِّز به عن غيره بعلاقة غير الشبه، وإذا كانت العلاقة الشبه فهو استعارة؛ يعني: كل شيء يعبر به عن غيره إن كانت العلاقة بينهما المشابهة فهي استعارة، وإن كانت غير المشابهة فهي مجاز مرسل.

ذكر المؤلف ثمانية أشياء.

❁ قوله «كالسببية في قولك: عظمت يد فلان عندي»:

هنا عبر بالسبَّب عن المسبَّب، السبب: اليد، هي التي تعطي، والمسبَّب: النعمة، فعبَّر باليد عن النعمة مجازًا؛ لأن اليد سبب، وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾[غافر:١٣] هنا عبر بالرزق عن المطر؛ لأن الرزق مسبَّب للمطر، المطر هو السبب.

❁ قوله «والمسببية أمطرت السماء نباتًا»:

معلوم أن السماء لا تمطر نباتًا، تمطر مطرًا يكون به النبات فهنا عبر بالنبات الذي هو المسبب عن السبب الذي هو المطر.

هذان شيئان متضادان، يعبَّر بالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب، وكلاهما مجاز.

❁ قوله «والجزئية في قولك: أرسلت العيون لتطَّلِع على أحوال العدو»:

من المعلوم أن العين نفسها لا ترسل، الذي يرسل الشخص ليطَّلِع، لكن لما كان الجاسوس يُدرِك الأشياء ببصره، ويتأمل الملامح، وينظر إلى الإشياء؛ عُبِّر بالعين عنه؛ أي: عن الجاسوس.

لو أن إنسانًا قال: «**أرسلت آذاني في البلد**»، فهل يصلح أن يعبر بها عن الجاسوس؟ لا، لا يصلح، ولا عبر بها العرب؛ لأن الآذان يمكن أن تكون جاسوسًا في حالة معينة، إذا قيل لك عن بيت: «**إن فيه اشتباهًا**» وأرسلت إليه شخصًا في الليل؛ فهنا يمكن أن تقول: «**أرسلت آذاني إلى بيته ليلًا**» هنا لا بد من قرينة.

● قوله «والكلية، في قوله تعالىٰ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾»:

عبر بالكل عن الجزء.

حسنًا:

- **«أعتق رقبة»** عكسها، عبر بالجزء عن الكل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[البقرة:٤٣]، بالجزء عن الكل؛ لأن المراد الصلاة، والركوع جزء منها.

- **«قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين»**(١٤)، تعبير بالكل عن الجزء، وهذا أمثلته كثيرة.

- قوله: **«واعتبار ما كان في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾»**: اليتيم: من مات أبوه قبل البلوغ، ومن لم يبلغ لا يُعطىٰ ماله كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[النساء:٦]، فهنا يقول ﷻ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ المراد: البالغون، وإذا كانوا بالغين لم يكونوا يتامىٰ؛ إذ أن اليتيم من لم يبلغ.

- **فإذا قال قائل:** ما الحكمة من أنه سبحانه وتعالىٰ يعبر باليتيم عن البالغ؟

الحكمة: من أجل استعطاف الأولياء واسترحامهم حتىٰ يؤدوا الأموال إلىٰ أهلها، فكأنه قال: «اذكروا يتمهم واعطوهم أموالهم».

«واعتبار ما يكون في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾»:

الخمر لا يعصر، الخمر معصور، لكن المراد به العنب الذي يكون منه الخمر، فعبر عن شيء باعتبار ما يكون، وهذا أيضًا كثير، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] عبر بالماضي عن المستقبل، وله أمثلة في القرآن وغير القرآن.

● قوله «والمحلية»:

في قولك: **«قرر المجلس ذلك»**: تقول: **«قرر مجلس الوزراء كذا وكذا»** وهل الذي قرر الكنبات والمخاد والمساند؟ لا، الذي قرر أهل المجلس، لكن لما كان القرار إجماعيًّا صار كأن المحل نفسه بمن فيه قرره.

---

(١٤) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، برقم (٣٩٥)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ **قوله «والحالية»:**

في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾»: المراد «ففي جنة الله»، لكن عبر عن الجنة بالرحمة؛ لأنها من آثار رحمته، فالجنة هي رحمة الله كما جاء في الحديث: قال الله لها: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء» [١٥]؛ لأن الجنة محل الرحمة، جعلني الله وإياكم من أهلها بمنِّه وكرمه.

(١٥) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، برقم (٤٨٥٠)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٤٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

المجاز المركب

الْمُرَكَّبُ إنِ استُعمِلَ في غيرِ ما وُضِعَ له لِعَلاقَةٍ غير المُشابَهَةِ سُمِّيَ مَجازًا مُرَكَّبًا، كالجُمَلِ الخَبَرِيَّةِ إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاءِ، نحو قوله [الطويل]:

هَـوَايَ مَـعَ الرَّكْـبِ اليَمَانِـينَ مُـصْعِدٌ جَنِيـبٌ، وجُـثْماني بِمَكَّـةَ مُوثَـقُ

فليس الغَرَضُ مِن هذا البيت الإخبارَ، بل إظهارَ التحَزُّنِ والتحَسُّرِ.

وإن كانت علاقتُهُ المشابَهَةَ سُمِّيَ استعارةً تمثيليَّةً، كما يُقال للمُتَرَدِّدِ في أَمْرٍ: «أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا، وتُؤَخِّرُ أُخْرَىٰ».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «أراك تقدم رجلًا، وتؤخر أخرىٰ»:

الجمل الخبرية إذا استعملت في الإنشاء فهي مجازًا مركبًا إذا لم تكن علاقتها المشابهة، ولها أمثلة كثيرة مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[البقرة:٢٢٨] ، فإن ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ جملة خبرية، والمراد: الإنشاء؛ يعني: الأمر بذلك، ومثل هذا البيت الذي ذكره المؤلف.

إذا جاءت جملة مجازية علاقتها المشابهة فهي استعارة تمثيلية، مثال ذلك، تقول مثلًا في الأمر تتردد فيه: «**فكنت أقدم رجلًا، وأوخر أخرىٰ**»، معلوم أنه ليس المراد في الحقيقة تقديم الرجل، ربما يتردد الإنسان وهو علىٰ كرسيه، لكن شبه حاله في التردد بحال من يقدم رجلًا ويؤخر أخرىٰ، المقدم للرجل والمؤخر لأخرىٰ يبقىٰ في مكانه حائرًا، فيقال في هذا: إنها استعارة تمثيلية.

وذكر المؤلف هذا من باب تكملة التقسيم، وإلا لا حالة إليه؛ لأنه سبق القواعد العامة، يُكتفَىٰ بها.

المجاز العقلي

هو إسنادُ الفِعْلِ أو ما في معناه إلىٰ غير ما هو له عند المُتكَلِّمِ في الظاهِرِ لعلاقةٍ، نحو قوله [المُتقارِب]:

أشـــابَ الـــصَّغيرَ وأَفْنَـــىٰ الكَبـــ ـــيرَ كَـــرُّ الغَـــداةِ ومَـــرُّ العَـــشِيِّ

فإنَّ إسنادَ الإشابة والإفناءِ إلىٰ كَرِّ الغَداةِ ومُرورِ العَشِيِّ إسنادٌ إلىٰ غيرِ ما هو له، إذِ المُشيبُ والمُفْني – في الحقيقة – هو اللهُ تعالىٰ.

ومن المَجازِ العَقْلِيِّ:

١ – إسنادُ ما بُنِيَ للفاعِلِ إلىٰ المفعول، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقَّة: ٢١].

٢ – وَعَكْسُهُ، نحو: «سَيْلٌ مُفْعَمٌ».

٣ – والإسنادُ:

أ – إلىٰ المَصْدرِ، نحو: «جَدَّ جَدُّهُ».

ب – وإلىٰ الزَّمانِ، نحو: «نهارُهُ صائمٌ».

جـ – وإلىٰ المكانِ، نحو: «نَهْرٌ جارٍ».

د – وإلىٰ السَّبَبِ، نحو: «بَنىٰ الأميرُ المدينةَ».

ويُعْلَمُ مِمَّا سَبَقَ أنَّ المَجازَ اللُّغَوِيَّ يكون في اللَّفظِ، والمَجازَ العَقْلِيَّ يكون في الإسنادِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «المجاز العقلي»:

«هو إسناد الفعل أو ما في معناه»؛ يعني: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر المراد به اسم الفاعل واسم المفعول.

❁ قوله «في الظاهر»:

متعلق بقوله: «إلىٰ غير ما هو له»؛ يعني: أنه في الظاهر لغير ما هو له عند المتكلم.

❁ قوله:

أشـــابَ الـــصَّغيرَ وأفْنَـــىٰ الكَبـــ ـــيرَ كَـــرُّ الغَـــداةِ ومَـــرُّ العَـــشِيِّ

هل الذي أفنىٰ الإنسان هو هذا؟ الجواب: لا، الذي أفناه الله، فأضاف الفعل إلىٰ غير من هو له، وكذلك يقال في المثل العامي: «أهلكه السبت والأحد»؛ يعني: مرور السبت والأحد، وهل هذا هو الذي أهلكه؟ لا، الذي أهلكه الله، لكن أسند الفعل إلىٰ غير من هو له علىٰ سبيل المجاز، ويقال: «بنىٰ عمرو بن العاص مدينة الفُسطاط»، معلوم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لم يباشر البناء، لم يأت باللبن ولم يجبن الطين، ولكن أمر بذلك، هذا يسمىٰ مجازًا عقليًّا.

❁ قوله «إسناد ما بني للفاعل إلىٰ المفعول، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾»:

﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ يعني: مرضية، فأتىٰ باسم الفاعل ويراد به اسم المفعول، فقد أسند الرضا إلىٰ العيشة، والعيشة لا تَرضىٰ، وإنما العيشة تُرضَىٰ، فأسند ما في معنىٰ الفعل إلىٰ غير ما هو له علىٰ وجه المجاز العقلي.

❁ قوله «سيل مفعم»:

«مفعم»؛ يعني: «فاعِم أو مُفعِم»: مع أنه مبني للمجهول، هناك أفعال تُبنىٰ للمجهول – أو إن شئت قل: لما لم يُسم فاعله – دائمًا، مثل «نُتجت البهيمةُ» بمعنىٰ: «أنتجت»، ولا يجوز أن تقول: «أنتجت» أو «نتجت».

وقد أُلف في ذلك الرسائل الصغيرة عليها شرح وأمثلة، كـ «إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل»؛ يعني: في اللغة العربية ألفاظ لا يمكن أن تُبنىٰ إلا للمفعول، لا تبنىٰ للفاعل.

❁ **قوله «بنىٰ الأميرُ المدينةَ»:**

إذا قال قائل: ما الفرق بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي؟

فالجواب: المجاز اللغوي يكون في الألفاظ، والمجاز العقلي يكون في الإسناد، بمعنىٰ أن الكلمات يراد بها معناها الحقيقي، لكن إسناد هذه الكلمة إلىٰ هذه الكلمة هو المجاز.

فمثلًا: «بنىٰ الأمير المدينة»، ما المراد بالبناء؟ الحقيقة، والأمير؟ الحقيقة، لكن إسناد البناء للأمير هذا هو المجاز.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]الآن المجاز هل هو في إنزال هذا الماء أو في كلمة «رزق»؟ في كلمة «رزق».

فلهذا نقول: الفرق بين المجاز اللغوي (بأنواعه: الاستعارة والمجاز المرسل) والمجاز العقلي أن:

- المجاز العقلي يكون في الإسناد، بمعنىٰ أن الكلمات يراد بها المعنىٰ الحقيقي، لكن إسناد هذه إلىٰ هذه من هنا يأتي المجاز.

- المجاز اللغوي يكون في الألفاظ، إن كانت العلاقة المشابهة فهي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو مجاز مرسل.

❁ **قوله «ويعلم مما سبق...»:**

والفرق بينهما كما ذكرت لكم:

- المجاز اللغوي في الكلمات نفسها، بمعنىٰ أنه يراد بالكلمات خلاف المعنىٰ الأصلي.

- والمجاز العقلي في الإسناد، بمعنىٰ أن كل كلمة يراد بها المعنىٰ الأصلي، لكن إسنادها إلىٰ الكلمة الأخرىٰ عقلي يمنعه العقل.

حسنًا، قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة أنه حقيقة ليس فيه مجاز لا عقلي ولغوي، وعلىٰ رأي أهل التحريف فيه مجاز عقلي؛ لأن المجيء عقلًا - عندهم - لا

يسند إلى الرب ممتنع عقلًا، وهذا هو السر في أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله وأمثالهما شدَّدا في إنكار المجاز؛ لأنه صار سُلمًا إلى تحريف نصوص الكتاب والسنة بناءً على إثبات المجاز.

الحمد لله، الآن فهمنا المجاز بنوعيه: ما علاقته المشابهة وهو الاستعارة، وما علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل، وكل منهما يكون مجازًا في اللفظ، فإن كانت الألفاظ يُراد بها الحقيقة لكن إسناد هذا إلى هذا لا يمتنع عقلًا فهو مجاز عقلي.

واعلم أن قولنا: «**يمتنع عقلًا**» ليس معناه كما يريده المناطقة، لا، حتى لو كان عادة فهو مجاز عقلي، مثلًا: «**بَنَى الأميرُ المدينةَ**» هل يمتنع عقلًا أن يبنيها؟ عقلًا لا يمتنع، يمكن أن يشارك في البناء، لكن عادة يمتنع.

الكناية

هي لَفْظٌ أُرِيدَ به لازِمُ معناه مع جَوازِ إرادَةِ ذلك المعنىٰ، نحو: «طويلُ النِّجادِ»؛ أي: طويلُ القامَةِ.

وتنقسم باعتبار المَكْنِيِّ عنه إلىٰ ثلاثة أقسامٍ:

الأول: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها صِفَةً، كقول الخَنْساء [المُتَقارِب]:

طَويـــلُ النِّجـــادِ، رَفيـــعُ العِـــمادِ ... كثـــيرُ الرَّمـــادِ إذا مـــا شَـــتَا

تريد أنَّ طويلُ القامَةِ، سَيِّدٌ كريمٌ.

والثاني: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها نِسْبَةً، نحو: «المَجْدُ بين ثَوْبَيْهِ، والكَرَمُ تَحت رِدائِه»، تريد نِسْبَةَ المَجْدِ والكَرَمِ إليه.

الثالث: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها غيرَ صِفَةٍ ولا نِسْبَةٍ، كقوله [الكامل]:

الضَّـارِبينَ بِكُـلِّ أَبْـيَضَ مُـخْذِمٍ ... والطَّـاعنينَ مَجـامِعَ الأَضْـغانِ

فإنَّه كَنَىٰ بمَجامِعِ الأَضْغانِ عن القلوبِ.

والكِنايَةُ:

إن كَثُرَتْ فيها الوسائِطُ سُمِّيَتْ تَلْويحًا، نحو: «هو كثيرُ الرَّمادِ»؛ أي: كريمٌ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الرَّمادِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الإحراقِ، وكَثْرَةِ الإحراقِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الطَّبْخِ والخُبْزِ، وكَثْرَتَهما تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الآكِلينَ، وهي تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الضِّيفانِ، وكَثْرَةَ الضِّيفانِ تَسْتَلْزِمُ الكَرَمَ.

وإنْ قَلَّتْ وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رَمْزًا، نحو: «هو سَمينٌ رِخْوٌ»؛ أي: غَبِيٌّ بَليدٌ.

وإنْ قَلَّتْ فيها الوَسائِطُ أو لم تُكُنْ ووَضَحَتْ؛ سُمِّيَتْ إيماءً وإشارَةً، نحو [الكامل]:

أَوَمـا رَأَيْـتَ المَجْـدَ أَلْقَـىٰ رَحْلَـهُ ... فِي آلِ طَلْحَـةَ ثُـمَّ لَمْ يَتَحَـوَّلِ

كِنايَةً عن كَوْنِهم أمجادًا.

وهناك نَوْعٌ مِن الكِنايَةِ يُعْتَمَدُ في فَهْمِهِ علىٰ السِّياقِ، يُسَمَّىٰ تَعْريضًا: وهو إمالَةُ الكلام إلىٰ غَرَضٍ؛ أي: ناحيةٍ، كقولك لشخصٍ يَضُرُّ الناسَ: «خيرُ الناسِ مَن يَنْفَعُهُمَ».

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «الكناية»:

عبارة عن جملة أو كلمة تدل علىٰ معنىٰ ملازم لها، مع جواز إرادة ذلك المعنىٰ مثاله: «**طويل النجاد**»؛ يعني: طويل القامة؛ لأنه يلزم من طول القامة أن يطول «**نجاده**» «**رفيع العماد**»؛ يعني: خيمته رفيع عمودها، هذا كناية عن أنه سيد قومه، ولهذا بنىٰ له خيمة رفيعة حتىٰ يُعرف بها ويقصده الناس، مع أنه يمكن إرادة المعنىٰ الأصلي، وبهذا القيد صار الفرق بينهما وبين المجاز، المجاز لا يمكن أن يُراد به المعنىٰ الأصلي، أما الكناية فيمكن أن يراد بها ذلك.

إذًا؛ تتميز الكناية عن المجاز بأن الكناية يجوز أن يُراد بها المعنىٰ الأصلي، بخلاف المجاز.

❁ قوله:

طَويـــلُ النِّجـــادَ، رَفيـــعُ العِـــمادِ كثـــيرُ الرَّمـــادِ إذا مـــا شَـــتَا

«**طويل النجاد**»: قلنا: إن هذا يراد به طول القامة، مع جواز أن يراد به الحقيقة: أن نجاده الذي يتحلىٰ به طويل.

«**رفيع العماد**» كناية عن أنه سيد قومه، ولهذا رفع عماد خيمته؛ ليعرف بذلك فيُقصد، مع أنه يجوز أن يكون المتكلم أراد الحقيقة: أنه – حقيقة – خيمته رفيعة.

«**كثير الرماد**» يراد به الكرم؛ لأن الكريم يَكْثُرُهُ القُصَّاد، والقصاد يحتاجون إلىٰ طعام كثير والطعام الكثير يحتاج إلىٰ طبخ، والطبخ يحتاج إلىٰ حطب، والحطب يكون رمادًا، فإذا قيل: «**فلان كثير الرماد**» فهو كناية عن كرمه؛ لأنه يدل علىٰ كثيرة الضيفان، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، فهذا كناية عن الكرم، مع أنه يجوز أن يكون المراد حقيقة كثرة الرماد؛ لأن في ذلك الوقت ليس عندهم غاز.

فإذا أردنا أن نحول «**كثير الرماد**» إلىٰ الغاز فماذا نقول؟ كثير أنابيب الغاز، أو صرف الغاز...، علىٰ كل حال عبر بما شئت، المهم عبر تعبيرًا يكون دليلًا علىٰ كرمه.

مع أن كثرة الرماد ربما يكون في صناعة الجِص، هذا لا بد أن يوقد عليه؛ لأنه يؤخذ من

الأرض ثم يوقد عليه حتىٰ يكون صالحًا للاستعمال، وأصحاب المجاص كثير والرماد، فهل إذا قلنا: «فلان كثير الرماد» مِن أصحاب المجاص؛ هل نقول: إن هذا يدل علىٰ كرمه؟ لا، لكن علىٰ كل حال السياق يُعين.

❁ **قوله «المجد بين ثوبيه، والكرم تحت ردائه»:**

معلوم أن «المجد بين ثوبيه» ليس هو المعنىٰ الذي -يسمىٰ المجد- يكون بين الثوبين؛ لكن هذا الرجل موصوف بأنه ذو مجد، وهل جسمه بين ثوبيه أوْ لا؟ نعم، جسمه بين ثوبيه، نقول: هذا كناية عن قوته وشجاعته، وكذلك «الكرم تحت ردائه» كناية عن كرمه، تُسَمَّىٰ هذه الكناية نسبة، وهي – كما قال المؤلف – تختلف عن المجاز بأنه قد يراد بها المعنىٰ الحقيقي.

لكن لو قال قائل: هل يمكن أن يكون المجد الحقيقي الذي هو المعنىٰ بين جنبيه؟

نقول: ما دام المجد وصفًا لموصوف والموصوف: «بين جنبيه»؛ صح أن يقال: إن المجد نفسه بين جنبيه؛ لأن الصفة معنًىٰ في الموصوف.

❁ **قوله:**

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُخْذِمٍ والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ

مجامع الأضغان، مجامع الحب، مجامع البغضاء: هي القلوب، هي محل هذا، فهنا يمدحه يقول: «الضاربين بكل أبيض مخذم»؛ يعني: السيوف، «والطاعنين مجامع الأضغان»؛ يعني: الرماح يطعنون بها مجامع الأضغان، ومجامع الأضغان هي القلوب؛ لأن الضغن والحقد والكراهة والمحبة كلها محلها القلب.

❁ **قوله «والكناية»:**

إذا كثرت اللوازم فهي تلميح، ضدها: التصريح، لو قلت: «فلان كريم» كفىٰ عن هذا كله، لكن الكناية تعتبر من باب تجميل اللفظ وتشوف النفس لها، فإنك تجد الفرق بين قولك: «فلان كثير الرماد» و«فلان كريم» أيهما أشد في تهييج النفس؟ الأول بلا شك.

❁ قوله «وإن قلت وخفيت سميت رمزًا»:

فإذا قيل: «**فلان سمين رخو**» هذا يَخْفَىٰ أن يراد أنه غبي بليد، خفي جدًّا، ولكن القرينة وسياق الكلام يدل علىٰ هذا.

حسنًا، «**فلان طويل الرقبة**»: كناية عن الغباوة والبلادة؛ ولهذا قال بعض البلاغيين في قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه حين أراد أن يصوم عدي، وقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، جعل عقالين -والعِقال: هو الحبل الذي تُشد به يد الناقة- واحد أسود وواحد أبيض، وجعل يأكل حتىٰ بان الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وهذا لا يكون إلا بعد ارتفاع النهار؛ يعني: بعد ارتفاع الإسفار، ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «**إن وسادك لعريض**»[١٦]، عُرض الوسادة يدل علىٰ طول الرقبة، قالوا- أي: البلاغيون-: «فالرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يبين له أنه بليد؛ لأنه إذا طالت الرقبة بعد الرأس عن القلب، فتطول المسافة فيكون بليدًا».

لكن أجزم جزمًا أن الرسول ﷺ لم يرده، ولهذا قال: «**إن وسادك لعريض**»: أن يُوَسِّعَ الخيط الأبيض والأسود؛ يعني: عرض الأفق، إذا كان هذا الذي فهمه، أما أن الرسول ﷺ يريد أن يُعرض ببلادة الرجل فهذا مستحيل، لكن هكذا البلاغيون كلّ واحد يؤول النصوص لما يريد، ولا يَخافَنَّ أحد منكم إن كان طويل الرقبة، إن شاء الله تعالىٰ كلٌّ علىٰ ذكاء وفطنة.

❁ قوله:

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَىٰ رَحْلَهُ ... فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

هذا البيت كناية نسبة، مثل: «**المجد بيني ثوبيه**».

---

(١٦) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ...﴾، برقم (١٩١٦)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...، برقم (١٠٩٠)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

❁ قوله «وهناك نوع من الكناية يعتمد في فهمه على السياق، يسمى تعريضًا»:

هذا التعريض لا يصرح، لكن يدل على هذا المعنى، ومنه قوله تعالى عن قوم مريم حين جاءت تحمل عيسى عليه السلام؛ قالوا لها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨] يريدون أن يقولوا: «**إنها بغي، ولكن من أين جاءها البغاء؟! أبوها ليس امرأَ سوءٍ، وأمها ليست بغيًّا!!**»، هذا التعريض يقول بعض العلماء: «**إنه أشد وقعًا من التصريح**»، وجعلوا منه قوله تعالى عن ابني آدم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧] ، يعرض بأن أخاه قابيل ليس متَّقيًا.

واختلف العلماء في مسألة وهي: هل يُحَدُّ الإنسان حد القذف إذا عَرَّضَ؟ بأن تخاصم مع شخص وقال: «**الحمد لله، أنا لست أتتبع البغايا**»، يقول عن نفسه لخصمه: «**الحمد لله، أنا لا أتتبع البغايا**»، فهل يحد هذا القائل حد القذف؛ لأن قوله هذا يعرض بأن صاحبه يتتبع البغايا؟ فمن العلماء من قال: «لا يحد؛ لأنه لم يصرح»، ومنهم من قال: «بل يحد؛ لأن التعريض أحيانًا يكون أشد من التصريح».

حسنًا، وهذا أيضًا يخاطب شخصًا قد آذى الناس وضرهم، فيقول له: «خير الناس من ينفعهم» عندما تسمع هذا الكلام تقول: «هذا الكلام ليس فيه شيء»، لكن هو يُعرض بأن صاحبه لا ينفع الناس.

انتهى -الحمد لله- علم المعاني والبيان، بقي علم البديع.

علم البديع

البَديعُ: عِلْمٌ يُعْرَفُ به وُجُوهُ تَحْسينِ الكلامِ المُطابِقِ لِمُقْتَضَىٰ الحالِ.

وهذه الوُجُوهُ:

ما يَرْجِعُ منها إلىٰ تَحْسينِ المعنىٰ يُسَمَّىٰ بالمُحَسِّناتِ المَعْنَوِيَّةِ.

وما يَرْجِعُ منها إلىٰ تَحْسينِ اللَّفظِ يُسَمَّىٰ بالمُحَسِّناتِ اللَّفْظِيَّةِ.

❁ ❁ ❁

الشرح

قوله «البَديعُ: عِلْمٌ يُعْرَفُ به وُجُوهُ تَحْسينِ الكلامِ المُطابِقِ لِمُقْتَضَىٰ الحالِ»:

ولذلك سُمِّي بديعًا؛ لأن أصل الإبداع: الإحسان، إحسان الشيء إبداع له، فسُمِّي البديع، «فعيل» بمعنىٰ «مفعول»؛ يعني: مبدع، فهو محسن، فعلم البديع هو تحسين للألفاظ.

بعد أن عرفنا علم المعاني وعلم البيان وهو يتعلق بالمعاني والألفاظ؛ نعود الآن إلىٰ علم البديع، وهو أن نبدع في التعبير؛ ولذلك «**علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضىٰ الحال**»، ومعلوم أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان مطابقًا لمقتضىٰ الحال.

محسنات معنوية

١ - التَّوْرِيَة: أن يُذْكَرَ لَفْظٌ له مَعْنَيانِ: قريبٌ يَتَبادَرُ فَهْمُهُ مِن الكلام، وبعيدٌ هو المُرادُ بالإفادَةِ لقَرينَةٍ خَفِيَّةٍ، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: ٦٠] ، أراد بقوله: ﴿جَرَحْتُم﴾ معناهُ البعيدَ: وهو ارْتِكابُ الذُّنوبِ.

وكقولِهِ [المُجْتَثّ]:

يـــا سَـــيِّدًا حـــازَ لُطْفًـــا ... لَـــهُ البَرايَـــا عَبيـــدُ

أَنْـــتَ الحُـــسَيْنُ، ولكِـــنْ ... جَفـــاكَ فِينَـــا يزيـــدُ

معنىٰ «يزيد» القريبُ أنَّه: عَلَمٌ.

ومعناه البعيد المقصود أنه: فِعلٌ مُضارعٌ مِن «زادَ».

٢ - الطِّباق: هو الجَمْعُ بين مَعْنَيَيْنِ مُتقابلَيْنِ، نحو قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾[الرُّوم: ٦-٧] .

٣ - ومِنَ الطِّباقِ المُقابَلَةُ: وهي أن يؤْتَىٰ بمعنَيَيْنِ أو أكثرَ، ثم يُؤْتَىٰ بما يُقابِلُ ذلك علىٰ الترتيب، نحو قولِهِ تعالىٰ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾[التوبة: ٨٢] .

٤ - مُراعاةُ النَّظيرِ: هي جَمْعُ أَمْرٍ وما يُناسِبُهُ لا بالتَّضادِ كقولِهِ [الكامل]:

والطَّـــلُّ في سِـــلْكِ الغُـــصونِ كَلُؤْلُـــؤٍ ... رَطْـــبٍ يُـــصافِحُهُ النَّـــسيمُ فيَـــسْقُطُ

الطَّـــيْرُ يَقْـــرَأُ، والغَـــديرُ صَـــحيفةٌ ... والـــرِّيحُ تَكْتُـــبُ، والغَـــمامُ يُـــنَقِّطُ

٥ - الاستِخْدام: هو ذكر اللفظ بمعنىً وإعادة ضمير عليه بمعنًى آخر، أو إعادة ضميرين تريد بثانيهما غير ما أردته بأولهما.

الأول: نَحْوُ قولِهِ تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أرادَ بالشَّهْرِ الهِلالَ، وبضمِيرِهِ الزَّمانَ المَعلومَ.

والثاني: كقولِهِ [الكامل]:

فَسَقَىٰ الغَضَىٰ والسَّاكِنِيه، وإنْ هُمُو ... شَبُّوهُ بين جَوانِحي وضُلُوعي

الغَضَىٰ: شَجَرٌ بالبادِيَة، وضميرُ «ساكِنِيه» يَعودُ إليه بمعنىٰ مكانِهِ، وضميرُ «شَبُّوهُ» يَعودُ إليه بمعنىٰ نارِهِ.

٦ - الجَمْع: هو أن يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّدٍ في حُكْمٍ واحِدٍ، كقوله [الرَّجَز]:

إنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيَّ مَفْسَدَهْ

٧ - التفريق: هو أن يُفَرَّقَ بين شيئَيْنِ مِن نَوْعٍ واحِدٍ، كقوله [الخفيف]:

ما نَوالُ الغَمامِ وَقْتَ رَبيعٍ ... كَنَوالِ الأميرِ يَوْمَ سَخاءِ

فَنَوالُ الأميرِ بَذرَةُ عَيْنٍ ... ونَوالُ الغَمامِ قَطْرَةُ ماءِ

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «التورية أن يذكر لفظ له معنيان...»:

الآية الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ قد ينازع في كلام المؤلف أن فيه تورية؛ لأن الجرح بمعنىٰ الكسب لغة عربية، وليس فيها تورية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[المائدة: ٤] ، يعني: الكواسب.

أما ما ذكره من البيت فنعم، «أنت الحسين»: ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، «ولكن جفاك فينا يزيد» هذه لها معنيان:

١- يحتمل أن المراد بذلك يزيد بن معاوية، والحروب بينه وبين الحسين معروفة.

٢- ويحتمل أن المراد أنه فعل مضارع من «زاد».

إذًا؛ القريب أنه علم؛ لأنه من عرف ما وقع بين الحسين ويزيد من الحرب؛ يقول: نعم، الذي جفا حُسينًا هو يزيد، لكن الشاعر أراد الفعل المضارع؛ أي: أن جفاك يزيد فينا.

❁ قوله «الطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين...»:

يعني مثلًا من الجائز أن تكون العبارة: «وتحسبهم أيقاظًا وليسوا أيقاظًا»، أليس كذلك؟، لكن الله ﷻ قال: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لأن ذكر الشيء ومقابله يُعطي الكلام حُسنًا.

❁ قوله «﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾»:

الشاهد في قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٧ يَعْلَمُونَ﴾، وأفادنا المؤلف رحمه الله بذكر المثالين أن هناك تقابلًا بين المعنيين، سواء كان بمدلول اللفظ، أو بالإثبات والنفي.

- مدلول اللفظ: ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ كله إيجابي لكن متقابل في المعنىٰ.

- ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٧ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تقابل في النفي والإثبات.

❁ قوله «ومن الطباق المقابلة»:

هذه أبلغ؛ لأن هذا يؤتىٰ بمعنيين فأكثر، والأول -الطباق المحض- أن يؤتىٰ بمعنيين فقط،

هنا البكاء ضد الضحك، ﴿كَثِيرًا﴾ ضد ﴿قَلِيلًا﴾.

حسنًا، قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]؛ طباق أم مقابلة؟ مقابلة؛ لأن المعاني متعددة، أوتي بها ثم ذكر ما يقابلها.

❁ قوله:

الطَّـيْرُ يَقْـرَأُ والغَـديرُ صَـحيفةٌ والـرِّيحُ تَكْتُـبُ والغَـمامُ يُـنَقِّطُ

الطير يقرأ، الغدير صحيفة، الريح يكتب ضد يقرأ، الغمام ينقط، تظنون أنه ينقط النقاط؟ المراد ينقط المكتوب.

قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: هل الشهر باعتباره زمانًا يشاهد؟لا يشاهد؛ لأنه زمن! المراد بالشهر: الهلال ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾؛ أي: ليصم الهلال أو ليصم الزمن؟ فهنا عاد الضمير علىٰ غير المرجح بحسب الظاهر.

❁ قوله:

فَـسَقَىٰ الغَـضَىٰ والـسَّاكِنِيه وإنْ هُمُـو شَـبُّوهُ بـين جَـوانِحي وضُـلُوعي

الغضىٰ: شجر يقطع ويبس فيكون من أحسن ما يكون وقودًا، والشعراء يضربون به الأمثال.

وهنا يقول: «**فسقىٰ الغضىٰ والساكنيه**»، الساكن أهو الغضىٰ؟ الجواب: لا؛ لأن الغضىٰ شجر، لا يسكن، إنما الذي يسكن هو محله أو مكانه.

«**وإن همو شبوه**» الضمير في «شبوه» يعود إلىٰ الغضىٰ، ولكن باعتبار آخر؛ أي: شبوا ناره، يقال: شب النار؛ أي: أوقدها، هذا يسمونه «**الاستخدام**»؛ لأنك استخدمت الضمير في غير ما يرجع إليه عادة، فكأنك جعلته خادمًا تستخدمه.

حسنًا، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، مَن الإنسان هنا؟ آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ يعود علىٰ الإنسان، لكن ليس علىٰ الإنسان الذي هو الأول، إنما القصد؛ أي: بَنِيه، فهذا أيضًا فيه استخدام، والضابط ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله:

إنَّ الـــشَّبابَ والفـــراغَ والجِـــدَهْ مَفْـــسَدَةٌ لِلْمَـــرْءِ أيَّ مَفْـــسَدَهْ

نعم، إن الشباب والفراغ والجدة -ثلاثة أشياء- كلها داء، إلا إذا وفق الإنسان واستعملها في نافع.

الفراغ: عدم العمل، والإنسان إذا لم يكن له عمل ذهب ذهنه كل مذهب، وصار يخبط خبط عشواء.

الجدة: الغنى؛ لأن الفقر يلجئ الإنسان إلى العمل، لكن إذا كان غنيًّا، وكان شابًّا، وكان فارغًا؛ هذا الفساد، ولهذا نجد أن أكثر المكذبين للرسل هم الأغنياء والكبراء.

والغرض من هذا البيت: تحذير الشاب الذي أغناه الله ﷻ وأفرغه عما يُلهيه أن يضيع هذه الصفات الثلاث في غير فائدة.

قوله:

مـــا نَـــوالُ الغَـــمامِ وَقْـــتَ رَبيـــعٍ كَنَـــوالِ الأمـــيرِ يَـــوْمَ سَـــخاءِ

فَنَـــوالُ الأمـــيرِ بَـــذرَةُ عَـــيْنٍ ونَـــوالُ الغَـــمامِ قَطْـــرَةُ مـــاءِ

هذا من المبالغات الكاذبة، يعني عطاء الأمير عنده أفضل من المطر النازل من السماء الذي سماه الله رزقًا ينتفع به الآدمي والبهائم والأرض، لكن تعلمون أنه يقال: «**أعذب الشعر أكذبه**»

٨ - التَّقْسيم: هو:

أ - إمَّا اسْتِيفاءُ أقسامِ الشيء، نحو قولِهِ [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأَمْسِ قَبْلَهُ ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ

ب - وإمَّا ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ وإرجاعُ ما لكلٍّ إليه على التعيين، كقولِهِ [البسيط]:

ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ بهِ إلَّا الأَذَلَّانِ: عَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ

هذا على الخَسْفِ مَرْبوطٌ بِرُمَّتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يَرْثي لهُ أَحَدُ

جـ - وإمَّا ذِكْرُ أحوال الشيءِ مُضافًا إلى كلٍّ منها ما يَليقُ به، كقولِهِ [الطويل]:

سَأَطْلُبُ حَقِّي بالقَنا ومَشايخٍ كأنَّهُمُ مِن طُولِ ما التَثَمُوا مُرْدُ

ثِقالٌ إذا لاقَوْا، خِفافٌ إذا دُعُوا كثيرٌ إذا شَدُّوا، قليلٌ إذا عُدُّوا

٩ - تأكيدُ المَدْحِ بما يُشْبِهُ الذَّمَّ، ضَرْبانِ:

أحدُهما: أن يُسْتَثْنَى مِن صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ على تقديرِ دخولها فيها كقولِهِ [الطويل]:

ولا عَيْبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

ثانيهما: أن يُثْبَتَ لِشيءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤتَى بعدها بأداةِ استثناءٍ تَليها صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى، كقوله [الطويل]:

فَتًى كَمُلَتْ أوْصافُهُ غَيْرَ أنَّهُ جَوادٌ فما يُبْقي على المالِ باقِيا

١٠ - حُسْنُ التعليلِ: هو أن يُدَّعَىٰ لِوَصْفٍ عِلَّةٌ غَيْرُ حقيقِيَّةٍ فيها غَرابَةٌ، كقولهِ [البسيط]:

لَـوْ لَمْ تَكُـنْ نِيَّـةُ الجَـوْزاءِ خِدْمَتَـهُ ... لَمـا رَأَيْـتَ عليهـا عِقْـدَ مُنْتَطِـقِ

١١ - اِئْتِلافُ اللَّفْظِ مع المعنىٰ: هو أن تكونَ الألفاظُ مُوافِقَةً للمعاني، فَتُخْتَارُ الألفاظُ الجَزْلَةُ، والعِباراتُ الشديدةُ؛ للفَخْرِ والحماسَةِ، والكلماتُ الرقيقةُ، والعِباراتُ الليِّنَةُ؛ للغَزلِ ونَحْوِهِ، كقوله [الطويل]:

إذا مـا غَـضِبْنا غَـضْبَةً مُـضَرِيَّةً ... هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أو قَطَرَتْ دَمَا

إذا مـا أَعَرْنـا سـيِّدًا مِـنْ قَبيلَـةٍ ... ذُرَىٰ مِنْـبَرٍ صَـلَّىٰ عَلَيْنـا وَسَـلَّمَا

وقولِهِ [الرمل]:

لَمْ يَطُـلْ لَـيْلي ولكـنْ لَمْ أَنَـمْ ... وَنَفَـىٰ عَنِّـي الكَـرَىٰ طَيْـفٌ أَلَمّ

١٢ - أُسْلُوبُ الحكيمِ: وهو تَلَقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما يَتَرَقَّبُهُ، أو السائلِ بغيرِ ما يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهًا علىٰ أنَّه الأَوْلَىٰ بالقَصْدِ.

- فالأول: يكونُ بِحَمْلِ الكلامِ علىٰ خلافِ مُرادِ قائِلِهِ، كقول القَبَعْثَرَىٰ للحَجَّاج -وقد تَوَعَّدَهُ بقولِهِ: «لَأَحْمِلَنَّكَ علىٰ الأَدْهَمِ»-: «مِثْلُ الأميرِ يَحْمِلُ علىٰ الأَدْهَمِ والأَشْهَبِ».

فقال له الحَجَّاجُ: «أَرَدْتُ الحديدَ».

فقال: القَبَعْثَرِىٰ: «لَأَنْ يكونَ حديدًا خيرٌ مِن أن يكونَ بَليدًا».

أراد الحَجَّاجُ بالأَدْهَم: القَيْدَ، وبالحديدِ: المَعْدِنَ المخصوصَ، وحَمَلَهُما القَبَعْثَرَىٰ علىٰ الفَرَس الأَدْهَمِ الذي ليس بَليدًا.

- والثاني: يكون بتنزيل السؤالِ مَنْزِلَةَ سؤالٍ آخرَ مُناسِبٍ لِحالةِ المَسْأَلَةِ، كما في قولِهِ تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] سَأَلَ بعضُ الصَّحابَةِ النبي ﷺ: «ما بالُ الهِلالِ يَبْدو دَقيقًا، ثم يَتَزايَدُ حتىٰ يَصيرَ بَدْرًا، ثم يَتَناقَصُ حتىٰ يعودَ كما بَدَا؟»، بجاء الجوابُ عن الحكمةِ المُتَرَتِّبَةِ علىٰ ذلك؛ لأنَّها أَهَمُّ للسائلِ، فَنُزِّلَ سُؤَالُهُمْ عن سَبَبِ الاختلافِ مَنْزِلَةَ السؤالِ عن حكمتِهِ.

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأَمْسِ قَبْلَهُ ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ

قسم الأشياء إلى ثلاثة أقسام: يوم حاضر، وأمس ماضٍ، وغدٍ لا تدري هل تدركه أو لا.

❁ قوله «ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان»:

وبينهما بقوله: «**عير الحي والوتد**»، العير: الحمار، والوتد: الوتد بالأرض.

- الوتد بالأرض يربط به الحصان، ويربط به الحمار، ويربط به الإنسان...، وهو لا يتأوه ولا يتوجع ولا حتج، ذليل.

- الحمار كلٌّ يركبه، وهو أيضًا «**مربوط برمته**»؛ أي: بحبله.

«**وذا يشج فلا يرثي له أحد**»، الوتد يأتيه الصبي بالحصاة ويضربه، يتكسر ولا أحد يرثي له، وذاك مربوط برمته ولا أحد يرثي له.

المهم أن هذا فيه تقسيم، ثم أعاد مع التقسيم على كل واحد بوصفه اللائق به، ولهذا قال: «**وإما ذكر متعدد وإرجاع ما لكل إليه على التعيين**»؛ لأنه من المعلوم أن «**هذا على الخسف مربوط برمته**»، لا يمكن أن يراد به الوتد أبدًا.

❁ قوله «سأطلب حقي بالقنا»:

يعني: الرماح «**ومشايخ كأنهم من طول ما التأموا مزد**»؛ يعني: ما لبسوا لأمة الحرب، مرد لأن شعر اللحية حت وزال، ويجوز أن يكون «**ما التثموا**» من اللثام: وهو تغطية بعض الوجه: الأنف والفم، لكن الأول أبلغ.

«**ثقال إذا لاقوا**»، لا يتزحزحون ولا يفرون إذا لاقوا العدو.

«**خفافًا إذا دعوا**»: إذا استنفروا لا يكونون ممن قال الله فيهم: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، بل هم خفاف إذا دعوا.

«كثير إذا شدوا، قليل إذا عدوا»: إذا شدوا الحرب فهم كثير لشجاعتهم، فالواحد منهم يقتل عشرة أو عشرين أو مائة، ولكنهم قليلون إذا عددتهم؛ لأنهم شجعان، وشجاعتهم تكفي عن كثرة العدد.

فأنت تقرأ الآن هذه الأوصاف، وكل واحد عاد له ما يناسبه.

❁ قوله:

ولا عَيْبَ فيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

إذا قال: «ولا عيب فيهم غير» ماذا تتوقع؟ ذم أو مدح؟ ذم، لكن قال: «غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب»، جاءت صفة مدح، و«الفلول»؛ يعني: المتكسرة، «من قراع الكتائب»: كتائب الرءوس التي توضع على الرأس.

هل هذا عيب؟ لا، بل هذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، لو قال هذا الناظم:

«إن هؤلاء في سيوفهم فلول من قراع الكتائب» هذا مدح، لا شك، لكن قوله: «ولا عيب فيه إلا كذا» أبلغ.

❁ قوله:

فَتًى كَمُلَتْ أوْصافُهُ غَيْرَ أنَّهُ ... جَوادٌ فما يُبْقي على المالِ باقِيا

هذا قريب من الأول من حيث المعنى، يثبت أول شيء صفة مدح، ويأتي بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، مثاله: «فتى كملت أوصافه غير أنه» تتوقعون صفة ذم، لكنه أتى بصفة مدح: «جواد فما يبقى على المال باقيًا».

وتقول مثلًا: «فتى كثير العطاء غير أنه شجاع» هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ لأنه يتوقع المخاطب إذا قلت: «فلان كثير العطاء غير أنه» يتوقع «فيه – مثلًا – حمق»، «فيه كذا وكذا»، يتوقع صفة ذم، لكن تأتي صفة مدح فيكون هذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

❁ قوله:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوْزاءِ خِدْمَتَهُ ... لَما رَأَيْتَ عليها عِقْدَ مُنْتَطِقِ

الجوزاء: نجوم معروفة، هذا يقول: «لولا أن الجوزاء تريد أن تخدمه ما رأيت عليها هذا

العقد: عقد ذات النطاق»، هل هذا صحيح أو لا؟ غير صحيح، لا شك، الجوزاء خلقها الله على هذه الصفة، لكنه ادعى أنها صارت على هذا الوجه من أجل خدمة ممدوحه، هذا يسمونه حسن التعليل، والحقيقة أنه كذب التعليل، من قال هذا؟! لكن كما قلت لكم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

❁ **قوله «ائتلاف اللفظ مع المعنى»:**

هذا من المحسنات: أن يكون اللفظ مطابقًا للمعنى، فحينما تتكلم على الحماسة، وعن الشجاعة؛ فهل تأتي بوصف النساء؟ لا، تأتي بوصف الحماسة والحرب والإقدام والكر والفر، وعندما تريد أن تتحدث حديث المتغزل تأتي بالألفاظ المناسبة، هذا أيضًا لا شك أنه من البديع ومن المحسنات.

❁ **قوله:**

إذا مـــا غَـــضِبْنا غَـــضْبَةً مُـــضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أو قَطَرَتْ دَمَا

هذا أيضًا حماس، يقول: «إن غضبتنا قوية، إذا غضبنا الغضة المضرية – وهم من أشرف قبائل العرب – هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دمًا»، وهذا جدًّا عظيم، وكذلك أيضًا:

إذا مـــا أَعَرْنـــا سَـــيِّدًا مِـــنْ قَبيلَـــةٍ ذُرَى مِنْـــبَرٍ صَـــلَّى عَلَيْنـــا وَسَـــلَّمَا

أي: دعا لنا؛ يعني: حتى الخطباء إذا أعرناهم ذرى المنبر فإنهم يصدعون لنا، يصلون ويسلمون.

❁ **قوله:**

لَمْ يَطُـــلْ لَـــيْلي ولكـــنْ لَمْ أَنَـــمْ وَنَفَـــى عَنِّـــي الكَـــرَى طَيْـــفٌ أَلَمّ

هذا الرجل قام يفكر في محبوبته، والليل لم يطل عليه، لماذا؟ لأن الإنسان إذا فكر فيما يحب مضى عليه الليل بسرعة حتى لو لم ينم كل الليل، فهو يقول: «ليلي لم يطل، ولكني ما نمت»، ولماذا لم ينم؟ نفي عنه الكرى – أي: النوم – طيف ألم.

إذا قارنت هذا البيت بالبيتين قبله عرفت الفرق بين هذا وهذا، ويقول الشاعر [الخفيف]:

أَنَـــا كَالمَـــاءِ إِنْ رَضِـــيتُ صَـــفَاءً وَإِذَا مَـــا غَـــضِبْتُ كُنْـــتُ لَهِيبًـــا

الشطر الأول إذا قرأته تطمئن نفسك وترتاح، ماءٌ صافٍ، إذا جاء الثاني أعوذ بالله: «إذا ما غضبت كنت لهيبًا» أحرق، فتجد الفرق بين هذا وهذا، وعلىٰ كل حال هذا يمدح نفسه بأنه في حال الرضا يكون كالماء الصافي، وفي حال الغضب يكون كالنار.

❁ قوله «أسلوب الحكيم»:

يعني: الإنسان يتكلم ويُحمل كلامه علىٰ معنىٰ لا يريده، أو يجاب السائل بغير ما يطلبه؛ تنبيهًا له علىٰ أن الأولىٰ أن يسأل عن هذا، وله أمثلة.

❁ قوله «لأحملنك علىٰ الأدهم»:

هذا عدول باللفظ عن معناه المراد، لكن مثل هذا يعجب الحجاج وأمثاله، وربما يصفح عنه، يقول له: «**لأحملنك علىٰ الأدهم**» القبعثري يعرف ما هو الأدهم، يعرف أنه حديد، ويعرف أن الحجاج – وهو يتوعده – لا يمكن أن يحمله علىٰ الخيل، قال: «**لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا**»، الحديد تكون عنده قوة في الجري والكر والفر، والبليد بالعكس، لكن أراد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المخصوص، وحملها القبعثري علىٰ الفرس الأدهم الذي ليس بليدًا.

إذًا؛ أسلوب الحكيم هنا في ماذا؟ حيث نقل مراد المتكلم إلىٰ مراده هو، فالتصرف من المخاطب، وهذه تقع كثيرًا حتىٰ في الكلام الدارج عند الناس، تجده يحمل كلامه علىٰ غير ما أراد، إما من باب الملاطفة أو لغير ذلك من الأسباب.

❁ قوله «والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحالة المسألة»:

معناه: أن يصرف السائل عما سأل ويجاب بغير ما سأل؛ تنبيهًا له علىٰ أنه ينبغي أن يسأل عن هذا.

القصة التي ذكر المؤلف غير صحيحة، الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة عن الحكمة فيها، لا عن مسألة فلكية، فقال الله ﷻ: ﴿هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

لكن هنا آية أخرىٰ يمثل بها وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ولم يقل: «أنفقوا كذا أو كذا أو كذا»، بين وجه ما ينفق عليه إشارة إلىٰ أن الأهم محل الإنفاق لا قدر الإنفاق وأن يكون في هؤلاء: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

محسنات لفظية

١٣ - الجِناس: هو تَشابُهُ اللَّفْظَيْنِ في النطق لا في المعنىٰ، ويكون تامًّا وغيرَ تامٍّ.

- فالتامُّ: ما اتَّفَقَتْ حُروفُهُ في الهَيْئَةِ والنَّوْعِ والعَدَدِ والترتيبِ، نحو[البسيط]:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسانًا يُلاذُ بِهِ ... فَلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسانًا

ونحو [السريع]:

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ ... وأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أَرْضِهِمْ

وغيرُ تامٍّ، نحو [الطويل]:

يَمُدُّونَ مِن أَيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ ... تَصُولُ بأَسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ

١٤ - السَّجْع: هو تَوَافُقُ الفاصِلَتَيْنِ نَثْرًا في الحرفِ الأخيرِ.

- نحو: «الإنسانُ بآدابِهِ، لا بِزِيِّهِ وثِيابِهِ».

- ونحو: «يَطْبَعُ الأسْجاعَ بجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، ويَقْرَعُ الأسْماعَ بزَوَاجِرِ وَعْظِهِ».

١٥ - الاقتباس: هو أن يُضَمَّنَ الكلامُ شيئًا مِن القُرآنِ أو الحديثِ لا على أنَّه مِنْهُ، كقولِهِ [الخفيف]:

لا تكُنْ ظالِمًا، ولا تَرْضَ بالظُّلْـ ... ـمِ وأنكِرْ بكُلِّ ما يُسْتَطاعُ

يَوْمَ يأتي الحِسابُ ما لِظَلُومٍ ... مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفيعٍ يُطاعُ

وقولِهِ [الرَّمَل]:

لا تُعادِ النَّاسَ في أَوْطانِهِمْ ... قَلَّما يُرْعَى غريبُ الوَطَنِ

وإذا ما شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُم ... خالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ

ولا بَأْسَ بتغييرٍ يَسيرٍ في اللَّفْظِ المُقْتَبَسِ للوَزْنِ أو غيرِهِ، نحو [مُخَلَّع البسيطِ]:

قَدْ كانَ ما خِفْتُ أن يَكُونَا ... إنَّا إلى الله رَاجِعُونَا

والتِّلاوَةُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «محسنات لفظية»:

لما انتهىٰ المؤلف من المحسنات المعنوية ذكر المحسنات اللفظية التي تعود إلىٰ اللفظ فقط.

❁ قوله «فالتام»:

أربعة أشياء:

١- الهيئة: يعني الحركات: فتحة، ضمة، كسرة، سكون.

٢- النوع: باء، تاء، جيم، وهكذا...

٣- العدد: أربعة وأربعة مثلًا.

٤- الترتيب.

هذا يُسَمَّىٰ جناسًا تامًّا.

❁ قوله:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسانًا يُلاذُ بِهِ ... فَلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسانًا

الشاهد قوله: «**إنسانًا يلاذ به**»، المراد به: البشر، «**لعين الدهر إنسانًا**» المراد به: إنسان العين؛ لأن إنسان العين هو الذي يكون فيه البصر.

❁ قوله:

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ ... وَأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أَرْضِهِمْ

«دار» و«دار» متفقة في الهيئة والنوع والعدد والترتيب، والمعنىٰ مختلف، «دار»: الأولىٰ: فعل أمر و«دار» الثانية: اسم، «أرضهم» و«أرضهم» متفقة في الحروف عددًا وترتيبًا وهيئة ونوعًا، مختلفة في المعنىٰ «أرضهم» الأولىٰ: فعل أمر من «رضي»، و«في أرضهم»: اسم.

❁ قوله «وغير تام، نحو...»:

الشاهد قوله: «عواص عواصم»، هذا جناس غير تام؛ لأن الثانية أزيد من الأولىٰ بحرف،

حسنًا قول الشاعر [الطويل]:

وسميته يحيىٰ ليحيا فلم يكن إلىٰ رد أمر الله فيه سبيل

«يحيىٰ ليحيا»: تام.

● قوله «السجع: هو توافق الفاصلتين نثرًا، في الحرف الأخير»:

قوله: «نثرا» احترازًا من الشعر، مع أن الشعر يكون فيه أيضًا السجع، لكن الغالب أن السجع يكون في النثر.

● قوله «يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه»:

السجع كثير في كلام العرب، وفي الحديث النبوي، وفي كلام العلماء، ومن أقدر من قرأت كتابه علىٰ السجع ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التبصرة»، يأتي بسجع عجيب يأخذ باللب، وتشعر بأن الرجل لا يتكلف، ويوجد الآن معنا من يكون كلامه كله سجعًا، ويتكلم عادٍ، يسهل عليه السجع، فهل السجع محمود أو مذموم؟

نقول:

- إذا كان غير متكلف وجاءت به الطبيعة هكذا فإنه محمود؛ لأنه ينمق الكلام ويحسنه ويطرب الأسماع.

- وأما إذا كان متكلفًا فإنه لا شك أنه مذموم، ولهذا تجد السجع المتكلف يحصل فيه غموض في المعنىٰ؛ لأن المتكلم يحاول أن يأتي بالكلمات المتناسبة ولكن مع مشقة.

- أما إذا أريد به الباطل فهذا واضح أنه – سواء كان سجعًا أو غير سجع – أنه مذموم بلا شك.

فقول الرسول ﷺ **«قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق»**[١٧]؛ هذا سجع بلا شك، لكنه محمود؛ لأنه غير متكلف جاءت به السليقة هكذا، فلا يكون مذمومًا.

---

(١٧) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: إذا اشترط شروطًا في البيع لا تحل، برقم (٢١٦٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وكذلك يوجد في بعض الخطب – خطب العلماء رحمهم الله – التي قبل بدء الكلام يكون فيها سجع كثير.

أما إذا قصد به الباطل فلا شك أنه مذموم، مثل قول حمل بن النابغة للرسول ﷺ حين قضىٰ في قصة المرأتين المقتتلتين بديَّةٍ وغُرَّةٍ، قال: «**يا رسول الله كيف أغرم من لا شَرِبَ ولا أكلَ، ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يطل**»؛ يعني: «**كيف أغرم الجنين مات وهو لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يطل**»؛ يعني: يهدر، هذا سجع؛ ولهذا قال: «**لا شرب ولا أكل**» ولم يقل «**من لا أكل ولا شرب**»، مع أن العادة أن الأكل يقدم علىٰ الشرب، فقال النبي ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**[١٨]**، من أجل سجعه الذي سجع**»؛ يعني: من أجل كلامه المسجوع؛ لأن الكاهن يأتي بكلام مسجوع لينمِّق الكلام ويكون أشد طربًا للأسماع.

الخلاصة:

١- السجع المتكلف مذموم.

٢- السجع الذي يراد به إبطال الحق مذموم، لكن الأول مذموم من حيث الشكل، والثاني مذموم من حيث المضمون.

٣- السجع الذي لا يبطل حقًّا ولا يأتي متكلفًا هذا محمود؛ لأنه لا شك أنه يُحسن الكلام.

❁ قوله:

يَـوْمَ يـأتي الحِـسابُ مـا لِظَلُـومٍ مِـنْ حَمِـيمٍ ولا شَـفيعٍ يُطـاعُ

❁ قوله «ما لظلوم»:

وفي القرآن ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، «**ما لظلوم من حميم ولا شفيع يطاع**» هذا يسمىٰ الاقتباس؛ يعني: أنه اقتبس من القرآن أو الحديث هذه الجملة وأضافها إلىٰ كلامه، لكن لا علىٰ أنها منه، بل علىٰ أنها من القرآن أو من الحديث، ولكن هل هذا محمود أو لا؟

---

(١٨) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: جنين المرأة...، برقم (٦٩١٠)، ومسلم، كتاب: القسامة، باب: دية الجنين ووجوب الدية...، برقم (٣٦/ ١٦٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا اشتهر بين الأدباء في القرون الوسطىٰ، لكنه فيما أرىٰ مذموم، خصوصًا إذا جاء في الشعر وهو من القرآن؛ لأن هذا يوحي بأن القرآن نوع من الشعر، فلذلك ينبغي أن يقال: إن الاقتباس من القرآن إذا كان في النظم فهو مذموم؛ لأنه يجب إبعاد القرآن عن الشعر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

❁ **قوله:**

وإذا مـــا شِـــئْتَ عَيْـــشًا بَيْـــنَهُم خـــالِقِ النَّـــاسَ بِخُلْـــقٍ حَـــسَنِ

الشاهد: «خالق الناس بخلق حسن»: هذا جزء من حديث[١٩]

❁ **قوله «ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس...»:**

لكن إذا غير فقد يمنع أن يكون اقتباسًا؛ لأنه إذا تغير ما صار بلفظ القرآن، ولا بلفظ الحديث.

الاقتباس إذًا؛ من المحسنات اللفظية، لكن لا ينبغي أن يكون من القرآن إذا كان ذلك في الشعر.

(١٩) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، و أحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٨)، وغيرهما من حديث أبي ذر ﷺ، وصححه الألباني في: «المشكاة»، برقم (٥٠٨٣).

خاتمة

١٦ - حُسْنُ الابتداءِ: هوأن يَجْعَلَ المتكلِّمُ مَبْدَأَ كلامِهِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صحيحَ المعنىٰ، فإذا اشتَمَلَ علىٰ إشارَةٍ لطيفةٍ إلىٰ المقصودِ سُمِّيَ «بَراعَةَ الاستهلالِ»، كقولِهِ في تهنئةٍ بزوالِ مَرَضٍ [البسيط]:

المَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ ... وزالَ عنكَ إلىٰ أعدائِكَ السَّقَمُ

وكقولِ الآخَرِ في التهنئةِ ببناءِ قَصْرٍ [الكامل]:

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... خَلَعَتْ عليه جَمالَها الأَيَّامُ

١٧ - حُسْنُ الانتهاءِ: هو أن يَجْعَلَ آخِرَ الكلامِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صحيحَ المعنىٰ، فإنِ اشتَمَلَ علىٰ ما يُشْعِرُ بالانتهاءِ سُمِّيَ «براعَةَ المَقْطَعِ»، كقولِهِ [الطويل]:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وهذا دُعاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شامِلُ

❁ ❁ ❁

* الشرح *

❁ قوله «براعة الاستهلال»:

ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «بلوغ المرام» قال: «الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قديمًا وحديثًا»، براعة الاستهلال في قوله: «حديثًا» وكلمة «براعة» تفهم بأن هذا الأسلوب يأتي عن ذكاء وفطنة.

❁ قوله «براعة المقطع»:

وبعضهم يقول: «براعة الاختتام أو الانتهاء»، والمعنى واحد.

❁ قوله:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وهذا دُعاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شامِلُ

الشاهد قوله: «وهذا دعاء للبرية شامل»؛ يعني: انتهينا.

تنبيه

ينبغي للمعلِّمِ أن يُناقِشَ تلاميذَه في مسائلِ كلِّ مَبْحَثٍ شَرَحَهُ لهم مِن هذا الكتابِ؛ لِيتمكَّنوا مِن فَهْمِهِ جَيِّدًا، فإذا رأىٰ منهم ذلك سألهم مسائلَ أُخرىٰ يُمْكِنُهم إدراكُها مِمَّا فَهِمُوه.

أ- كأنْ يسأَلُهم بعد شَرْحِ الفصاحةِ والبلاغةِ وفَهْمِهِما عن أسبابِ خروجِ العباراتِ الآتية عنهما أو عن إحداهما:

[مجزوء الرَّجَز]:

١ - وَجَفْنَـــةٍ مُتْعَنْجِـــرَهْ وَطَعْنَـــةٍ مُـــسْحَنْفِرَهْ

تَبْـقَىٰ غـــدًا بِأَنْـقَـــرَهْ

أي: جفنةٍ مَلآىٰ، وطعنةٍ مُتَّسِعَةٍ، تبقىٰ ببلد أنقرة.

[الرَّجَز]:

٢ - الحمـــدُ للهِ العَـــلِيِّ الأَجْلَـــلِ .....

٣ - «أكلتُ العَرينَ، وشربتُ الصُّمَادِحَ» تريد اللَّحْمَ والماءَ الخالصَ.

[السريع]:

٤ - وَازْوَرَّ مَـــن كـــان لَـــهُ زائِـــرًا وعـــافَ عـــافِي العُـــرْفِ عِرْفانَـــهُ

[الطويل]:

٥ - أَلَا لَيْتَ شِعْري هل يَلُومَنَّ قَوْمُهُ زُهَـيْرًا علىٰ مـا جَـرَّ مِـن كُـلِّ جانِـبِ

[الكامل]:

٦ - مَنْ يَهْتَدِي في الفِعْلِ ما لا يَهْتَدِي في القـــول حتـــىٰ يفعـــلَ الـــشعراءُ

أي: يهتدي في الفعلِ ما لا يَهتديه الشُّعراءُ في القولِ حتىٰ يَفعل.

٧ - «قَرُبَ مِنَّا فَرَأَيْناهُ أسدًا»: تريد أبْخَرَ.

٨ - «يَجِبُ عليكَ أن تَفْعَلَ كذا» تقوله بشدَّةٍ مُخاطِبًا لِمَن إذا فَعَلَ عُدَّ فِعْلُهُ كَرَمًا وفَضْلًا.

ب - وكأنْ يسألُهم بعد بابِ الخَبَرِ والإنشاءِ أنْ يُجِيبوا عمَّا يأتي:

١ - أمِنَ الخَبَرِ أم الإنشاءِ:

- قولُك: «الكلُّ أعظمُ من الجُزْءِ».

- وقولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧٦].

٢ - ما الذي يستفيده السامِعُ مِن قولِك:

- «أنا مُعْتَرِفٌ بفضلِك».

- «أنتَ تقوم في السَّحَرِ».

- «رَبِّ إنِّي لا أستطيعُ اصطبارًا».

٣ - من أيِّ الأضرب قولُهُ تعالىٰ عن رُسُلِ عيسىٰ:

- ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

- ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

٤ - مِن أيِّ أنواعِ الإنشاءِ هذه الأمثلةُ، وما معانيها المستَفادَةُ مِن القرائِنِ:

[الطويل]:

أُولَئِـكَ آبـائي فَجِئْنِـي بِمِـثْلِهِمْ ... إذا جَمَعَتْنـا يـا جَريـرُ المَجَـامِعُ

«اِعْمَلْ ما بَدَا لَك».

«لا تَرْجِعْ عن غَيِّكَ».

«لا أُبالِي أَقَعَدَ أَمْ قامَ».

- ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

- ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

[الرَّمَل]:

- لَيْـتَ هِنـدًا أَنجَزَتْنـا مـا تَعِـدْ ... وشَـفَتْ أَنفُـسَنا مِـمَّا نَجِـدْ

«لو يأتينا فيُحَدِّثَنا»

[الوافر]:

أَسُـكَّانَ العَقيـقِ كَفَـىٰ فِراقًـا ... .

جـ - وكأن يسألُهم بعد «الذِّكْرِ والحذفِ»:

* عن دواعي الذِّكْر في هذه الأمثلة:

١ - ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: ١٠] .

٢ - «الرئيسُ كَلَّمَني في أَمْرِكَ، والرئيسُ أَمَرَني بمُقَابَلَتِكَ»، تُخاطِبُ غَبِيًّا.

٣ - «الأميرُ نَشَر المعارِفَ، وأَمَّنَ المخاوِفَ»، جوبًا لمَن سَأَل: ما فَعَلَ الأمِيرُ؟

٤ - «حَضَرَ السارقُ»، جوابًا لقائلٍ: هل حَضَرَ السارقُ؟

٥ - «الجِدارُ مُشرِفٌ على السقوطِ»، تقوله بعد سَبْقِ ذِكْرِهِ؛ تنبيهًا لصاحبه.

* وعن داوعي الحذف في هذه الأمثلةِ:

١ - ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الجن: ١٠] .

٢ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[الليل: ٥ - ٧] .

٣ - ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[الأعلى: ٢] .

٤ - ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[الضحى: ٦] .

٥ - ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾[يوسف: ١٨] .

٦ - «مُنْضِجَةُ الزُّروعِ، ومُصلِحَةُ الهواءِ».

٧ - «مُحْتالٌ مُراوِغٌ»، بعد ذِكْرِ إنسانٍ.

[الكامل]:

أَمْ كيـف يَنْطِـقُ بـالقَبيحِ مُجـاهِرًا ... والهِـرُّ يُحْـدِثُ مـا يَـشاءُ فَيـدْفِنُ

د - وكأنْ يسأَلُهم عن دواعي التقديمِ والتأخيرِ في هذه الأمثلةِ:

١ - ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

[البسيط]:

٢ - مـا كُـلُّ مـا يَتَمَنَّـىٰ المَـرْءُ يُدْرِكُـهُ .....

٣ - «السَّفَّاحُ في دارِكَ».

٤ - «إذا أَقْبَلَ عليك الزَّمانُ نقترح عليك ما نشاء».

٥ - «الإنسانُ جِسْمٌ نامٍ، حَسَّاسٌ ناطِقٌ».

٦ - «اللهَ أَسْأَلُ أن يُصْلِحَ الأمرَ».

٧ - «الدَّهْرُ مَلَأَ فَوْدَيَّ شَيْبًا».

٨ - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

[البسيط]:

٩ - ثلاثـةٌ تُـشْرِقُ الـدُّنيا بِبَهْجَتِهـا: شَـمْسُ الـضُّحَىٰ وأبـو إسـحاقَ والقَمَرُ

[المتقارِب]:

١٠ - ومـا أنـا أَسْـقَمْتُ جِـسْمِي بِـهِ ومـا أنـا أَضْرَمْـتُ في القلـبِ نـارَا

هـ - وكأنْ يسألُهم بعد التشبيهِ عن التشبيهاتِ الآتيةِ:

[الطويل]:

١ - وقد لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لَمن رَأَىٰ ... كعُنقودِ مَلَّاحِيةٍ جينَ نَوَّرَا

[المُنسَرح]:

٢- كأنَّما النَّارُ في تَلَهُّبِها ... والفَحْمُ مِن فَوْقِها يُغَطِّيها

زِنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أنامِلَها ... مِن فَوْقِ نارِنْجَةٍ لِتُخْفيها

[الكامل]:

٣ - وكأنَّ أجرامَ النُّجومِ لَوامِعًا ... دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلىٰ بِساطٍ أزْرَقِ

٤ - عَزَماتُهُ مِثْلُ النُّجومِ ثَواقِبًا ... لو لم يَكُنْ لِلثَّاقِباتِ أُفولُ

[الكامل]:

٥ - أَبْذُلْ فإنَّ المالَ شَعْرٌ كُلَّما ... أَوْسَعْتَهُ حَلْقًا يزيدُ نباتًا

[الطويل]:

٦ - ولَمَّا بَدَا لِيْ مِنكَ مَيْلٌ مَعَ العِدَا ... عَلَيَّ ولَمْ يَحْدُثْ سِواكَ بديلُ

صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّميُّ تطاوَلَتْ ... بِهِ مُدَّةُ الأيامِ وَهْوَ قتيلُ

[الخفيف]:

٧ - رُبَّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ ليس فيهِ ... أَمَلٌ يُرْتَجَىٰ لِنَفْعٍ وضُرِّ

وعِظامٍ تَحْتَ التُّرابِ وفوقَ الـ ... أَرْضِ مِنْها آثارُ حمدٍ وشُكْرِ

[الطويل]:

٨ - كأنَّ انتضاءَ البدرِ مِن تَحْتِ غَيْمِهِ ... نَجاةٌ مِن البأساء بعد وُقوعِ

و- وكأنْ يسألُهم عن المُحَسِّناتِ البديعيةِ فيما يأتي:

[مجزوء الرَّمَل]:

١- كـــانَ مـــا كـــانَ وزالا ... فَـــاطَّرِحْ قِـــيلًا وقـــالَا

أيُّهـــا المُعْـــرِضُ عَنَّـــا ... حَـــسْبُكَ اللهُ تعـــالى

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[البقرة: ٢٥٨] ، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

[الكامل]:

٣- خُلِقُـوا ومـا خُلِقُـوا لِمَكْرُمَـةٍ ... فكـأنَّهم خُلِقُـوا ومـا خُلِقُـوا

[الطويل]:

عـلى رَأْسِ حُـرٍّ تـاجُ عِـزٍّ يَزينُـهُ ... وفي رِجْـلِ عَبْـدٍ قَيْـدُ ذُلٍّ يَـشينُهُ

[المُجْتَثّ]:

٥- مَـنْ قـاسَ جَـدواكَ يومًـا ... بالـسُّحْبِ أَخْطَـأَ مَـدْحَكْ

الـسُّحْبُ تُعْطـي وتَبْكِـي ... وأنـتَ تُعْطـي وتَـضْحَكْ

[الكامل]:

٦- آراؤُكُـمْ ووُجـوهُكُمْ وسُـيُوفُكُمْ ... في الحادِثـاتِ إذا دَجَـوْنَ نجـومُ

[الخفيف]:

٧- إنَّـما هـذه الحيـاةُ متـاعٌ ... والـسَّفِيهُ الغَبِـيُّ مَـنْ يَـصْطَفِيها

مـا مَـضَى فـاتَ والمُؤَمَّـلُ غَيْـبٌ ... ولَـكَ الـسَّاعَةُ التـي أنـتَ فيهـا

[البسيط]:

٨- لاعَيْبَ فيهِمْ سِوى أنَّ النَّزيلَ بِهِمْ ... يَسْلُوا عـن الأهـلِ والأوطـانِ والحَـشَمِ

[مجزوء الخفيف]:

٩ - عـــاشِرِ النَّـــاسَ بالجَمِيـــ ـــــيلِ وخَـــلِّ المُزاحَمَـــهْ
وتَـــيَقَّظْ وقُـــلْ لِـــمَنْ يَتَعـــاطَى المُـــزاحُ: مَـــهْ

[الوافر]:

١٠ - فَلَـمْ تَـضَعِ الأعـادي قَـدْرِ شـاني ولا قـــالوا فـــلانٌ قَـــدْ رَشـــاني

١١ - أيُّ شيءٍ أطيبُ مِن ابتسامِ الثُّغورِ، ودوامِ السُّرورِ، وبُكاءِ الغمامِ، ونَوْحِ الحمامِ.

[البسيط]:

١٢ - مَـدَحْتُ مَجْـدَكَ والإخـلاصُ مُلْتَزَمـي فيـه وحُـسْنُ رجـائي فيـكَ مُحْتَتَمِـي

ولا يَصْعُبُ على المُعَلِّم اقتِفاءُ هذا المَنْهَجِ، واللهُ الهادي إلى طريق النَّجاحِ.

تم الكتاب، والحمد لله رب العالمين

❁ ❁ ❁

سلسلة شرح المتون العلمية

شرح الآمل

لِصيد شوارد المسَائل

تأليف

علي صقر

من علماء القرن الرابع عشر الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن أبدع نظام الوجود على غير سبق مثال، وأودع فيه من أسرار المعاني الحكيمة ما لا يستطيع بيانه بلغاء الرجال، سبحانه لا معقب لحكمه وهو الكبير المتعال، وصلاةً وسلامًا على المصطفى من[1] أبلغ بلغاء العرب العرباء، وعلى آله وأصحابه الذين بنوا وشيدوا قصر الدين أبدع تشييد وأتقن بناء، دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار ما دامت الأرض والسماء.

وبعد:

فيقول الفقير إلى ربه القدير «علي صقر» ذو العجز والقصور والتقصير، هذا ملخص في فنون البلاغة، اقتطفته من رياض أهل الصناعة. فما كان فيه صوابًا فهو من تلك الثمار، وما كان في خطأ فهو من ذهني العثار، ألجأتني إليه ضرورة التعليم، لا لأن يقال: أَلَّفَ، وحسبي الله في النفع به والوقاية من شر عباده إذ هو الذي بين قلوب المؤمنين ألف.

وسميته برويًّا بعض الأفاضل «شرك الآمل» وأضفت عليه: «لصيد شوارد المسائل» .

فعسى أن يكون له من ذلك الاسم بعض نصيب، إن الله بعباده لطيف ولدعائهم مجيب، وقد شرعت في الجمع، متبرئًا من القوة والجمع، فقلت وعلى الله توكلت.

(١) موجود بالأصل ولعل الصواب حذفها.

مقدمة

س: ما هي الفصاحة لغةً واصطلاحًا؟

ج: الفصاحة في اللغة: الإبانة والظهور ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]؛ أي: أبين مني قولًا، واصطلاحًا: تكون في الكلمة والكلام والمتكلم، فأما في الكلمة: فهي خلوصها من تنافر الحروف والغرابةومخالفة القياس الصرفي، قيل ومن الكراهة في السمع، وأما في الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد اللفظي والمعنوي، قيل: ومن كثرة التكرار كقوله:

إني وأسطار سطرن سطرا ... لقائل يا نصر نصر نصرا

قيل: وتتابع الإضافات كقوله:

حمامة جرعىٰ حومة الجندل اسجعي ... فأنت بمرأىٰ من سعاد ومسمع

وأما في المتكلم: فهي ملكة يقتدر بها علىٰ التعبير عن المقصود بلفظ فصيح.

س: ما هو التنافر في الكلمة؟

ج: هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها علىٰ اللسان وعسر النطق بها كمستشزرات؛ أي: مرتفعات من قوله:

غدائره مستشزرات إلىٰ العلىٰ ... تضل العقاص في مثنىٰ ومرسل

وكالثغتغة لصوت الحلي، وكالخعخع أوالهعخع لنبت ترعاه الإبل.

س: ما هي الغرابة في الكلمة؟

ج: هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنىٰ ولا مألوفة الاستعمال كمسرج من قول الشاعر:

ومقلة وحاجبًا مزججًا ... وفاحمًا ومرسنًا مسرجًا

أي: شعرًا أسود كالفحم وأنفًا ذا بريق ولمعان كالسراج أو ذا صقالة واحديداب كالسيف السريجي، وكتكأكأتم علي كتأكؤكم علىٰ ذي جنة افرنقعوا.

س: ما هي مخالفة القياس الصرفي في الكلمة؟

ج: هي كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي كالأجلل في قوله:

الحمد لله العلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأول

فإن القياس الأجل بالإدغام لا بالفك، وكـ«مبيوع» فإن القياس: مبيع.

س: ما هي الكراهة في السمع في الكلمة؟

ج: هي كون الكلمة وحشية تأنفها الطباع وتمجها الأسماع كالنقاخ للماء العذب في قول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماء قال لي: دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

وكالجرشي للنفس في قوله:

كريم الجرشي شريف النسب

وكالسقرقع لشراب الذرة.

س: ما هو ضعف التأليف في الكلام؟

ج: هو كون الكلام غير جار على القانون النحوي كالإضمار قبل الذكر في قول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

ونحو قوله:

لما رأى طالبوه مصعبًا ذعروا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر

ونحو- والله يشهد أنني لصبور- والصواب: إنني بالكسر.

س: ما هو تنافر الكلمات في الكلام؟

ج: هو وصف في الكلام يوجب ثقله على اللسان وعسر النطق به، ومنه خفيف كقول الشاعر:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

ومنه ثقيل كقول الشاعر:

وقـــبر حـــرب بمكـــان قفـــر ولـــيس قـــرب قـــبر حـــرب قـــبر

س: ما هو التعقيد اللفظي في الكلام؟

ج: هو كون الكلام مشوشًا غير ظاهر الدلالة على المراد إلا بصعوبة نحو إلا عمرًا الناس ضرب زيد، أصله ضرب زيد الناس إلا عمرًا، ونحو قول الشاعر:

ومـــا مثلـــه في النـــاس إلى مملكًـــا أبـــو أمـــه حـــي أبـــوه يقاربـــه

أصله: وما مثله حي يقاربه في الناس إلا مملكًا أبو أمه أبوه، فقدم المستثنى على المستثنى منه وفصل بين مثل وحي، وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه، وهما مبتدأ وخبر، وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت، ولا يفصل بين كل منها بأجنبي. وقائله الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك، يريد وما مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا ابن أخته هشام فالضمير في أمه عائد على المملك وفي أبوه عائد على إبراهيم الخال.

س: ما هو التعقيد المعنوي في الكلام؟

ج: هو استعمال اللفظ فيما لزم معناه لزومًا خفيًا بعيدًا نحو نشر الملك ألسنته في المدينة مرادًا بها جواسيسه، والصواب: نشر عيونه، ونحو قول الشاعر:

ســـأطلب بعـــد الـــدار عـــنكم لتقربـــوا وتـــسكب عينـــاي الـــدموع لتجمـــدا

أي: ليحصل لهما السرور فكنى بجمود العين عن سرورها، وهو خفي وبعيد، ووجه الخفاء والبعد أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له: جمدت عينك، أو: لا زالت عينك جامدة بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يكنى به عن عدم البكاء حالة الحزن كما في قول الخنساء:

أعينـــي جـــودا ولا تجمـــدا ألا تبكيـــان لـــصخر النـــدى

س: ما هي البلاغة لغة واصطلاحًا؟

ج: **البلاغة في اللغة:** الفصاحة والوصول والانتهاء، **وفي الاصطلاح:** تكون في الكلام والمتكلم فقط فكل بليغ فصيح ولا عكس، فأما البلاغة في الكلام فهي مطابقته لمقتضىٰ الحال مع فصاحته، ولها طرفان أعلىٰ، وهوحد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما التحق ما دونه بأصوات الحيوانات عند البلغاء، وأما في المتكلم فهي ملكة يقتدر بها علىٰ تأليف كلام بليغ، فبعلم المعاني يعرف مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، وبعلم البيان يحترز عن التعقيد المعنوي، وبعلم البديع تعرف وجوه التحسين، وقد يسمىٰ الجميع علم البيان، وبعضهم يسمي الأخيرين علم البيان والثلاثة علم البديع.

الفن الأول: علم المعاني

س: ما هو علم المعاني؟

ج: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضىٰ الحال؛ أي: المقام، وهو منحصر في **ثمانية أبواب:** ١-أحوال الإسناد الخبري.

٢- أحوال المسند إليه.

٣- أحوال المسند.

٤-أحوال متعلقات الفعل.

٥- القصر.

٦-الإنشاء.

٧-الفصل والوصل.

٨-الإيجاز والإطناب والمساواة.

س: ما هو الحال؟

ج: هو الأمر الداعي للمتكلم إلىٰ إيراد خصوصية في التركيب كالجهل والشك والإنكار، فالجهل حال يدعو المتكلم إلىٰ إيراد الكلام غير مؤكد، وعدم التأكيد هو مقتضىٰ الحال، والشك حال يدعو المتكلم إلىٰ استحسان التأكيد، واستحسان التأكيد هو مقتضىٰ الحال، والإنكار حال يدعو المتكلم إلىٰ وجوب التأكيد، ووجوب التأكيد هو مقتضىٰ الحال وهكذا،فالجاهل بنفع العلم مثلًا لا يسوغ له التأكيد بل يقال له: العلم نافع، والمتردد في نفعه يحسن له التأكيد بأن يقال له إن العلم نافع والمنكر يجب له التأكيد بأن يقال له: إن العلم نافع أيضًا، ثم إن استمر علىٰ ذلك يعزز له التأكيد بأن يقال له: إن العلم لنافع، ثم إن استمر علىٰ ذلك يعزز له أيضًا بأن يقال له: والله إن العلم لنافع، فإن تمادىٰ علىٰ الإنكار فيترك لأنه مكابر، ويسمىٰ الضرب **الأول:** ابتدائيًّا **والثاني:** طلبيًّا **والثالث** إنكاريًّا، وإيراد الكلام علىٰ هذا الوجه يسمىٰ مقتضىٰ الظاهر وقد

يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير المنكر كالمنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار كقوله:

جـــاء شـــقيق عارضًـــا رمحـــه إن بنـــي عمـــك فـــيهم رمـــاح

فشقيق لا ينكر رماح بني عمه لكن مجيئه واضعًا رمحه على العرض بمنزلة إنكاره أن لهم رماحًا فأكد له الكلام، وكذا يجعل المنكر كغيره إذا كان إنكاره ظاهر البطلان كقولك: الله موجود لمن ينكر وجود الله.

ومعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال: اشتماله على الخصوصية التي اقتضاها الحال والكلام العربي قسمان:

خبر، وإنشاء.

س: ما هو الخبر والإنشاء؟

ج: الخبر: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته أو ما لا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو الأدب ممدوح والعلم نافع، والإنشاء ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته أو ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو لا تكسل عن طلب العلم.

أحوال الإسناد الخبري

س: ما هو الإسناد؟

ج: هو ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى والأصل فيه أن يلقى لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة نحو جاء الأمير ويسمى ذلك فائدة الخبر، أو لإفادته أن المتكلم عالم بالحكم نحو ما يقال للعالم: أنت عالم وللمنصف أنت منصف ويسمى لازم الفائدة ويلقى للمخاطب لأغراض أخرى: منها تحويل الهمة إلى ما يلزم تحصيله نحو

فلـــيس ســـواء عـــالم وجهـــول

ومنها الاسترحام نحو إني فقير إلى عفو ربي، ومنها إظهار الضعف نحو: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

والخبر ينقسم إلىٰ قسمين: **حقيقة عقلية، ومجاز عقلي.**

س: ما هي الحقيقة العقلية؟

ج: هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلىٰ ما هو له نحو بنىٰ البَنَّاءُ البيتَ وأصلح النجار الباب وقام زيد وأنبت الله البقل.

س: ما هو المجاز العقلي؟

ج: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلىٰ غير ما هو له لعلاقة، وله علاقات شتىٰ فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيل مفعم؛ أي: مملوء، فإسناد مفعم، وهو مبني للمفعول إلىٰ ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية ويلابس المفعول لوقوعه عليه نحو ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١] فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلىٰ ضمير العيشة وهي مفعول مجاز عقلي ملابسته المفعولية ويلابس الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره وسال الميزاب، ويلابس السبب نحو: بنىٰ الأمير المدينة، ومحل ذكره البيان وإنما ذكر هنا استطرادًا لأجل التقسيم.

س: لماذا يؤتى بالخبر جملة إسمية؟

ج: يؤتىٰ به جملة إسمية لإفادة الثبوت ولإفادة الاستمرار بحسب القرائن كمقام المدح والذم **فالأول نحو** محمود فاهم أي: ثبت له الفهم ولو انقطع بعد، **والثاني نحو:** العلم ممدوح والجهل مذموم أي المدح والذم ثابتان لهما علىٰ الدوام.

س: لماذا يؤتى بالخبر جملة فعلية؟

ج: يؤتىٰ به جملة فعلية لإفادة التجدد في زمن مخصوص مع الاختصار نحو قدم الأمير أي: ثبت له القدوم في زمنٍ ماضٍ، وقد تفيد الاستمرار التجددي في المضارع بالقرائن نحو: أحمد الله علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ فإن الحمد مستمر ما دامت النعم وهي لا نهاية لها.

أحوال المسند إليه

س: ما هو المسند إليه وما أحواله؟

ج: المسند إليه: هو المبتدأ أو الفاعل أو نائبه، وأحواله هي:الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتنكير والتعريف وغيرها.

س: ما هو الذكر؟

ج: هو الإتيان بالمسند إليه أو المسند في الجملة فيذكر المسند إليه لكون ذكره الأصل ولا مقتضىٰ للعدول عنه نحو العلم خير من المال. وإما لزيادة الإيضاح نحو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]، وإما لإفادة الهيبة نحو: حضر سيف الدولة في جواب: هل حضر الأمير؟ وإما للتبرك نحو: مرشدي إبراهيم في جواب: مَن مرشدك؟، وإما لضعف الاعتماد علىٰ القرينة كقولك: أستاذي يوسف، في جواب: من أستاذك؟ إذا طال الفصل بين السؤال والجواب، وإما للرد علىٰ المخاطب نحو: زيد عالم ردًّا علىٰ من قال: زيد جاهل، وإما للتلذذ نحو: الله ربي الله حسبي.

س: ما هو الحذف؟

ج: هو إسقاط المسند إليه من الجملة، فيحذف المسند إليه لدلالة القرينة عليه نحو: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ أي: أنا، ولضيق المقام عن ذكره محافظة علىٰ وزن أو قافية نحو:

عـلىٰ أنني راضٍ بأن أحمل الهوىٰ ... وأخلص منه لا عليَّ ولا ليا

أي: لا عليَّ شيء ولا لي شيء ونحو:

قال لي كيف أنت قلت عليل؟ ... سهر دائم وحزن طويل

وللحذر من فوات فرصة كقول منبه الصياد: غزال؛ أي: هذا غزال، ولكون المسند لا يليق إلا به حقيقة، أو ادعاء نحو –عالم الغيب والشهادة؛ أي: الله، ونحو وهاب الألوف؛ أي: فلان ولاتباع الاستعمال نحو: رمية من غير رام؛ أي هذه، ولاخفاء الأمر عن غير المخاطب نحو: وعدت بالزيارة؛

أي: هند، ولتأتي الإنكار لدىٰ الحاجة نحو لئيم خسيس بعد ذكر شخص، ولا تلتمس دواعي الذكر أو الحذف إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما، أما إذا تعين الذكر أو الخلاف فلا.

س: ما هو التقديم؟

ج: هو الإتيان بالمسند إليه أو المسند في صدر الجملة،أما تقديم المسند إليه فلكون ذكره أهم لكونه المحكوم عليه أو ليتمكن الخبر في ذهن السامع إذا كان في المبتدأ تشويقًا إليه نحو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، ونحو:

والـــذي حـــارت البريـــة فيـــه ... حيـــوان مـــستحدث مـــن جمـــاد

ولتعجيل المسرة نحو سعد في دارك والحبيب أقبل، أو المساءة نحو العدو حضر والسفاح في دار صديقك، وللتعظيم نحو العالم عندي، ولإفادة الحصر، إما في النفي نحو: ما أنا فعلت هذا، وإما في الإيجاب نحو: أنا سعيت في حاجتك، وللتعميم نحو: كل معلم يحب الخير لتلامذته، ولتقوية الإسناد إذا كان الخبر فعلًا نحو: حسن حفظ، وللتخصيص نحو: رجل جاء، ردًّا علىٰ من زعم أن الجائي امرأة أو رجلان.

س: ما هو التأخير؟

ج: هو تأخير المسند إليه عن المسند، ويؤخر إن اقتضىٰ المقام تقديم المسند، ولا تلتمس دواع للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح ذلك.

س: ما هو التنكير؟

ج: هو الإتيان بالمسند إليه أو المسند نكرة فتنكير المسند إليه إما للتعظيم وإما للتحقير وقد اجتمعا في قول الشاعر:

لـــه حاجـــب عـــن كـــل أمـــر يـــشينه ... ولـيس لـه عـن طالـب العـرف حاجـب

أي: له مانع عظيم عن كل شين وليس له مانع حقير عن طالب الإحسان، وإما للتقليل نحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢] ؛ أي: قليل من الرضوان أكبر من كل شيء، وإما للتكثير

نحو: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ [فاطر: ٤]، وإما لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاء نحو: جاء رجل إذا لم يعرف له علمًا ولا غيره حقيقة أو ادعاء، وإما للإفراد نحو: ويل أهون من ويلين، وإما للنوعية نحو: لكل داء دواء إلا الموت.

س: ما هو التعريف؟

ج: هو الإتيان بالشيء معرفًا بطريق من الطرق للإشارة إلىٰ معين من حيث هو معين، بخلاف النكرة فإنها تدل علىٰ المعين من حيث ذاته، فالمعرفة تفهم شيئين مدلولًا معينًا وكونه معلومًا للسامع، والنكرة تفهم ذات المدلول المعين فقط هذا هو الفرق بين المعرفة والنكرة، والتعريف إما بالإضمار وإما بالعلمية وإما بالإشارة وإما بالموصولية وإما بأل وإما بالإضافة.

س: لم يعرف المسند إليه بالإضمار؟

ج: يعرف بالإضمار؛ لكون المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة مع الاختصار.

س: لماذا يعرف بالعلمية؟

ج: يعرف بالعلمية؛ لإحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص نحو أحمد مبارك الناصية، وللتبرك نحو: الله أكرمني؛ في جواب: هل أكرمك الله، وللتلذذ نحو قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكن أم ليلىٰ من البشر

وللمدح نحو: حضر زين العابدين، وللذم نحو: جاء كرز، وللتفاؤل نحو: جاء سرور، وللتشاؤم نحو: ذهب حرب.

س: لماذا يعرف الشيء بالإشارة؟

ج: يعرف بالإشارة؛ لكونها طريقًا إلىٰ إحضار المشار إليه في ذهن السامع بأن يكون حاضرًا محسوسًا ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص ولا معينًا آخر نحو: هذا عالم أو جاهل، أو لكمال التمييز نحو هذا أكرمني فأكرمه، أو للتعريض بغباوة السامع حتىٰ كأنه لا يفهم غير المحسوس نحو:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أو لبيان حاله قربًا أو بعدًا أو توسطًا حقيقة نحو هذا وذلك أو ذاك، أو رتبة نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أو لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع نحو:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقًا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقًا

س: لماذا يعرف الشيء بالموصولية؟

ج: يعرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة نحو الذي كان معنا بالأمس فعل كذا، ونحو: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص: ١٨] وللتعظيم نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] ولاستهجان التصريح باسمه نحو: الذي رباني أبي والذي علمني له الفضل علي، ولتنبيه المخاطب على خطأ وقع منه نحو:

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

أي: من تظنون أخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن ولا يفهم هذا لو قيل: إن قوم كذا ... إلخ، وللتقرير نحو: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣] لم يقل زليخا لتقرير نزاهة يوسف عليه السلام، ولإخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: أخذت ما أعطانيه الأمير.

س: لماذا يعرف الشيء بأل؟

ج: يعرف بأل للإشارة إلى الحقيقة نحو الإنسان حيوان ناطق وتسمى لام الجنس لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس بقطع النظر عن الأفراد، أو للإشارة إلى فرد معهود خارجًا بين المتخاطبين لتقدم ذكره صريحًا نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥] ونحو جاءني رجل فأكرمت الرجل، أو تلويحًا نحو: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] فإنه إشارة إلى ما في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] فإنهم كانوا لا يحررون إلا الذكور، أو لحضوره بذاته نحو: اليوم مبارك ويسمى عهدًا حضوريًا، أو للإشارة إلى فرد معهود ذهنًا نحو: جاء الرسول، وجاء الأستاذ ويسمى كل من العهد الخارجي والذهني تعريف العهد لكون الإشارة فيه إلى المعهود خارجًا أو ذهنًا، وإما للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم نحو: ادخل السوق واشتر اللحم، وهذا

هو العهد الذهني عند البيانيين أو للإشارة إلىٰ كل الأفراد مطلقًا لقرينة حالية نحو: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] أو مقالية نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢، ٣] أي: كل إنسان بدليل الاستثناء ويسمىٰ استغراقًا حقيقيًا أو إلىٰ كل الأفراد مقيدًا نحو: جمع الأمير الصاغة؛ أي: صاغة بلده ويسمىٰ استغراقًا عرفيًا.

س: لماذا يعرف الشيء بالإضافة؟

ج: يعرف بالإضافة؛ لتعينها حيث لا علم بغيرها من المعرفات نحو جاء رسولك وأقبل غلام الناظر، ولتعذر التفصيل نحو أجمع أهل الحق علىٰ كذا أو إملاله نحو.

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... وللسبع خير من ثلاث وأكثر

فإن تعداد قبائله السبع يوقع السامع في ملل وسآمة، ولتضمنها تعظيم المضاف نحو جاء غلام الملك أو المضاف إليه نحو خادمي حضر أو غيرهما نحو كاتب السلطان عندي، أو لتضمنها تحقير المضاف نحو جاء ابن الحلاق، أو المضاف إليه نحو اللص رفيق زيد أو غيرهما نحو سعيد يجالس ابن اللص، وللإشارة إلا اعتبار لطيف نحو:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل أذاعت غزلها في القرائب

أضاف الكوكب إلىٰ الخرقاء؛ أي: الحمقاء مع أنه ليس لها؛ لأنها لا تعد الملابس إلا أوان طلوعه سحرًا؛ أي: في الشتاء.

أحوال المسند

س: ما هو المسند وما أحواله؟

ج: هو الخبر أو الفعل أو اسم الفعل أو الوصف المستغنىٰ بمرفوعه عن الخبر، وأحواله:

- الذكر.
- والحذف.
- والتعريف.
- والتنكير ونحوها.

س: لِمَ يذكر المسند؟

ج: لأن ذكره هو الأصل ولا مقتضىٰ للعدول عنه، ولضعف التعويل علىٰ القرينة نحو: حالي مستقيم ورزقي ميسور إذ لو حذف ميسور لا يدل عليه المذكور ولضعف تنبه السامع نحو: أصلها ثابت وفرعها ثابت إذ لو حذف ثابت ربما لا يتنبه له السامع، ولكي يتعين كونه فعلًا فيفيد التجدد مقيدًا بأحد الأزمنة علىٰ أخصر طريق، أو اسمًا فيفيد الثبوت مطلقًا نحو: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإن يخادعون يفيد التجدد مرة بعد أخرىٰ مقيدًا بالزمان من غير افتقار إلىٰ قرينة تدل عليه كذكر الآن أو الغد وقوله خادعهم يفيد الثبوت مطلقًا من غير نظر إلىٰ زمان يتعلق به وللرد علىٰ المخاطب نحو: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، بعد: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

س: لم يحذف المسند؟

ج: يحذف إذا دلت عليه قرينة نحو: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]، بعد: ﴿مَن يُعِيدُنَا﴾، ولضيق المقام عن ذكره نحو:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

أي: نحن بما عندنا راضون فحذف لضيق المقام، وإما اتباعًا للاستعمال نحو: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢١]؛ أي: لولا أنتم موجودون.

س: لِمَ يعرف المسند؟

ج: يعرف لإفادة السامع حكمًا علىٰ أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله نحو: هذا الخطيب وذاك نقيب الأشراف، ولإفادة قصره علىٰ المسند إليه حقيقة أو ادعاء نحو: أنت الأمير إذا لم يوجد غيره حقيقة أو ادعاء.

س: لِمَ ينكر المسند؟

ج: لقصد انتفاء العهد أو الحصر نحو أنت أمير، ولاتباع المسند إليه في التنكير نحو: رجل من

الكرام حاضر، وللتفخيم نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، وللتحقير نحو: ما زيد شيئًا، وأما تخصيصه بالوصف نحو هذا عالم بليغ أو بالإضافة نحو هذا طالب علم فلتكون الفائدة أتم.

س: لماذا يؤخر المسند؟

ج: لأن تأخيره هو الأصل؛ ولاقتضاء المقام تقديم المسند إليه كما تقدم.

س: لماذا يقدم؟

ج: إما للتخصيص بالمسند إليه نحو: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٨٩]، وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر عنه لا صفة له نحو: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾[التوبة: ١٠٨]، وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه نحو: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: ١٩٠]، وإما للتفاؤل كما تقول للمريض: في عافية أنت، وللمتعلم: في ثمرة أنت، وللممتحن: في نجاح أنت إن شاء الله في الجميع.

س: إلى كم ينقسم المسند من حيث الإفراد وعدمه؟

ج: إلى قسمين: **مفرد وجملة**، والمفرد **قسمان**: **فعل** كسافر إبراهيم، **واسم** كابراهيم مسافر، ويكون جملة في ثلاثة مواضع: **أحدها**: أن يكون سببيًّا، نحو خالد أبوه عالم أو علم أبوه أو أبوه علم، **ثانيها**: أن يقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه نحو: أنا سعيت في حاجتك؛ أي: الساعي فيها أنا لا غيري، **ثالثها**: أن يقصد تأكيد الحكم نحو: عثمان سافر لتكرر الإسناد فيه مرتين.

س: لِمَ يؤتى بالمسند ظرفًا؟

ج: يؤتى به ظرفًا؛ للاختصار نحو: خليل عندك؛ أي: استقر أو في بيته، انتقل ضمير استقر إلى الظرف فاستقر فيه وحذف المتعلق فلذلك سمي مستقرًّا، وإذا اقتصر في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند فالحكم مطلق، وإذا زيد عليهما شيء فهو مقيد، والإطلاق يكون حيث لا يتعلق الغرض لتقييد الحكم بوجه من الوجوه، والتقييد يكون حيث يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، وهو يكون بالتوابع الأربعة والمفاعيل الخمسة ونحوها وبالنواسخ وبالشرط وبالنفي وبالفصل.

س: لماذا يقيد بالتوابع الأربعة؟

ج: يقيد بالنعت للكشف عن أمره نحو الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلىٰ فراغ، وللتخصيص نحو: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ولتوضيحه إن كان مشتركًا نحو: قال إبراهيم العالم، وللمدح نحو: علي زين العابدين، وللذم نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقد يكون لمجرد التوكيد نحو أمس الدابر لا يعود، وبالبيان لإيضاحه باسمه المختص به نحو: قدم صاحبك عثمان، وأما توكيده فللتقرير نحو: جاء محمود محمود، أو دفع توهم المجاز نحو: قطع اللص الأمير الأمير، أو توهم عدم الشمول نحو جاء القوم كلهم، وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير نحو جاء أخوك إبراهيم في بدل الكل، وسقط البيت نصفه في بدل البعض، وراعني الفارس رمحه في بدل الاشتمال، ووجهك بدر شمس في بدل الغلط، وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع الاختصار نحو جاء خليل وإسماعيل، أو لتفصيل المسند كذلك نحو: جاء خليل ثم إسماعيل فإن في **الأول**: تفصيلًا للمسند إليه بكونه متعددًا، وفي **الثاني**: تفصيلًا للمسند بكونه واقعًا علىٰ الترتيب، أو لرد السامع إلىٰ الصواب نحو أتىٰ إبراهيم لا خليل، أو الشك أو التشكيك نحو: فهم منصور أو أخوه.

س: لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ونحوها؟

ج: يقيد بالمفاعيل الخمسة؛ لبيان نوع الفعل أو ما وقع عليه أو فيه أو؛ لأجله أو بمقارنته، ويقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها، وبالتمييز لبيان ما أبهم من ذات أو نسبة فتكون القيود هي محط الفائدة، والكلام بدونها كاذبًا أو غير مقصود بالذات نحو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]، وزينت المدينة إكرامًا للقادمين.

س: لماذا يقيد بالنواسخ؟

ج: التقييد بها يكون للأغراض التي تؤدىٰ بها الألفاظ النواسخ كالاستمرار؛ أو لحكاية الحال الماضية في كان والتوقيت بزمن معين في ظل وبات وأصبح وأمسىٰ وأضحىٰ، أو بحالة معينة في مادام والمقاربة في كاد وكرب وأوشك، والتأكيد في إن وأن، والتشبيه في كأن، والاستدراك في لكن، والرجاء في لعل، والتمني في ليت، واليقين في وجد وألفىٰ ودرىٰ وتعلم وهكذا.

س: لماذا يقيد بالشرط؟

ج: يقيد بالشرط؛ لإفادة المعاني المذكورة في النحو كالزمان في متىٰ وأيان والمكان في أين وأنىٰ وحيثما والحال في كيفما إلىٰ غير ذلك مما هو مذكور في النحو، وإنما يفرق هنا بين إن وإذا ولو لاختصاصها بمزايا تعد من وجوه البلاغة، فإن وإذا للشرط في المستقبل، ولو للشرط في الماضي، والأصل في اللفظ أن يتبع المعنىٰ فيكون فعلًا مضارعًا مع إن وإذا وماضيًا مع لو نحو: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾[محمد: ٣٦]، ونحو:

وإذا ترد علىٰ قليل تقنع

ونحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[النحل: ٩].

وقد يخرج الكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر كما سيذكر في إخراج الكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر ، والفرق بين إن وإذا، أن الأصل عدم الجزم بوقوع الشرط مع إن، والجزم بوقوعه مع إذا ولهذا غلب استعمال الماضي مع إذا فكأن الشرط واقع بالفعل نحو: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾[الأعراف: ١٣١]، فإن مجيء الحسنة منه تعالىٰ مقطوع به وإصابة السيئة نادرة، ولهذا عرف الأولىٰ بلام الجنس ونكر الثانية بالتنكير الدال علىٰ النوعية المراد بها الجدب، وقد تستعمل إن في مقام الجزم إما تجاهلًا كقول المعتذر: إن كنت فعلت هذا فعن خطأ، وإما لعدم قطع المخاطب بالوقوع كقولك للجاهل: إن ندمت فلم نفسك، وإما لتنزيل العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضىٰ علمه كقولك للمتكبر: إن كنت من تراب فلا تفتخر. ولما كانت إن وإذا لترتيب حصول علىٰ آخر في المستقبل كانت كل جملة لهما استقبالية إما في اللفظ والمعنىٰ نحو: إن تحضر عندي أكرمك، أو في المعنىٰ فقط نحو: إن حضرت عندي أكرمتك، وهذا لنكتة وهي إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لغرض من الأغراض كالتفاؤل نحو: إن عشت فعلت الخير بخلاف لو فإنها للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع فيلزم المضي في جملتيها نحو لو جئتني لأكرمتك؛ أي: انتفىٰ الإكرام لانتفاء المجيء، وقد تستعمل مع المضارع لقصد الاستمرار فيما مضىٰ نحو: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧]، ولتنزيله منزلة الماضي التحققه نحو:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ولو ترىٰ إذ فاز الصالحون.

س: لماذا يقيد بالنفي؟

ج: يقيد بالنفي لسلب النسبة علىٰ وجه مخصوص مما تفيده أحرف النفي، وهي سبعة:

ما، ولات، وإن، ولا، ولن، ولم، ولما وإن ولات لنفي الحال كليس، ولا ولن لنفي الاستقبال إلا أنه بلن آكد، ولم ولما لنفي المضي إلا أنه بلما ينسحب عن زمن التكلم ويختص بالمتوقع، وعلىٰ هذا فلا يقال لما يقم زيد ثم قام ولا لما يجتمع النقيضان كما يقال: لم يقم زيد ثم قام ولم يجتمعا، فلما في النفي تقابل قد في الإثبات وحينئذ يكون منفيها قريبًا من الحال، فلا يصح لما يحضر زيد في العام الماضي.

س: لماذا يقيد بالفصل؟

ج: يقيد به للتخصيص نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ولتأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، ولتمييز الخبر عن الصفة نحو: الكلام هو اللفظ المركب المفيد.

أحوال متعلقات الفعل

الفعل يلابس المفعول لبيان نوعه أو وقوعه عليه أوفيه أو لأجله، أو بمقارنته، فيذكر لإفادة ذلك ويحذف لأغراض.

س: ما هي الأغراض الداعية لحذفه؟

ج: حذفه إما توطئة للإيضاح بعد الإبهام نحو: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ [الكهف: ٢٩]؛ أي: فمن شاء الإيمان، وإما اعتمادًا علىٰ تقدم ذكره نحو ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]؛ أي: ما يشاء، وإما للاختصار نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ١٤]؛ أي: يغفر الذنوب، وإما للتعميم مع الاختصار نحو: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الرعد: ٣٦]؛ أي: ولا أشرك به أحدًا، وإما محافظة علىٰ فاصلة نحو: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٠]؛ أي: يخشىٰ الله، وإما لاستهجان ذكره نحو

«ما رأيت منه ولا رأىٰ مني» أي: العورة، وإما لتنزيل المتعدي منزلة اللازم، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وأما تأخيره فلأنه الأصل، وأما تقديمه فلإفادة التخصيص نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، ولرعاية الفاصلة نحو: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[الحاقة: ٣١].

س: هل يسوغ تقديم العامل على المعمول وتقديم بعض المعمولات على بعض؟

ج: الأصل في العامل أن يقدم علىٰ المعمول، وفي المعمول أن يقدم عمدته علىٰ فضلته فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل، أما بين الفعل والمفعول ونحوه كالظرف والجار والمجرور فيختلف الترتيب، إما لأمر معنوي نحو: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[يس: ٢٠]، فلو أخر المجرور توهم أنه من صلة الفاعل وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله، وإما لأمر لفظي نحو: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾[النجم: ٢٣]، فلو قدم الفاعل اختلفت الفواصل؛ لأنها مبنية علىٰ الألف، وإما للأهمية نحو قتل الخارجي فلان، وقد يتقدم بعض الفضلات علىٰ بعض إما لأصالة له في التقدم لفظًا نحو حسبت الهلال لائحًا، فإن الهلال وإن كان مفعولًا في الحال لكنه مبتدأ في الأصل أو معنىٰ نحو: أعطىٰ الأمير الوزير خلعة فإن الوزير وإن كان مفعولًا بالنسبة إلىٰ الأمير لكنه فاعل في المعنىٰ بالنسبة إلىٰ الخلعة؛ لأنه آخذ والخلعة مأخوذة، وإما لإخلال في تأخيره نحو مررت راكبًا بإبراهيم فلو أخرت الحال توهم أنها من المجرور وهو خلاف الواقع؛ لأنها من الفاعل.

القصر

س: ما هو القصر؟

ج: هو تخصيص شيء بشيء بطريق من الطرق نحو ما نجح إلا المتأدب فهو يفيد تخصيص النجاح به، ويتعلق به ثلاثة مباحث: **الأول**: في تقسيمه، **والثاني**: في طرقه، **والثالث**: في بيان وقوعه بين الفعل والفاعل وبين معمولات الفعل.

س: ما تقسيمه؟

ج: **ينقسم باعتبار حال المقصور إلىٰ قسمين**: قصر صفة علىٰ موصوف وقصر موصوف علىٰ

صفة، **فالأول**: تخصيص الصفة بموصوف معين بحيث لا تتجاوزه إلىٰ موصوف آخر وإن تجاوزها هو نحو لا عالم إلا بكر ولا غني إلا خالد. **والثاني**: تخصيص الموصوف بصفة معينة بحيث لا يتجاوزها إلىٰ صفة أخرىٰ وإن تجاوزته هي نحو: ما بكر إلا عالم وما خالد إلا غني، **وينقسم باعتبار غرض المتكلم إلىٰ قسمين أيضًا**: حقيقي وإضافي، **فالأول**: ما كان الاختصاص فيه بالنسبة لما عدا المقصور عليه بحسب الواقع نحو: لا عالم إلا بكر إذا لم يوجد في البلد غيره من العلماء، وإنما الله كامل إذا لاصفة لله في الواقع غير الكمال وهذا المثال وإن جاز فيه قصر الموصوف علىٰ الصفة من هذا النوع لكنه لا يجوز في غيره إذ يستحيل أن يكون للشخص صفة واحدة، **والثاني**: ما كان الاختصاص فيه بالنسبة لشيء آخر معين نحو: ما شاعر إلا بكر إذا كان المراد نفي الشعر عن رجل معين مثل خالد، وما إبراهيم إلا خليل؛ أي: لا يتجاوز الخلة إلىٰ التبري من الموت فلا ينافي أنه متصف بالصحة والإنسانية واللنون وغيره ذلك. **والحقيقي قسمان**: حقيقي حقيقة، وحقيقي ادعاء، **فالأول**: ما تقدم، **والثاني**: هو تخصيص شيء بشيء علىٰ تقدير أن ما عدا المقصور عليه ليس موجودًا، ومثال قصر الصفة علىٰ الموصوف منه: لا عالم إلا خالد، ومثال قصر الموصوف علىٰ الصفة منه ما خالد إلا عالم، وفائدته قصد المبالغة والفرق بينهما أن الحقيقي حقيقة التخصيص فيه علىٰ وجه الحقيقة، وأما الادعائي فالتخصيص فيه علىٰ وجه التقدير، **وينقسم باعتبار حال المخاطب إلىٰ ثلاثة أقسام**: قلب، وإفراد، وتعيين، وذلك لأن المخاطب إن كان منكرًا للحكم فقلبت عليه اعتقاده فيسمىٰ قصر قلب، وإن كان معتقدًا للشركة فإفراد، وإن كان مترددًا فتعيين، فمثال قصر الموصوف علىٰ الصفة منه قلبًا: ما زيد إلا عالم تقول ذلك لمن اعتقد اتصافه بغير العلم كالزراعة مثلًا ومثال قصر الصفة علىٰ الموصوف منه: لا عالم إلا زيد لمن أعتقد أن العالم خالد مثلًا، ومثال قصر الموصوف علىٰ الصفة منه إفرادًا: ما زيد إلا عالم لمن اعتقد اتصافه بالعلم والزراعة مثلًا، ومثال قصر الصفة علىٰ الموصوف منه لا عالم إلا زيد لمن اعتقد اشتراك خالد معه في هذه الصفة، ومثال قصر الموصوف علىٰ الصفة منه تعيينًا: ما زيد إلا عالم لمن تردد في وصفه بالعلم وغيره، ومثال قصر الصفة علىٰ الموصوف منه: لا عالم إلا زيد لم تردد بينه وبين خالد.

س: ما طرقه؟

ج: طرقه ستة: النفي والاستثناء نحو: ما زيد إلا عالم، وإنما نحو: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[النساء: ١٧١] ، والعطف بلا أو ببل أو لكن نحو: أنا كاتب لا حاسب، وما أنا كاتب بل حاسب، أو لكن حاسب، وتقديم ما حقه التأخير نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥] ، وتوسط ضمير الفصل نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[التوبة: ١٠٤] ، وتعريف المسند بأل نحو: زيد الشجاع، وخير الزاد التقوىٰ، والقصر في الثلاثة الأخيرة لا يفيده الوضع بل يفهم من سياق الكلام، والإيجاب والسلب يفهمان منهما في آن واحد كأنما، ويفهم أحدهما قبل الآخر من العطف ومن النفي والاستثناء.

س: ما بيان وقوعه بين الفعل والفاعل وبين باقي المعمولات؟

ج: أما بيان وقوعه بين الفعل والفاعل فنحو: ما اجتهد إلا إبراهيم، وأما بين المعمولات فنحو: ما تعلم إسماعيل إلا المعاني، لا تشرب الماء إلا من مجاريه ما عدا المفعول معه، والمراد بقصر الفاعل أو المفعول أو نحوهما قصر الفعل المسند للفاعل أو الواقع علىٰ المفعول وهكذا فيئول إلىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف، ويؤخر المقصور عليه وجوبًا مع إنما، وغالبًا مع إلا، ومن غير الغالب قول الشاعر:

فيا رب هل إلا بك النصر يرتجىٰ ... عليهم وهل إلا عليك المعول

الإنشاء

س: ما هو الإنشاء؟

ج: هو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهو قسمان: طلبي، وغيره، فغير الطلبي كصيغ المدح والذم والعقود والقسم والتعجب والرجاء والترقب والتكثير والتقليل.

أما المدح والذم: فيكونان بنعم وبئس وما جرىٰ مجراهما نحو حبذا ولا حبذا، والأفعال المحولة إلىٰ فعل نحو طاب زيد نفسًا وخبث بكر أصلًا، **وأما العقود:** فتكون بالماضي كثيرًا نحو: بعت واشتريت وبغيره قليلًا نحو أنا بائع وهو حر لوجه الله تعالىٰ.

وأما القسم: فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو لعمرك ما فعلت كذا **وأما التعجب**: فيكون بصيغتي ما أفعله وأفعل به وبغيرهما نحو لله دره عالمًا، و﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وبتحويل الأفعال الثلاثة إلىٰ فعل نحو كتب زيد وفهم عمرو؛ أي: ما أكتبه وما أفهمه، **وأما الرجاء**: فيكون بعسىٰ وحرىٰ واخلولق نحو: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢]، **وأما الترقب**: فيكون بلعل نحو: لعلي أبرأ من سقمي ولعل العدو هالك ويسمىٰ الترقب في نحو المثال الأول طمعًا وفي نحو المثال الثاني إشفاقًا وقد تخرج لعل إلىٰ التمني نحو:

لعلي إلىٰ من قد هويت أطير[٢]

وأما التكثير: فيكون بكم الخبرية نحو: كم رجل عندي.

وأما التقليل: فيكون برب نحو: رب أمنية جلبت منية، وقد تستعمل للتكثير نحو: رب ساع لقاعد.

وأما الطلبي: فيكون بخمسة أشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

أما الأمر: فهو طلب الفعل علىٰ وجه الاستعلاء، وصيغه أربع: أفعل ولتفعل وفعلا وفعال ونحوه نحو: اعلم وليسافر أخوك وندلًا للمال ونزال ودراك بمعنىٰ: انزل وادرك وعليك حراسة، وقد تخرج صغية عن أصل معناها إلىٰ معان أخر تفهم من السياق كالدعاء نحو: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]، والالتماس كقولك: ناولني الكتاب والدوام نحو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، والتمني نحو:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي[٣]

والإرشاد نحو: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]، **والتهديد نحو**:

---

(٢) البيت لأبي العباس أحمد بن يحيىٰ و صدره:

أسرب القطا هل من يعير جناحه ....

(٣) البيت لامرئ القيس، وعجزه:

..... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[فصلت: ٤٠]، **والتعجيز** نحو: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾[الإسراء: ٥٠]، **والإباحة** نحو: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[البقرة: ١٨٧]، **والتخيير** نحو: خذ ما أردت من هذه الجياد.

وأما النهي: فهو طلب الإنكفاف عن الفعل علىٰ وجه الاستعلاء وصيغته: لا تفعل، نحو: لا تكس عن العلوم، وقد تخرج عن أصل معناها إلىٰ معان أخر تفهم بالقرائن **كالدعاء** نحو: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾[الأعراف: ١٥٠]، **والإلتماس** نحو قولك لمن يساويك: لا تبرح من هنا، **والدوام** نحو: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[إبراهيم: ٤٢]، **والتمني** نحو:

لا تزر يا صباح فالحب زارا

والإرشاد نحو: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[المائدة: ١٠١]، **والتهديد** نحو قولك لخادمك: لا تطع أمري، **والتيئيس** نحو: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾[التحريم: ٧].

وأما الاستفهام: فهو طلب العلم بشيء بأداة من أدواته المخصوصة، وأدواته **إحدىٰ عشرة**: الهمزة، وهل، ومن(٤)، وما، ومتىٰ، وأيان، وأين، وأنّىٰ، وكيف، وكم، وأي، وكلها يطلب بها التصور إلا هل فيطلب بها التصديق وإلا الهمزة فتصلح للأمرين، فالهمزة للاستفهام نحو: أطلع النهار؟ وهل كذلك وهي مركبة إن طلب بها العلم بوجود شيء لشيء: نحو هل طلع النهار؟ وبسيطة إن طلب بها العلم بوجود شيء في نفسه نحو: هل العنقاء موجودة؟. وبين الهمزة وهل فرق من وجهين: **الأول**: جواز ذكر المعادل في التصور وامتناعه في التصديق فتقول: أراكبًا جئت أم ماشيًا؟، ولا تقول: هل طلع النهار أم لم يطلع؟ لإمكان الجواب بالسلب أو بالإيجاب. **والثاني**: أن همزة التصور يليها المسئول عنه مسندًا كان أو مسندًا إليه، وهمزة التصديق وهل لا يشترط فيها ذلك؛ لأن السؤال بهما عن النسبة، ولا تدخل هل علىٰ النفي فلا يقال: هل لم يفهم؟ ولا علىٰ المضارع الحالي فلا يقال: هل تحتقر زيدًا وهو شجاع؟ ولا علىٰ «أن» فلا يقال: هل أنك يوسف؟ ولا علىٰ الشرط فلا يقال: هل إن قمتم؟ ولا علىٰ اسم بعده فعل فلا يقال: هل بشرًا منا واحدًا نتبعه؟

---

(٤) لم يضع المؤلّف مثالًا لـ «من»،ومثالها كقولك «من فتح مصر؟».

ولا على حرف عطف فلا يقال: هل فيهلك؟ بخلاف الهمزة في الجميع، وما: تكون لشرح الاسم نحو ما العسجد؟، وللحقيقة نحو ما الإنسان؟، ومتىٰ: للزمان مطلقًا نحو متىٰ حضرت؟، وأيان: للزمان المستقبل نحو: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]؟ وأين: للمكان نحو: أين تذهب؟. وأنىٰ: تكون بمعنىٰ كيف نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]؟، وبمعنىٰ أين نحو: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]؟، وبمعنىٰ متىٰ نحو: فأتوا بيوتكم أنىٰ شئتم، وكيف: للحال نحو: كيف زيد؟. وكم: للعدد نحو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]؟، وأي: بحسب ما تضاف إليه، وقد تخرج صيغ الاستفهام عن أصل معناها إلىٰ معان أخر تفهم بالقرائن كالنفي نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] والأمر نحو: ﴿فَهَلْ أَنتُم شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] والنهي نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣] والإنكار نحو: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠] والتقرير نحو: أأخذت دينار زيد، والتهويل نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١-٣] والاستئناس نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] والاستبطاء نحو: كم أدعوك فلم تجبني، و ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] والاستبعاد نحو: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤] والتحقير نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأما التمني: فهو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجىٰ حصوله لكونه مستحيلًا أو شبيهًا بالمستحيل، وله أربع أدوات: ليت، وهل، ولو، ولعل نحو:

ألا ليت الشباب يعود يومًا (٥)

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]

لعلي إلى من قد هويت أطير (٦)

---

(٥) البيت لأبي العتاهية وعجزه.

..... فأخبره بما فعل المشيب

(٦) انظر أول باب الإنشاء.

ولم يوضع للتمني من هذه الأدوات إلا الأولىٰ، وأما الثلاثة بعدها فلا يتمنىٰ بها إلا إذا كان المطلوب مجزومًا بانتفائه حتىٰ لا تحمل علىٰ معانيها الأصلية، ونكتة التمني بها: إبراز المطلوب في صورة الممكن الوقوع عناية به وتشوقًا إليه.

وأما النداء: فهو طلب الإقبال بحرف ينوب مناب دعوت، وله ثماني أدوات: يا والهمزة وأي وآ وآي وأيا وهيا ووا، فيا: للقريب والبعيد ويختص نداء لفظ الجلالة بها، والهمزة وأي: للقريب وباقي الأدوات للبعيد، وقد ينزل القريب منزلة البعيد وبالعكس، فالأول: للإشارة لشدة الاستحضار نحو:

أسكان العقيق كفىٰ فراقًا

والثاني: للإشارة إلىٰ التعظيم تنزيلًا للبعد الرتبي منزلة البعد الحسي نحو: أيا مولاي للحاضر أو التحقير كأن المنادىٰ غير حاضر في المجلس لغفلة أو خسة نحو: أيا فلان، وقد تخرج صيغ النداء إلىٰ معان أخر تفهم من السياق كالتحسر نحو:

فيا قبر مَعْنٍ، كيف واريتَ جوده

ويكثر في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها والزجر نحو: أفؤادي متىٰ المتاب، والإغراء نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم، وللمتردد في الضرب يا شجاع، والاستغاثة نحو: يا لله للمؤمنين، والتعجب نحو: ياللماء، والندبة نحو: يا حسناه.

الفصل والوصل

س: ما هو الوصل والفصل؟

ج: الوصل: عطف بعض الجمل علىٰ بعض، والفصل تركه، والذي يتكلم عليه علماء المعاني إنما هو العطف بالواو لأن العطف بغيرها لا يقع فيه التباس، ولكل منهما مواضع.

س: ما هي مواضع الفصل؟

ج: خمسة مواضع: أحدها: إذا كان بين الجملتين كمال الاتصال، ثانيها: كمال الانقطاع، ثالثها: شبه كمال الاتصال، رابعها: شبه كمال الانقطاع، خامسها: التوسط بين الكمالين مع وجود مانع.

أما كمال الاتصال: فهو اتحاد الجملتين مقصودًا بأن تكون الثانية في منزلة التأكيد للأولىٰ أو البيان أو البدل **فالأول** نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٥]، فلا ريب فيه بمنزلة التأكيد المعنوي، وهدىٰ للمتقين بمنزلة التأكيد اللفظي. **والثاني**: نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [طه: ١٢٠]، **والثالث**: نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣]، **وأما كمال الانقطاع**: فهو اختلاف الجملتين خبرية وإنشائية أو أن لا يكون بينهما مناسبة في المعنىٰ أو السياق، وذلك في **ثلاثة مواضع**: الأول: نحو: مات زيد رحمه الله لاختلاف الجملتين،**والثاني**: كقولك: زيد كاتب، وعمرو طويل لعدم المناسبة بينهما، **والثالث** نحو: الأمير عادل في رعيته فأهل الوطن متقدمون، عندي ولد أريد تعليمه كذا.

وأما شبه كمال الاتصال: فهو كون الجملة الثانية واقعة في جواب سؤال ناشئ من الأولىٰ نحو:

قال لي: كيف أنت؟ قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

وأما شبه كمال الانقطاع: فهو كون الجملة مسبوقة بجملتين يصح العطف علىٰ إحداهما وفي العطف علىٰ الثانية فساد في المعنىٰ فيترك العطف لذلك نحو:

وتظن سلمىٰ أنني أبغي بها ... بدلًا أراها في الضلال تهيم

فلو عطف أراها لتوهم أنها معطوفة علىٰ أبغي وهو فاسد.

وأما التوسط بين الكمالين مع قيام المانع: فهو كون الثانية لا يقصد إعطاؤها حكم الأولىٰ نحو: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، لا يصح عطف الله يستهزئ بهم لئلا يتوهم أنها من مقولهم مع أنها دعاء عليهم.

س: ما مواضع الوصل؟

ج: للوصل **موضعان**: **الأول**: أن تختلف الجملتان في الخبرية والإنشائية ولكن في الفصل إيهام كما تقول مجيبًا لشخص بالنفي لا وأيدك الله، إذ تركه يوهم الدعاء عليه مع أن الغرض الدعاء له، **والثاني**: أن تتفق الجملتان في الخبرية أو الإنشائية مع وجود المناسبة بينهما نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣، ١٤]، ونحو: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[الأعراف: ٣١]،

والعبرة في الاتفاق والاختلاف بالمعنىٰ فيدخل في الخبريتين نحو: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، إذ المعنىٰ: وأشهدكم أني بريء ... إلخ، وفي الإنشائيتين نحو: اذهب إلىٰ فلان، وتقول له: كيت وكيت إذ المعنىٰ وقل له، والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية أيضًا والفعليتان في نوع الفعل والإسميتان في نوع المسند من حيث الإفراد والجملية والظرفية ولا تحسن المخالفة إلا لنكتة نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الحج: ٢٥]، ونحو: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾[الأنبياء: ٥٥]، ويجب وصل الجملة الحالية بما قبلها إذا خلت من ضمير صاحبتها نحو جاء زيد والشمس طالعة ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا كان فعلها ماضيًا ووقع قبل أو التي للتسوية أو بعد إلا نحو لأشكرن خالدًا أحسن أو أساء، وفلان لم يتكلم إلا قال خيرًا.

الثاني: إذا كان فعلها مضارعًا مثبتًا أو منفيًّا بما أو لا نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، ونحو: عهدتك ما تصبو أو نحو: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[النمل: ٢٠].

الثالث: إذا كانت إسمية واقعة بعد حرف عطف أو مؤكدة بمضمون ما قبلها نحو: فجاءهم بأسنا بياتًا أو وهم قائلون(٧)، ونحو: هو الحق لا شك فيه.

ولا بد مع ذلك من جهة أخرىٰ يتناسبان بها كالاتحاد في المسندين أو في المسند إليهما أو في قيد المسندين أو في قيد المسند إليهما وكالتماثل بين هذين أو هذين وكالتضايف كذلك.

س: ما هو الاتحاد والتماثل والتضايف المسمى كل منها بالجامع؟

ج: الاتحاد أن يكون جزء الجملة عين نظيره في الأخرىٰ كزيد وزيد أو ضميره، والتماثل أن يكونا فردىٰ حقيقة واحدة وبينهما جهة اختصاص كزيد وبكر إذا كانا صديقين، والتضايف أن لا تتعقل إحداهما إلا بالنسبة للأخرىٰ كالإبوة والبنوة فمثال الجملتين المشتملتين علىٰ الجامع الكافي في الوصل قولك: صلىٰ إبراهيم وصلىٰ خليل لما بين المسندين من الاتحاد وبين المسند إليهما من التماثل وقولك:

---

(٧) لعل المؤلف يقصد قوله تعالىٰ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

صام وصلىٰ أبوك لما بين المسندين من التقارن الخيالي وبين المسند إليهما من الاتحاد وقولك: إبراهيم الكاتب شاعر، وسعيد الكاتب أديب لما بين المسند إليهما من التماثل وبين قيديهما من الاتحاد وبين المسندين من التقارن الخيالي وقولك: إسماعيل شاعر ماهر وإسحاق كاتب ماهر لما بين المسند إليهما من التماثل وبين المسندين من التقارن الخيالي وبين قيديهما من الاتحاد وقولك: يعقوب أبو يوسف ويوسف ابنه لما بينهما من التضايف وقولك: إسحاق بن إبراهيم ذبيح وإبراهيم أبو إسحاق خليل وقولك: سعد بن سعيد تاجر والحارث بن همام زارع لما بين المسندين من التقارن وبين ما قبلهما من التضايف وقولك: هذا المال القليل لك وهذا المال الكثير لي لما بين المالين من الاتحاد وبين قيديهما من التضايف وبين المسندين من التماثل وقولك: سواد هذا الثوب أشد من لون الغراب وبياض ذلك الثوب أشد من لون القطن لمابين المسند إليهما من التضاد وبين قيديهما وبين المسندين من الاتحاد وبين متعلقيهما من شبه التضاد وقولك: القدوم محدود والمنشار مفلول لما بين القدوم والمنشار من التقارن وبين محدود ومفلول من التضاد، وقولك: القلم مبري والمحبرة محبرة لما بينهما من التقارن.

الإيجاز والإطناب والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني يمكن أن يعبر عنه بثلاث طرق المساواة والإيجاز والإطناب.

س: ما هي المساواة؟

ج: هي تأدية المعنىٰ المراد بعبارة مساوية له بأن تكون علىٰ الحد الذي جرىٰ به عرف أوساط الناس في محاوراتهم، والأوساط هم الذين لم يرتقوا إلىٰ درجة البلاغة ولم ينحطوا إلىٰ درجة الفهاهة نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[الأنعام: ٦٨] ، ونحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣ - ١٤] .

س: ما هو الإيجاز؟

ج: هو تأدية المعنىٰ بأقل من متعارف الأوساط مع وفائها بالغرض نحو:

قفا نبك من ذكرىٰ حبيب ومنزل بسقط اللوىٰ بين الدخول فحومل

فإذا لم تف بالغرض سميت إخلالًا نحو قول الشاعر:

والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدًّا

مراده: أن العيش الرغد في حال الحمق خير من العيش الشاق في حال العقل.

س: كم أقسام الإيجاز؟

ج: الإيجاز قسمان: إما بحذف شيء من العبارة، وإما بتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة ويسمىٰ الأول: **إيجاز حذف واختصار** ويسمىٰ الثاني: **إيجاز قصر** وهو مطلب البلغاء والمحذوف في النوع الأول إما **حرف** نحو: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، وإما **كلمة** نحو ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلها، ونحو: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١]؛ أي: دروعًا سابغات، وإما **أكثر** من **كلمة** نحو: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾[طه: ٩٦]؛ أي: من أثر حافر فرس الرسول وإما **حذف جملة** نحو: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[الشعراء: ٦٣]؛ أي: فضرب فانفلق، **وإما بحذف جمل** نحو: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[يوسف: ٤٥-٤٦]؛ أي: أرسلون إلىٰ يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه فأتاه وقال له يوسف، ولا بد من دليل يدل علىٰ المحذوف، وهو إما العقل وحده نحو ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر: ٢٢]، وإما العقل مع غيره كظهور المقصود نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي: تناولها، وإما العادة نحو: فذلكن الذي لمتنني فيه؛ أي: في مراودته وإما الشروع فيه نحو باسم الله؛ أي: اكتب مثلًا وإما مقارنة الكلام لفعل كما تقول لمن تزوج: بالرفاء والبنين؛ أي: أعرست ملتبسًا بالإنفاق والبنين، والحذف لا يعد إيجازًا إلا إذا جرىٰ عرف الاستعمال بذكر المحذوف كما رأيت في الأمثلة أما إذا جرىٰ العرف بالاستغناء عنه فلا يعد إيجازًا كمتعلق الظرف في نحو: زيد عندك زيد والمستثنىٰ منه في نحو: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، بل يعد ذكره حشوًا وإنما قدر لمراعاة الأصول اللفظية.

وإما إيجاز القصر فيكون بأمرين إما تأليف العبارة من الكلمات التي تغني كل كلمة منها عن عدة من غيرها كالقصاص والاستشراف والأزيز ويعرف ذلك بتصفح كتب اللغة، وإما كون العبارة جامعة لأصول المعاني ويعرف ذلك بممارسة جوامع الكلم وامتلاء القلب من الحكم نحو: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، إذ معناها أن مشروعية الحكم بأن القاتل متعمِّدًا يقتل

تستوجب ارتداع الأقوياء عن الضعفاء وأمن الضعفاء من الأقوياء فيعم الأمن ويقبل كل علىٰ عمله وتطول الأعمار وتكثر الذرية وتنمو الأموال وبذلك تكون حياة الناس حياة طيبة وعيشتهم راضية.

س: ما هو الإطناب؟

ج: هو تأدية المعنىٰ بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط لفائدة نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم: ٤]؛ أي: كبرت، فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمىٰ تطويلًا إن كانت الزيادة غير معلومة، وحشوًا إن كانت الزيادة معلومة فالتطويل نحو:

وألفىٰ قولها كذبًا ومينًا

والحشو نحو:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله

إذ لا داعي للتوكيد، ومن دواعيه تثبيت المعنىٰ وتوضيح المراد والتوكيد ورفع الإيهام وإثارة الحمية كما أن دواعي الإيجاز تسهيل الحفظ وتقريب الفهم وضيق المقام وسآمة المحادثة.

س: ما أقسام الإطناب؟

ج: أقسامه كثيرة؛ منها: ذكر الخاص بعد العام، والعام بعد الخاص، والإيضاح بعد الإبهام، والتكرير والاعتراض، والإيغال والتوشيع، والتذييل والتكميل، والتتميم والاحتراس.

س: ما هو الذكر الخاص بعد العام؟

ج: هو نحو: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٨]، وفائدته: التنبيه علىٰ فضل الخاص حتىٰ كأنه لفضله جزء آخر مغاير لما قبله.

س: ما هو ذكر العام بعد الخاص؟

ج: هو نحو: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[نوح: ٢٨]، ونحو: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة: ١٣٦]، وفائدته: الاهتمام بالخاص بذكره في عنوان عام بعد العنوان الخاص.

س: ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟

ج: هو نحو: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾[الحجر: ٦٦]، ونحو أجزاء الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وفائدته: تفخيم شأن المبين وتمكينه في النفس.

س: ما هو التكرير؟

ج: هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر نحو: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر: ٣، ٤]، وله فوائد منها: التأكيد في الإنذار كما رأيت، وقصد الاستيعاب نحو قرأت الكتاب بابًا بابًا وفهمته كلمة كلمة، واستمالة المخاطب لقبول الخطاب نحو: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾[غافر: ٣٨- ٣٩]، والتنويه بشأن المذكور نحو: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم، ومنه الترديد وهو تكرار اللفظ متعلقًا بغير ما تعلق به أولًا نحو السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

س: ما هو الاعتراض؟

ج: هو أن يؤتىٰ في أثناء الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة كالدعاء نحو:

إن الثمانـــــين- وبلغتهـــــا- قـــد احوجـــت ســـمعي إلىٰ ترجمـــان

والتنبيه علىٰ فضيلة العلم نحو:

واعلـــم- فعلـــم المـــرء ينفعـــه- أن ســـوف يـــأتي كـــل مـــا قـــدرا

والتنزيه نحو: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[النحل: ٥٧]، والاستعطاف نحو:

وخفـــوق قلـــب لـــو رأيـــت لهيبـــه يـــا جنتـــي لرأيـــت فيـــه جهـــنمًا

وزيادة التأكيد نحو: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤]، وقد يقع الاعتراض في الاعتراض نحو: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[الواقعة: ٧٥-٧٧].

س: ما هو الإيغال؟

ج: هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنىٰ بدونها كالمبالغة في قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقولها: كأنه علم واف بالمقصود لكنها أعقبته بقولها في رأسه نار لزيادة المبالغة.

س: ما هو التوشيع؟

ج: هو ختم الكلام بمثنىٰ وتفسيره بمفردين نحو: «يشيب ابن آدم ويشيب معه خلصتان: الحرص وطول الأمل» ونحو العلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان.

س: ما هو التذييل؟

ج: هو تعقيب الجملة بأخرىٰ تأكيدًا لها نحو: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ونحو: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، وهو علىٰ قسمين جار مجرىٰ الأمثال كما في الآية الأولىٰ لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله، وغير جار كما في الثانية لعدم استغنائه عما قبله.

س: ما هو التتميم؟

ج: هو زيادة كلمة أو أكثر تزيد الكلام حسنًا والمعنىٰ تمامًا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلًا كقول الشاعر يصف خيلًا:

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيد سراع وأرجل

س: ما هو التكميل؟

ج: هو أن يؤتىٰ بفضلة تزيد المعنىٰ التام حسنًا نحو: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]؛ أي: مع حب الطعام، وذلك أبلغ في الكرم.

س: ما هو الاحتراس؟

ج: هو أن يؤتىٰ بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه نحو:

فسقىٰ ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمىٰ

ونحو:

حليم إذا ما الحلم زين لأهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

وأما غير الأنواع المذكورة فيكون كذكر الحروف الزائدة وتكثير الجمل نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ونحو: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، بدل إن في وقوع كل ممكن تساوىٰ طرفاه لآيات للعقلاء، والسر في ذلك أنه خطاب للعموم، وفيهم الغبي والذكي.

خاتمة في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

القواعد المذكورة في الأبواب السابقة إنما هي باعتبار ظواهر الأحوال ومتعارف الاستعمال وإيراد الكلام علىٰ مقتضاها يسمىٰ إيراد الكلام علىٰ مقتضىٰ الظاهر، وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضىٰ الظاهر ويسمىٰ إيراد الكلام علىٰ خلافه إخراجًا للكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، وهو منحصر في اثني عشر نوعًا:

١- تنزيل العالم منزلة الجاهل.

٢- تنزيل خالي الذهن أو الشاك أو المنكر منزلة غيره.

٣- وضع الماضي موضع المضارع والعكس.

٤- وضع الخبر موضع الإنشاء والعكس.

٥- الإضمار في مقام الإظهار والعكس.

٦- الالتفات.

٧- وضع المفرد أو المثنىٰ أو الجمع موضع غيره.

٨- تجاهل العارف.

٩- المشاكلة.

١٠- التغليب.

١١- القلب.

١٢- أسلوب الحكيم.

س: ماهو تنزيل العالم منزلة الجاهل؟

ج: هو أن يجعل العالم بالشيء كالجاهل به لعدم عمله بمقتضىٰ علمه كما يقال لمن يؤذي أباه: هذا أبوك إشارة إلىٰ توبيخه حتىٰ كأنه لا يعرف أباه.

س: ما هو تنزيل خالي الذهن أو الشاك أو المنكر منزلة غيره؟

هو أن يجعل الخالي أو الشاك كالمنكر فيؤكد لهما الكلام إذا لاح عليهما شيء من أمارت الإنكار كقول الشاعر:

جـــاء شـــقيق عارضًـــا رمحـــه إن بنـــي عمـــك فـــيهم رمـــاح

وكقولك للسائل المستبعد حصول الفرج: إن الفرج قريب ويجعل المنكر أو الشاك كالخالي إذا كان معهما من الشواهد ما يزيل تأمله الإنكار نحو: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٢٢]، وقولك للمتردد في عدل الأمير: الأمير عادل، ويجعل الخالي والمنكر كالشاك إذا قدم للأول ما يلوح بالخبر وكان إنكار الثاني ضعيفًا نحو: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، أكد لنوح الخبر لتقدم ما يلوح له به وهو الأمر بصنع السفينة، والثاني نحو قولك لمنكر عدل الأمير: إن الأمير عادل، والتوكيد فيهما مستحسن لا واجب.

س: ما هو وضع الماضي موضع المضارع وعكسه؟

ج: هو التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه لأغراض، فمن **أغراض الأول: التنبيه علىٰ تحقق الحصول** نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، **وقرب الوقوع نحو:** طلع الفجر إذا أوشك أن يطلع **والتفاؤل** نحو: إن شفاك الله تذهب معي **والتعريض** نحو: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥]، فيه تعريض للمشركين بأنه قد حبطت أعمالهم لإشراكهم، **ومن أغراض الثاني: حكاية الحال الماضية** باستحضار الصورة الغريبة في الخيال نحو: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩]؛ أي: فأثارت، **وإفادة الاستمرار** فيما مضىٰ نحو: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧]؛ أي:

انتفىٰ عنتكم بسبب انتفاء استمرار عمله علىٰ رأيكم.

س: ما هو وضع الخبر موضع الإنشاء والعكس؟

ج: هو التعبير بالجملة الخبرية عوضًا عن الجملة الإنشائية وعكسه لغرض من الأغراض، فمن أغراض الأول الاحتراز عن صورة الأمر تأدبًا نحو: ينظر مولاي في أمري ويقضي حاجتي، والتنبيه علىٰ تيسر المطلوب لقوة الأسباب كقول الأمير لجنده: تأخذون بنواصيهم وتنزلونهم من صياصيهم، والمبالغة في الطلب نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾[البقرة: ٨٤]، لم يقل: لا تسفكوا قصدًا للمبالغة حتىٰ كأنهم نهوا فامتثلوا فأخبر عنهم، والتفاؤل نحو: هداك الله لصالح الأعمال كأن الهداية حصلت بالفعل وحث المخاطب بوجه لطيف كقولك لمن يعز عليه تكذيبك: تزورني غدًا كأنك قد أخبرت عن زيارته فإن لم يزرك صرت كاذبًا بحسب الظاهر، ومن أغراض الثاني: إظهار العناية بالشيء نحو: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٢٩]، لم يقل وإقامة وجوهكم عناية بأمر الصلاة، والتحاشي عن مساواة اللاحق السابق نحو: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[هود: ٥٤]، لم يقل: وأشهدكم تحاشيًا عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالىٰ.

س: ما هو الإضمار في مقام الإظهار والعكس؟

ج: هو التعبير عن شيء بالضمير من غير سبق ذكره **والثاني**: التعبير عن الضمير بالظاهر لأغراض فمن **أغراض الأول**: ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن نحو:

أبت الوصال مخافة الرقباء وأتتك تحت مدارع الظلماء

الفاعل ضمير لم يتقدم له ذكر، ونحو أقبل وعليه وقار، وتمكين ما بعد الضمير في نفس السامع كقولك: نعم رجلًا زيد فالفاعل ضمير يفسره التمييز ويطرد ذلك في باب نعم وبئس وفي باب ضمير الشأن نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الحج: ٤٦]، ومن **دواعي الثاني**: إدخال الروع في قلب السامع نحو:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضىٰ وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

وتمكين المعنىٰ في نفس المخاطب نحو: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء: ١٠٥]، والتعليل

نحو: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ٥٩]، والتلذذ نحو:

سقىٰ الله نجدًا والسلام علىٰ نجد ويا حبذا نجد علىٰ القرب والبعد

ولبيان داعي الامتثال كقولك لعبدك: سيدك يأمرك بكذا، وإن كان الظاهر اسم إشارة فلغرض من الأغراض المذكور في التعريف باسم الإشارة.

س: ما هو الالتفات؟

ج: هو نقل العبارة من التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة إلىٰ حالة أخرىٰ، والغرض تنشيط السامع بتلوين الخطاب حتىٰ لا يمل من إلزام حالة واحدة ولا بد مع ذلك من حالة أخرىٰ يستحسنها الذوق فمثاله من التكلم إلىٰ الغيبة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾[الكوثر: ١- ٢]؛ أي: لنا، ففيه ذكر الجهة التي تستدعي الشكر وتوجب الامتثال، ومثاله من الغيبة إلىٰ الخطاب: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٤، ٥]، فيه الوصول بذكر الصفات الكمالية إلىٰ الاستحضار التام وانبعاث النفس إلىٰ تخصيص الموصوف بالعبادة والاستعانة.

ومثاله من التكلم إلىٰ الخطاب: كيف لا أجتهد وأنتم تفوزون، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[يس: ٢٢]، بدل أفوز وأرجع، ومثاله من الخطاب إلىٰ التكلم: يا نفس اجتهدت فهنيئًا لي بدل لك، وإلىٰ الغيبة: شرحت لكم الدرس فلم يفهموا بدل تفهموا، ومثاله من الغيبة إلىٰ التكلم: النجيب يجتهد فأفوز بدل فيفوز، وإلىٰ الخطاب: التلامذة يجتهدون فتفوزون بدل فيفوزون.

س: ما هو وضع المفرد أو المثنى أو الجمع موضع غيره؟

ج: هو التعبير عن المثنىٰ بالمفرد نحو: أنا وأخي أدعو بدل ندعو، وعن الجمع بالمفرد نحو: أنا وقومي أدعو بدل ندعو وذلك للتواضع، وبالمثنىٰ عن المفرد نحو:

فقا نبك من ذكرىٰ حبيب ومنزل

بدل قف، وبالمثنىٰ عن الجمع نحو: لبيك وسعديك؛ أي: مرات من التلبية والإسعاد والتعبير عن المفرد بالجمع للتعظيم كما تقول لأمير: أمرتم بكذا وقلتم كذا؛ أي: أمرت وقلت.

س: ما هو تجاهل العارف؟

ج: هو أن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلة به؛ لغرض من الأغراض كالمبالغة في المدح أو الذم، فالأول نحو: وجهك بدر أم شمس، والثاني نحو:

أقوم آل حصن أم نساء

وقد يكون لشدة الجزع نحو:

أيا شجر الخابور مالك مورقًا ... كأن لم تجزع على ابن طريف

تجاهلت عن انتفاء الجزع من الشجرة لشدة التحير والتضجر، وقد يكون لشدة الوله نحو:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وقد يكون للفخر نحو:

أينا تعرف المواقف منه ... وثبات على العدا وثباتا

س: ما هي المشاكلة؟

ج: هي ذكر الشي بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا، فالأول: نحو:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصًا

أي: أعدوا لي، والثاني: كقول بعضهم لأمير يغرس نخلًا:

فاغرس من الصنع الجميل غرائسًا ... فإذا عزلت فإنها لا تعزل

كأنه قال: أنت تغرس نخلًا فاغرس صنعًا جميلًا.

س: ما هو التغليب؟

ج: هو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه ويغلب العاقل على غيره نحو: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ؛ أي: العقلاء وغيرهم، والذكر على الأنثى نحو: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] ، ومنه الأبوان والولدان، والأخف على غيره نحو: الحسنين في الحسن والحسين، والعمرين في أبي بكر وعمر، والأكثر على الأقل نحو: التلامذة مجتهدون والأعرف من الضمائر على غيره نحو: أنا وأنت فعلنا كذا وأنت وزيد فعلتما كذا.

س: ما هو القلب؟

ج: هو جعل جزء من الكلام مكان غيره وغيره مكانه نحو: أدخلت الخاتم في أصبعي، وعرضت الناقة على الحوض، **والنكتة فيه**: أن الظاهر الإتيان بالمعروض على المعروض إليه وتحريك المظروف نحو الظرف، ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار.

س: ما هو أسلوب الحكيم؟

ج: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، والسائل بغير ما يتطلبه تنبيهًا على أنه الأولى بالإرادة **فالأول** يكون بحمل كلامه على خلاف مراده كما فعل القبعثري بالحجاج إذ قال له الحجاج متوعدًا: لأحملنك على الأدهم، يعني القيد، فقال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، يعني الفرس فقال الحجاج: أردت الحديد، فقال: إن كان حديدًا فخير من أن يكون بليدًا، ومراده تخطئة الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد، **والثاني**: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر أولى بحال السائل نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فنزل السؤال عن سبب تشكل القمر في أشكاله منزلة السؤال عن الحكمة المترتبة عليها لأنها أهم للسائل، ونحو قول أستاذ لتلامذته، وقد سألوه عن الامتحان: اجتهدوا.

تنبيه

الأصول والمقتضيات المذكورة في هذا الفن ليست مسوقة على سبيل الحصر إنما هي أنموذج ينبه الطالب على اعتبار ما يحسن في الذوق اعتباره ويعينه على استخراج ما في الكلام من وجوه البلاغة، **والقاعدة**: أنه متى وجد الكلام الصادر عمن يعتد بكلامه مستعملًا في غير معناه الأصلي المعروف له وضعًا، طلِبَ المراد بالتأمل الصادق مستعينًا بالقرائن وسياق المقال حتى ينجلي له وجه العدول ويتعين له المعنى المقصود والله يوفق ما يشاء.

الفن الثاني: علم البيان

س: ما هو البيان لغة واصطلاحًا؟

ج: **هو لغة:** المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، **واصطلاحًا:** أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنىٰ الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، فالمعنىٰ الواحد ككرم زيد يدل عليه تارة بطريق التشبيه بأن يقال: زيد بحر وتارة بطريق المجاز بأن يقال: رأيت بحرًا علىٰ فرس وتارة بطريق الكناية بأن يقال: زيد كثير الرماد، أو مهزول الفصيل، أو فاض إنعام زيد علىٰ الأنام.

وينبغي أن يعلم أولًا أن اللفظ إن عُيِّنَ بإزاء معنىٰ ليدل عليه سمي موضوعًا، والمعنىٰ موضوعًا له والتعيين وضعًا ثم إنه إما أن يتصرف فيه بعد ذلك عند الاستعمال أولًا فالذي لا يتصرف فيه عنده يسمىٰ حقيقة فإن كان التخاطب بين أهل اللغة فحقيقة لغوية كالأسد للحيوان المفترس، أو بين أهل العرف الخاص فإن كانوا شرعيين فشرعية كالصلاة للكيفية المخصوصة، وإلا فعرفية خاصة واصطلاحية كالرفع للحركة المخصوصة، المجلوبة بالعامل في نحو قولك: جاء زيدٌ، وإن كان بإسناد الفعل أو ما في معناه إلىٰ ما هو له فحقيقة عقلية نحو جاء السابق فرسه، والذي يتصرف فيه إن كان التصرف بإسناده إلىٰ غير ما هو له سمي مجازًا عقليًّا وإسنادًا مجازيًّا نحو: هزم الأمير الجند، وبنىٰ السلطان المدينة، وإن كان بنقله من معنىٰ لمعنىٰ لعلاقة وقرينة فإن منعت قرينته إرادة المعنىٰ الموضوع له اللفظ فمجاز لغوي استعارة إن كانت العلاقة المشابهة، ومرسل إن كانت غيرها، وإن لم تمنع فإن كان بنحو الكاف فتشبيه وإلا فكناية فانحصر مقصود البيان في **ثلاثة مقاصد:** التشبيه، والمجاز، والكناية.

س: ما أنواع الحقيقة؟

ج: أنواعها خمسة: عقلية، ولغوية، وشرعية واصطلاحية، وعرفية عامة.

س: ما هي الحقيقة العقلية؟

ج: هي إسناد الشيء إلىٰ ما هو له نحو: أنبت الله الشجر، وبنىٰ البناء البيت وأصلح النجار الباب.

س: ما هي الحقيقة اللغوية؟

ج: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اللغة نحو: أسد للحيوان المفترس وحمار للحيوان الناهق، وقرد للحيوان المعلوم.

س: ما هي الحقيقة الشرعية؟

ج: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الشرع نحو: الصلاة للأقوال والأفعال المخصوصة، والزكاة لجزء من المال يصرف للفقراء والتيمم لنقل التراب إلى الوجه واليدين بالنية.

س: ما هي الحقيقة الاصطلاحية؟

ج: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في الاصطلاح وتسمى أيضًا: العرفية الخاصة نحو: الفاعل فإنه موضوع عند النحاة للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه، والمفعول فإنه موضوع عندهم للاسم المنصوب بالفعل أو شبهه، والحال فإنه موضوع عندهم للاسم المنصوب المفسر للهيئة.

س: ما هي الحقيقة العرفية العامة؟

ج: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في العرف العام نحو: دابة فإنها موضوعة في العرف العام لذوات الأربع، والعقبة فإنها موضوعة في العرف العام لعقبة أيلة، والنجم فإنه موضوع في العرف العام للثريا.

التشبيه

س: ما هو التشبيه؟

ج: هو إلحاق أمر بأمر في معنى بنحو الكاف كإلحاق زيد بالأسد في الجراءة في قولك: زيد كالأسد في الجراءة، ويتعلق به ثلاثة مباحث: في أركانه والغرض منه، وتقسيمه.

س: ما أركانه؟

ج: أركانه أربعة: مشبه، ومشبه به، ويقال لهما: الطرفان، ووجه شبه، وأداة، فطرفاه إما حسيان

نحو: نشر زيد كالند، وصوت عمرو كالرعد، وإما عقليان نحو: العلم كالحياة أو عكسه، وإما مختلفان نحو: العلم كالنور، أو النور كالعلم.

وأما وجهه فهو المعنىٰ الذي يشتركان فيه كالجراءة بين الشجاع والأسد، والانتفاع بين العلم والحياة. وأما أدواته **فأربع**: الكاف، وكأن، ومثل، وشبه.

س: ما هو الغرض منه؟

ج: الغرض منه واحد من الأمور: **أحدها**: بيان أن المشبه ممكن نحو:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

ادعىٰ فوقان الممدوح علىٰ غيره من الناس حتىٰ صار وحده جنسًا ولامتناع ذلك احتج علىٰ دعواه بحديث المسك ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهًا ضمنيًّا. **ثانيها**: بيان حاله كما في تشبيه ثوب بآخر في البياض. **ثالثها**: بيان مقدار حاله كما في تشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة. **رابعها**: تقرير حاله في نفسه السامع كتشبيه من سعيه في ضلال بمن يرقم علىٰ صفحات الماء، **خامسها**: تحسينه عند السامع كما في تشبيه الوجه الأسود بمقلة الظبي، **سادسها**: تشويهه كما في تشبيه الورد بالجزء الأحمر من القرد، وكما في قول الشاعر:

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

سابعها: استطرافه؛ أي: عده طريفًا حديثًا كما في تشبيه فحم فيه جمر متقد ببحر من المسك موجه الذهب فإنه في صورة الممتنع عادة. وفائدة التشبيه فيما مر عائدة علىٰ المشبه، وقد تعود علىٰ المشبه به، وذلك في التشبيه المقلوب لإيهام أن المشبه به فيه أتم من المشبه نحو:

وبدا الصباح كأنَّ غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

وعند الاهتمام بالمشبه به كتشبيه الجائع وجهًا كالبدر استدارة وإشراقًا بالرغيف. ويسمىٰ إظهار المطلوب، ثم محل ما تقدم من التشبيه إذا أريد إلحاق ناقص بكامل في وجه الشبه، فإن تساوىٰ الأمران ولو ادعاء فالأحسن العدول إلىٰ المشابهة نحو:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكـــــأنما خمـــــر ولا قـــــدح وكـــــأنما قـــــدح ولا خمـــــر

س: إلى كم قسم ينقسم التشبيه باعتبار أداته؟

ج: ينقسم باعتبار ذلك إلىٰ قسمين: مؤكد ومرسل، **فالمؤكد**: ما حذفت أداته نحو: زيد أسد **والمرسل**: ما ذكرت فيه الأداة نحو: زيد كالأسد، وسمي مرسلًا؛ لإرساله عن التأكيد.

س: إلى كم قسم ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه؟

ج: ينقسم باعتبار ذلك إلىٰ أربعة أقسام:

الأول: تشبيه مفرد بمفرد كتشبيه الخد بالورد، **الثاني**: تشبيه مركب بمركب بأن يكون بكل من الطرفين كيفية حاصلة من عدة أمور قد تضامت حتىٰ صارت شيئًا واحدًا كما في قوله:

كـــأن مثـــار النقـــع فـــوق رءوســـنا وأســـيافنا ليـــل تهـــاوىٰ كواكبـــه

الثالث: تشبيه مفرد بمركب كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن علىٰ رماح مع زبرجد في قوله:

وكـــــأن محمـــــر الـــــشقيـ ـــــق إذا تـــــصوب أو تـــــصعد

أعـــــلام يـــــاقوت نـــــشر ن عـــــلىٰ رمـــــاح مـــــن زبرجـــــد

الرابع: تشبيه مركب بمفرد كما في تشبيه نهار مشمس قد شابه زهر الربىٰ بليل مقمر في قوله:

يـــا صـــاحبيَّ تقـــصيا نظـــريكما تريـــا وجـــوه الأرض كيـــف تـــصور

تريـــا نهـــارًا مشمـــسًا قـــد شـــابه زهـــر الربـــىٰ فكـــأنما هـــو مقمـــر

س: إلى كم قسم ينقسم التشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟

ج: ينقسم باعتبار ذلك إلىٰ **أربعة أقسام**: ملفوف ومفروق وتسوية وجمع.

فالملفوف: هو أن يؤتىٰ أولًا بالمشبهات علىٰ طريق العطف أو غيره، ثم بالمشبه بها كذلك، كقوله في وصف العقاب بكثرة اصطياد الطيور:

كـــأن قلـــوب الطـــير رطبًـــا ويابـــسًا لـــدىٰ وكرهـــا العنـــاب والحـــشف البـــالي

شبه الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس منها بالحشف البالي.

والمفروق: هو أن يؤتىٰ بمشبه ومشبه به ثم آخر كقوله:

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم

وتشبيه التسوية: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقوله:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وتشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كتشبيه الثغر باللؤلؤ المنضد أو البرد أو الأقاح في قوله:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

س: إلىٰ كم قسم ينقسم التشبيه باعتبار أركانه؟

ج: ينقسم باعتبار ذلك **إلىٰ ثلاثة أقسام**: قوي وضعيف ومتوسط.

فالقوي: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه لما فيه من دعوىٰ الاتحاد نحو: زيد بحر أو بحر فقط بعد تقدم ذكره.

والضعيف: ما ذكرت فيه الأركان الأربعة، نحو: زيد كالأسد في الشجاعة أو كالأسد في الشجاعة بعد تقدم ذكره.

والمتوسط: ما ذكر فيه المشبه والمشبه به، والأداة وحدها أو الوجه وحده نحو: زيد أسد في الشجاعة، أو زيد كالأسد، ونحو: كالأسد أو أسد في الشجاعة بعد تقدم ذكره والأول: هو التشبيه البليغ، وأما الأبلغ فهو ما حذفت منه جميع الأركان إلا المشبه أو المشبه به وهو **الاستعارة**.

س: ما تقسيم التشبيه باعتبار وجهه؟

ج: ينقسم باعتبار وجهه إلىٰ: مجمل وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه نحو: زيد بدر، وإلىٰ مفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو: زيد بدر في الحسن. **وينقسم باعتبار وجهه أيضًا إلىٰ**: قريب مبتذل وهو الذي في غاية الظهور نحو: زنجي كالقار والجرة الصغيرة كالكوز في المقدار، وإلىٰ غريب حسن وهو الذي يحتاج إلىٰ دقة نظر وإعمال فكر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل وتشبيه

الصالحين بالحلقة المفرغة التي لا يدرىٰ أين طرفاها فإن الأول يحتاج إلىٰ فكر لما فيه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق حتىٰ يرىٰ الشعاع كأنه يهم أن ينبسط حتىٰ يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع إلىٰ الانقباض، ولما في الثاني من الهيئة الحاصلة من التناسب في الشرف كما أن الحلقة متناسبة الأجزاء في الصورة ونحو:

ونارنجها بين الغصون كأنها شموس عقيق في سماء زبرجد

ونحو:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوىٰ كواكبه

وينقسم باعتبار وجهه أيضًا إلىٰ: تمثيل وغير تمثيل فالتمثيل ما كان وجه الشبه فيه منتزعًا من متعدد نحو: إني أراك تقدم رجْلًا وتؤخر أخرىٰ فإن المشبه هيئة منتزعة من أمور متعددة والمشبه به كذلك، وأما غير التمثيل فهو ما ليس وجهه متعددًا نحو: الصالح في هذا الزمان كالكبريت الأحمر، **وينقسم باعتبار وجهه أيضًا إلىٰ:** مفرد ومركب ومتعدد، وكل منهما[٨] إما حسي وإما عقلي، فالمفرد الحسي: كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي: كالنفع في تشبيه العلم بالحياة، وأما المركب فالحسي منه: كالهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة في قوله:

والبدر في كبد السماء كدرهم ملقىٰ علىٰ ديباجة زرقاء

والعقلي منه: كالهيئة الحاصلة من الالتجاء بالضار إلىٰ ما هو أضر منه طمعًا في الانتفاع به في قوله:

المستجير بعمرٍو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وأما المتعدد فالحسي منه: كاللون والطعم في قوله:

مهفهف وجناته كالخمر لونًا وطعمًا

---

(٨) كذا، ولعل الصواب: «منهم».

والعقلي منه: كالنفع والضرر في قوله:

طلق شديد البأس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

المجاز

س: ما هو المجاز لغة واصطلاحًا؟

ج: **المجاز لغة:** الطريق، **واصطلاحًا:** هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ويتنوع كالحقيقة.

س: ما أنواعه؟

ج: **أنواعه سبعة:** مجاز بالحذف نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يوسف: ٨٢]، وحضر النادي أي: الأهل فيها، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر: ٢٢]؛ أي: أمره[٩] ومجاز بالزيادة نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، ونحو: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾[الأنفال: ١٢]، ونحو: ثم اسم السلام عليكم[١٠]، ويسميان مجازي الإعراب، ومجاز شرعي، ومجاز اصطلاحي، ومجاز عرفي بالعرف العام، ومجاز عقلي، ومجاز لغوي.

س: ما هو المجاز الشرعي؟

ج: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في الشرع كالصلاة إذا استعملها الشرعي في الدعاء، والزكاة إذا استعملها في النظافة، والتيمم إذا استعمله في القصد.

---

(٩) هذا تعطيلٌ لصفة المجيء التي أخبر الله ﷻ بها عن نفسه، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فيجب علينا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته إليه رسوله ﷺ دون تعطيلٍ أو تكييفٍ أو تشبيهٍ أو تمثيلٍ.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٢٧٩/ ط.ابن الجوزي): «وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله يأتي بنفسه هو؛ لأن الله تعالى ذكر ذلك عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا من غيره وأحسن حديثًا، فكلامه مشتمل على أكمل العلم والصدق والبيان والإرادة؛ فالله ﷻ يريد أن يبين لنا الحق وهو أعلم وأصدق وأحسن حديثًا». اهـ

(١٠) لعله يشير إلى بيت لبيد بن ربيعة:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

س: ما هو المجاز الاصطلاحي أو العرفي بالعرف الخاص؟

ج: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في ذلك الاصطلاح كالفاعل إذا استعمله النحوي في من أوجد الفعل والمفعول به إذا استعمله في الميت، والحال إذا استعمله في الصفة التي عليها الإنسان من خير أو شر أو قيام أو قعود.

س: ما هو المجاز العرفي بالعرف العام؟

ج: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في العرف العام كالدابة إذا استعملها في كل ما يدب على وجه الأرض فإنها موضوعة في العرف العام لذوات الأربع، والعقبة إذا استعملها في كل كدية تعترض في الطريق فإنها موضوعة في العرف العام لعقبة أيلة.

س: ما هو المجاز العقلي؟

ج: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة نحو قول الموحد أنبت الربيع البقل وهزم الأمير الجند وهو في قصره وبنى السلطان المدينة.

س: ما هي القرينة؟

ج: هي شيء يصرف الذهن عن إرادة المعنى الحقيقي، **وهي نوعان:** لفظية ومعنوية، **فاللفظية:** هي التي يلفظ بها في التركيب **والمعنوية:** هي التي تفهم من حال المتكلم وأما القرينة المعينة فهي التي تعين المقصود من المجاز.

س: ما هي الملابسة وأنواعها في المجاز العقلي؟

ج: هي كون الفعل يناسب الشيء الذي أسند إليه، وأنواعها خمسة: ملابسة الفعل للفاعل والمفعول والزمان والمكان والسبب، أما ملابسته للفاعل فلكونه واقعًا منه، وللمفعول فلكونه واقعًا عليه، وللزمان والمكان فلكونه واقعًا فيهما.

س: ما مثال ملابسة الفعل للفاعل والمفعول؟

ج: مثال ملابسة الفعل للفاعل: سيل مفعم أي: مملوء، فأسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى

الفاعل وهو ضمير السيل الذي هو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية ومثال ملابسته للمفعول: عيشة راضية ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١]، فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلىٰ ضمير العيشة وهو مفعول مجاز عقلي ملابسته المفعولية وحقيقته عيشة راض صاحبها.

س: ما مثال ملابسة الزمان والمكان والسبب؟

ج: مثال ملابسة الزمان: سافر شهره ودهره، وحقيقته: سافر الرجل في جميع أيامه، ومثال ملابسة المكان جرىٰ النهر وسال الميزاب، وحقيقته: جرىٰ الماء فيهما، ومثال ملابسة السبب: بنىٰ الامير المدينة، وحقيقته: بنىٰ النباءون المدينة بأمر الأمير.

س: ما هو المجاز اللغوي؟

ج: **المجاز اللغوي قسمان**: مفرد ومركب، **فالمفرد**: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الأصلي كالأسد إذا أريد به الرجل الشجاع، **والمركب**: هو اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنىٰ الحقيقي كما تقول: فككت العقدة، مريدًا بها الأمر المشكل وبارك الله فيك ورحمك الله، مريدًا بهما الدعاء.

س: ما هي العلاقة؟

ج: هي المناسبة بين المعنىٰ الحقيقي والمعنىٰ المجازي، ثم إن كانت العلاقة المشابهة فيسمىٰ المجاز استعارة، وإلا فمجاز مرسل.

المجاز المرسل

س: ما هو المجاز المرسل وعلاقاته؟

ج: **المجاز المرسل**: هو ما كانت علاقته غير المشابهة، **وله تسع عشرة علاقة**: السببية والمسببية والكلية والجزئية واللازمية والملزومية والإطلاق والتقييد والعموم والخصوص والحالية والمحلية واعتبار ما كان واعتبار ما يكون والبدلية والمبدلية والآلية والمجاورة والتعلق.

س: ما هي السببية والمسببية وما مثالهما؟

ج: السببية هي كون الشيء مؤثرًا في غيره، والمسببية كون الشيء ناشئًا عن غيره، مثال السببية: رعينا الغيث؛ لأن الغيث سبب في النبات، ومثال المسببية: أمطرت السماء نباتًا، فنباتا مجاز مرسل علاقته المسببية لأن النبات مسبب عن المطر وقرينته لفظية: وهي أمطرت.

س: ما هي الكلية والجزئية وما مثالهما؟

ج: **الكلية**[1]: هي كون الشيء يتضمن شيئًا آخر، **والجزئية**: هي كون الشيء يتضمنه شيء آخر **مثال الكلية**: أدخل أصبعه في أذنه أي: رأس أصبعه فالأصبع مجاز مرسل علاقته الكلية، والقرينة: استحالة إدخال الأصبع في الأذن، **ومثال الجزئية**: أرسلت العين أي: الجاسوس، فالعين مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن العين جزء منه.

س: ما هي اللازمية والملزومية والآلية وما أمثلتها؟

ج: **اللازمية**: هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر، **والملزومية**: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، **والآلية**: هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر إلى شيء آخر، مثال اللازمية: طلع الضوء؛ أي: الشمس فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس، **ومثال الملزومية**: ملأت الشمس المكان؛ أي: الضوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، **ومثال الآلية** ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤]، فلسان بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل علاقته الآلية، لأن اللسان آلة للذكر الحسن.

س: ما هو الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص وأمثلتها؟

ج: **الإطلاق**: هو كون الشيء مجرَّدًا من القيود، **والتقييد**: هو كون الشيء مقيدًا بقيد أو أكثر، **والعموم** هو كون اللفظ شاملًا لكثير، **والخصوص**: هو كون اللفظ خاصًّا بشيء واحد، **مثال الإطلاق**: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[المجادلة: ٣] ؛ أي: عتق رقبة فالرقبة مجاز مرسل علاقته الإطلاق إذ المراد منها: الرقبة المؤمنة وإطلاق الرقبة على جميع الجسم مجاز مرسل علاقته الجزئية، **ومثال التقييد**: ما أغلظ جحفلة زيد! أي: شفته فجحفلة زيد مجاز مرسل علاقته التقييد؛ لأنها مقيدة بشفة الفرس فقط، **ومثال العموم**: رأيت الناس والمراد: إبراهيم، أوأهل مصر والمراد: خليل فالناس مجاز مرسل علاقته العموم ومثله ما بعده، **ومثال الخصوص** رأيت إبراهيم والمراد: الناس ورأيت، مصريًّا والمراد: أهل مصر فإبراهيم ومصريًّا مجاز مرسل علاقته الخصوص.

س: ما هو اعتبار ما كان وما يكون والحالية والمحلية وأمثلتها؟

ج: **اعتبار ما كان هو**: النظر للماضي، **واعتبار ما يكون هو**: النظر للمستقبل، **والحالية هي**: كون الشيء حالًا في غيره، **والمحلية**: هي كون الشيء يحل فيه غيره، **مثال اعتبار ما كان**: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[النساء: ٢] ، أي: الذين كانوا يتامىٰ ثم بلغوا، فاليتامىٰ مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، **ومثال اعتبار ما يكون**: طحنت خبزًا؛ أي: حبًّا يئول أمره إلىٰ أن يكون كذلك فخبزًا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، **ومثال الحالية**: هو خالد في رحمة الله؛ أي: الجنة التي تحل فيها الرحمة فرحمة مجاز مرسل علاقته الحالية، **ومثال المحلية**: جرىٰ الميزاب؛ أي: الماء، فالميزاب مجاز مرسل علاقته المحلية.

س: ما هي البدلية والمبدلية والمجاورة والتعلق وأمثلتها؟

ج: **البدلية**: هي كون الشيء بدلًا عن شيء آخر، **والمبدلية**: هي كون الشيء مبدلًا منه شيء آخر، **والمجاورة**: هي كون الشيء مجاورًا لشيء آخر، **والتعلق**: هو كون الشيء متعلقًا بشيء آخر تعلقًا خصوصيًّا؛ أي: تعلق اشتقاق، **مثال البدلية**: قضيت الدين بمعنىٰ: أديته فقضيت مجاز مرسل علاقته البدلية، **ومثال المبدلية**: أكلت دم زيد؛ أي: ديته فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية؛ لأن الدم مبدل عنه

الدية، ومثال المجاورة أحمد نظيف القميص؛ أي: البدن فالقميص مجاز مرسل علاقته المجاورة، ومثال التعلق، هذا ضرب زيد؛ أي: مضروبه فضرب مجاز مرسل علاقته التعلق؛ لأن الضرب مصدر والمضروب مشتق منه.

الاستعارة

س: ما هي الاستعارة؟ وعلى أي شيء تبنى؟

ج: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة وهي مبنية على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه عين المشبه به أو فرد من أفراده، وهي تنقسم إلى قسمين باعتبار ذكر المشبه أو المشبه به، فإن ذكر المشبه به فتصريحية نحو: رأيت بحرًا يعطي، وإن ذكر المشبه وشيء من لوازم المشبه به فمكنية نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان، وكل منهما تنقسم إلى أقسام.

س: ما أقسام الاستعارة التصريحية؟

ج: تنقسم إلى ثمانية أقسام: أصلية وتبعية ومرشحة ومجردة ومطلقة وعنادية ووفاقية وتمثيلية.

س: ما هي الاستعارة الأصلية؟

ج: هي ما كان اللفظ المستعار فيها جامدًا نحو: رأيت شمسًا على فرس؛ أي: رجلًا جميلًا، وشاهدت قتل زيد أمس، وأكلت معه اليوم أي: ضربه ضربًا شديدًا، وأخرج لهم عجلًا جسدًا أي: صورة تشبه العجل ونظرت أسدًا في الحمام؛ أي: رجلًا شجاعًا، ورأيت نهرًا على جمل؛ أي: رجلًا كريمًا.

س: كيف تقرير الاستعارة في الأمثلة المذكورة؟

ج: في الأول شبهنا الرجل الجميل بالكوكب المضيء نهارًا بجامع الإضاءة في كل واستعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ فالرجل هو المشبه والشمس هي المشبه به والإضاءة هي الجامع بينهما وهي العلاقة والقرينة المانعة من إرادة الشمس الحقيقية لفظية وهي قولنا على فرس لأن الذي يركب هو الرجل لا الشمس، وفي الثاني شبهنا

الضرب الشديد بإزهاق الروح بجامع الألم في كل واستعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية سميت مصرحة للتصريح فيها بلفظ المشبه به وهو القتل وسميت أصلية؛ لجريانها في لفظٍ جامد وهو القتل والقرينة المانعة من إرادته لفظية وهي أكلت معه اليوم، وفي الثالث شبهنا الصورة المتخذة من حلي آل فرعون بولد البقرة بجامع المشابهة في كل منهما واستعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي حالية وهي صنع موسى السامري لتلك الصورة، وكانت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به وهو العجل؛ وأصلية لأن لفظ العجل جامد.

س: ما هي الاستعارة التبعية؟

ج: هي ما كان اللفظ المستعار فيها مشتقًّا أو حرفًا وسميت تبعية؛ لأن جريانها في المشتقات والحروف تابع لجريانها أولًا في الجوامد وفي كليات معاني الحروف نحو: قتل زيد خالدًا وتصالحا بعد ذلك ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وجلست على الشمس، و﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، وحالك ناطق بنجابتك.

س: كيف تجري الاستعارة في الأمثلة المذكورة؟

ج: **في الأول:** شبهنا الضرب الشديد بإزهاق الروح بجامع حصول الألم في كل واستعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتققنا من القتل الذي بمعنى الضرب قتل بمعنى: ضرب ضربًا شديدًا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية وهي وتصالحا بعد ذلك، وإنما كانت مصرحة للتصريح فيها بلفظ المشبه به وهو القتل، وكانت تبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

وفي الثاني: شبهنا إزالة الضوء وإذهابه بكشط الجلد عن الشاة مثلًا بجامع ظهور شيء كان مستورًا في كل منهما وهو ظهور الظلمة بعد ذهاب الضوء وظهور اللحم بعد ذهاب الجلد واستعرنا اللفظ الدال على المشبه به وهو السلخ للمشبه واشتققنا منه نسلخ بمعنى نزيل على طريق الاستعارة المصرحة التبعية والقرينة المانعة لفظية وهي ذكر الليل والنهار؛ لأن الليل ليس له جلد يسلخ،

وكانت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به وهو السلخ؛ وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

وفي الثالث: شبهنا الاستعلاء المطلقة بالظرفية المطلقة بجامع شدة التمكن في كل فسرىٰ التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعرنا لفظ «في» من جزءٍ من جزئيات المشبه به وهو الظرفية المطلقة للفظة « علىٰ » التي هي جزءٍ من جزئيات المشبه وهو: الاستعلاء المطلق علىٰ طريق الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة المانعة من إرادة الظرفية معنوية وهي كون التصليب لا يكون في الجذوع، وإنما يكون عليها؛ وسميت تصريحية لأنه صرح فيها بلفظ المشبه به وهو « في »، وتبعية لأنها جرت في معنىٰ الحرف الجزئي بعد جريانها في الكلي وقس عليه.

س: ما هي المرشحة والمجردة والمطلقة؟

ج: **المرشحة:** ما قرنت بشيء يناسب المشبه به بعد ذكر قرينتها، **والمجردة:** ما قرنت بشيء يناسب المشبه، **والمطلقة:** ما لم تقترن بشيء أو قرنت بما يلائمها **مثال المرشحة:** له لبد من قولك: رأيت أسدًا في الحمام له لبد فإنه يلائم المشبه به الذي هو الأسد فيسمىٰ ترشيحًا وقولك: عاينت بحرًا علىٰ جمل تتلاطم أمواجه فتلاطم الأمواج ترشيح؛ لأنه يناسب المشبه به الذي هو البحر، **ومثال المجردة:** رأيت بحرًا علىٰ جمل يعطىٰ، فيعطىٰ تجريد لأنه يناسب المشبه الذي هو الرجل الكريم وقولك: رأيت أسدًا في الحمام له سيف ف«سيف»؛ تجريد لأنه يناسب المشبه الذي هو الرجل الشجاع، **ومثال المطلقة:** شاهدت بحرًا في البيت عميقًا يعطي لأنها قرنت بما لا يلائم كلًّا من المشبه والمشبه به لأن «يعطي» يناسب المشبه الذي هو الرجل الكريم، وعميقًا يناسب المشبه به وهو البحر، وقولك: رأيت بحرًا في البيت؛ لأنها لم تقترن بشيء يناسب المشبه ولا المشبه به، والترشيح أبلغ من الإطلاق، والإطلاق أبلغ من التجريد.

س: ما هي العنادية والوفاقية؟

ج: **العنادية هي:** التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء وتسمىٰ تهكمية، وتمليحية كالأسد والرجل، ومنها ما يستعمل في ضده نحو: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[التوبة: ٣]، وكما يقال

في حق البخيل: رأيت بحرًا يعطي وفي حق البليد: رأيت نهرًا يعلم، وفي حق الجبان: رأيت سبعًا يغسل رأسه. **والوفاقية:** هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء نحو: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]، لأن المستعار له الهدىٰ والمستعار منه النور وهما طرفان يمكن اجتماعهما في شيء واحد وكما في تشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت.

س: ما هي الاستعارة التمثيلية؟

ج: هي ما كان فيها كل من المشبه والمشبه به مركبًا وكان وجه الشبه منتزعًا من عدة أمور وإذا اشتهرت سميت مثلًا فالأمثال أصلها استعارة تمثيلية واشتهرت نحو قولك لمن يتردد في أمر بين أن يفعله وأن لا يفعله: إني أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرىٰ، وقولك لمن يتهاون في أمر حتىٰ يفوته: في الصيف ضيعت اللبن، وقولك لمن يتحيل علىٰ تحصيل غرض خفي وهو مستتر تحت أمر ظاهري: لأمر ما جدع قصير أنفه، وقولك لمن يريد أن يعمل عملًا وحده وهو عاجز عنه: اليد لا تصفق وحدها.

س: كيف تجري الاستعارة في الأمثلة المذكورة؟

ج: **في الأول:** شبهنا هيئة الرجل المتحير في أمر بين أن يفعله وأن لا يفعله بهيئة إنسان يتردد في الإقدام والإحجام فيقدم رجله إلىٰ الأمام ثم يؤخرها إلىٰ الخلف بجامع الحيرة في كلًا واستعرنا اللفظ الدال علىٰ هيئة المشبه به للمشبه علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية، **وفي الثاني:** شبهنا حال إنسان تهاون في أمر حتىٰ فاته وأراد طلبه بعد ذلك بحال المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن وعادت إليه بعد ذلك تطلب اللبن منه بجامع الإهمال والطلب بعد الفوات في كلا واستعرنا اللفظ الدال علىٰ هيئة المشبه به للمشبه علىٰ طريق الاستعارة التمثيلية، **وفي الثالث:** شبهنا هيئة الرجل المستتر تحت أمر ظاهري ليتحصل علىٰ أمر يريده بهيئة الرجل المسمىٰ قصيرًا حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزباء بجامع الاحتيال في كلا واستعرنا اللفظ الدال علىٰ هيئة المشبه به للمشبه علىٰ طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية.

س: ما هي الاستعارة المكنية؟

ج: هي ما ذكر فيها لفظ المشبه وشيء من لوازم المشبه به؛ وسميت مكنية لخفاء المشبه به فيها وقرينتها تسمىٰ استعارة تخييلية؛ لأنها إثبات لازم المشبه به للمشبه فهي لا تفارقها نحو لسان حالي يشكرك وعيون العناية لحظتك وأنشبت المنية أظفارها بفلان؛ أي: مات وشم زيد رائحة العلم.

س: كيف تجري الاستعارة في الأمثلة المذكورة؟

ج: **في الأول**: شبهنا الحال بإنسان ذي نطق تشبيهًا مضمرًا في النفس واستعرنا الإنسان للحال ثم حذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو اللسان علىٰ طريق الاستعارة بالكناية وإثبات اللسان للحال استعارة تخييلية، **وفي الثاني**: شبهنا العناية بإنسان واستعرنا الإنسان للعناية وحذفناه ورمزنا له بالعيون وإثبات العيون للعناية تخييل واللحظ ترشيح، **وفي الثالث**: شبهنا المنية بالسبع واستعرناه للمنية وحذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو الأظفار وإثبات الأظفار للمنية تخييل، **وفي الرابع**: شبهنا العلم بنحو المسك واستعرناه للعلم وحذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو الرائحة وإثبات الرائحة للعلم تخييل والشم ترشيح؛ لأنه يلائم المشبه به الذي هو نحو المسك.

س: ما أقسام الاستعارة المكنية؟

ج: **أقسامها ثمانية**: أصلية وتبعية وتمثيلية ومرشحة ومجردة ومطلقة وعنادية ووفاقية، **فالأصلية نحو**: أنشبت المنية أظفارها بفلان، **والتبعية** نحو: أعجبني إراقة الضارب دم زيد، **والتمثيلية** نحو: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[الزمر: ١٩]، **والمرشحة** نحو: نطق لسان الحال بكذا، **والمجردة** نحو: نطقت الحال الواضحة بكذا، **والمطلقة** نحو: نطقت الحال بكذا، **والعنادية** نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان؛ لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، **والوفاقية** نحو: نطقت الحال؛ لأنه يمكن اجتماع الحال مع الإنسان.

س: كيف تجري الاستعارة في الأمثلة المذكورة؟

ج: **في الأول**: شبهنا المنية بالسبع واستعير اسم السبع لها ثم حذف ورمز له بشيء من

لوازمه وهو الأظفار، **وفي الثاني**: شبهنا الضرب بمعنىٰ القتل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق منه قاتل ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه، وهو إراقة الدم، **وفي الثالث**: شبهنا هيئة من حق عليه كلمة العذاب بهيئة من استحق دخول النار ودخلها بجامع الأسف والندم في كلا واستعير اللفظ الدال علىٰ المشبه به للمشبه ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإنقاذ من النار، **وفي الرابع**: شبهنا الحال بمعنىٰ الإنسان واستعير لها الإنسان وحذف ورمز له بشيء من لوازمه، وهو اللسان والنطق ترشيح لأن اللسان أشد ارتباطًا به، **وفي الخامس**: شبهنا الحال بمعنىٰ الإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو النطق، والوضوح تجريد لأنه يلائم الحال. **وفي السادس**: شبهنا الحال بمعنىٰ الإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو النطق وهي مطلقة لأنها لم تقترن بشيء يلائم المشبه، ولا المشبه به، وأما الباقيان فمعلومان.

الكناية

س: ما هي الكناية؟ وما الفرق بينها وبين المجاز؟

ج: الكناية لفظ أريد به لازم معناه، والفرق بينها وبين المجاز أن المجاز لا يصح معه إرادة المعنىٰ الحقيقي، والكناية يصح معها إرادته، وهي **ثلاثة أنواع**: كناية يراد بها صفة. وكناية يراد بها نسبة، وكناية يراد بها غير ذلك.

س: ما مثال الكناية التي يراد بها صفة؟

ج: مثالها: زيد طويل النجاد كناية عن طول قامته، وكثير الرماد كناية عن كرمه، لأن كثرة الرماد تدل علىٰ كثرة الإحراق، وكثرة الإحراق تدل علىٰ كثرة الخبز والطبخ، وكثرة الخبز والطبخ تدل علىٰ كثرة الأكلة، وكثرة الأكلة تدل علىٰ الكرم، وهو صفة، ونحو قول امرأة لبعض الأمراء: أشكو إليك قلة الفار، وذلك لأن قلته تستلزم عدم ما يأكله، وهو يستلزم عدم ما تشتريه به، وهو يستلزم الفقر.

س: ما مثال الكناية التي يراد بها نسبة؟

ج: مثالها:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإن جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له، ونحو: المجد بين برديه والكرم بين ثوبيه كناية عن ثبوتهما له ونحو: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف: ٨٤] كناية عن ثبوت العمى له، ونحو: خيرالناس من نفع الناس، كناية عن نفي الخير عمن لا يهتم بشأن إخوانه.

س: ما مثال الكناية التي يراد بها غير ذلك؟

ج: مثالها:

الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين مجامع الأضغان

كنى بمجامع الأضغان عن القلوب وهي ليست صفة ولا نسبة، ونحو: جاءني حي مستوي القامة عريض الأظفار كناية عن الإنسان، وتنقسم تقسيمًا آخر غير هذا: تعريض وتلويح ورمز وإيماء.

س: ما هو التعريض؟

ج: هو أن يعرض بالكناية لشيء يفهم عند سماعها كقولك لمن تعرض له بدناءة الأصل: أنا لست ابن خباز ولا إسكاف ولمن تعرض له بالكسل: لقد حفظت درسي، ونحو «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١١] كناية عرض فيها بنفي صفة الإسلام على المؤذي، ونحو: أنا أعتقد وجود الله تعريضًا لمن لا يعتقد ذلك بأنه كافر.

س: ما هو التلويح؟

ج: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض ككثير الرماد السابق.

---

(١١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام...، برقم (٤١)، وغيره من حديث جابر رضي الله عنه.

س: ما هو الرمز؟

ج: هو الذي قلت وسائطه مع خفاء اللزوم بلا تعريض نحو: زيد عريض القفا أو عريض الوسادة كناية عن بلادته، ونحو: مكتنز اللحم كناية عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء كناية عن ذكائه.

س: ما هو الإيماء أو الإشارة؟

ج: هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض نحو:

أو مـــا رأيـــت المجـــد ألقـــىٰ رحلـــه في آل طلحـــــة ثـــــم لم يتحـــــول

كناية عن كونهم أمجادًا، والله أعلم بالصواب.

الفن الثالث: علم البديع

س: ما هو البديع؟

ج: هو علم يعرف به الوجوه التي تزيد الكلام حسنًا وطلاوة بعد تحقق حسنه الذاتي بالبلاغة، وأول من اخترعه عبد الله بن المعتز العباسي سنة مائتين وأربع وسبعين عربية، والمحسنات إما معنوية؛ أي: يقصد بها تحسين المعنىٰ، وإما لفظية؛ أي: يقصد بها تحسين اللفظ.

س: ما هي المعنوية؟

ج: هي التورية والاستخدام واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم وحسن التعليل وتأكيد المدح أو الذم بما يشبه الآخر والإدماج والتوجيه وتجاهل العارف والقول بالموجب والمبالغة المقبولة ومراعاة النظير والعكس والمشاكلة والمطابقة والأرصاد والتجريد والمذهب الكلامي ونفي الشيء بالإجابة وبراعة المطلب والتفريع والاستتباع.

س: ما هي التورية؟

ج: هي أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد اعتمادًا علىٰ القرينة كقول شخص يشكو شدة البرد في غير أوانه، وإن الشمس لم تفرق بين برجي الجدي والحمل فنزلت بالأول في أوان الثاني:

أو الغزالة من طول المدىٰ خرفت ... فما تفرق بين الجدي والحمل

وتنقسم أربعة أقسام: مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة، **فالمجردة:** هي التي لم تقترن بما يلائمها كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: هذه أختي، أراد أخوة الدين، ومنها أو الغزالة ... إلخ. **والمرشحة:** هي التي قرنت بما يلائم المعنىٰ القريب سميت بذلك لتقويتها به؛ لأن القريب غير مراد فكأنه ضعيف فإذا ذكر لازمه تقوىٰ به نحو: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فإنه يحتمل الجارحة وهو القريب، وقد ذكر من لوازمه البنيان علىٰ جهة الترشيح، ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها، **وأما المبنية:** فهي ما ذكر فيها لازم البعيد

سميت بذلك لتبيين المورىٰ عنه بذكر لازمه إذ كان قبل ذلك خفيًا فلما ذكر لازمه تبين نحو:

يـــا مـــن رآني بـــالهموم مطوقًـــا وظللـت مـن فقـدي غـصونًا في شـجون

أتلـــومني في عظـــم نـــوحي والبكـــا شـــأن المطـــوق أن ينـــوح عـــلىٰ غـــصون

وهي أيضًا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد، وأما المهيئة فما لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أوبعدها فهي قسمان أيضًا، فالأول نحو:

وأظهـــرت فينـــا مـــن ســـماتك ســـنة فـــأظهرت ذاك الفـرض مـن ذلـك النـدب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان، والبعيد الفرض معناه العطاء، والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان، والثاني: وهو ما تتهيأ بلفظ بعد كقول الإمام علي رضي الله تعالىٰ عنه في الأشعث بن قيس: إنه كان يحرك الشمال باليمين، فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة ولولا ذكر اليمين بعده ما فهم منه السامع معنىٰ اليد الذي به التورية، ومن المجردة:

حملنـــاهم طـــرًّا عـــلىٰ الـــدهم بعـــد مـــا خلعنـــا علـــيهم بالطعـــان ملابـــسًا

فإن الدهم له معنيان: قريب وهو الخيل الدهم وليس مرادًا، وبعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد، ومن المرشحة، قاتلوهم حتىٰ يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون[١٢]؛ فإن المراد من اليد الذلة، وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنىٰ القريب وهو العضو وتسمىٰ التورية بالإيهام أيضًا:

س: ما هو الاستخدام؟

ج: هو ذكر اللفظ بمعنىٰ وإعادة الضمير عليه بمعنىٰ آخر نحو: شربت من العين وتصدقت منها بدينار، أريد بالعين الجارية وبضميرها الذهب ونحو:

---

(١٢) ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

فسقىٰ الغضا والساكنيه وإن هموا شبوه بين جوانحي وضلوعي

أراد بالغضا الشجر، وبضميره الجمر الموقد، ونحو:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابًا

أراد بالسماء المطر، وبضميره النبات، ونحو: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإن المراد بالشهر: الهلال، وبضميره الزمان المعلوم.

س: ما هو اللف والنشر؟

ج: هو ذكر متعدد ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين اعتمادًا علىٰ القرينة فالأول: لف والثاني: نشر، فإن كان النشر علىٰ ترتيب اللف فمرتب نحو: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، وإن كان علىٰ عكسه فمعكوس نحو: فلان شمس وأسد وبحر جودًا وشجاعة وبهاء، ومنه: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢]، فإن ابتغاء الفضل في النهار وعلم الحساب بالأول، وإلا فمشوش نحو:

ولحظه ومحياه وقامته بدر الدجا وقضيب البان والراح

س: ما هو الجمع؟

ج: هو المقارنة بين متعدد في حكم نحو: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، والعلم والأدب شرف الإنسان.

س: ما هو التفريق؟

ج: هو الفصل بين شيئين في المدح وغيره نحو:

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

ونحو: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

س: ما هو التقسيم؟

ج: هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه من التعيين كما يقال: لا ينجح إلا متأدب ومتعلم، هذا باجتهاده، وذاك بحسن سيره، الإشارة الأولىٰ للثاني والثانية للأول بقرينة القرب والبعد ونحو: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[الحاقة: ٤-٦] ، ونحو:

ولا يقيم علىٰ ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا علىٰ الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثىٰ له أحد

س: ما هو حسن التعليل؟

ج: هو أن يدعىٰ لوصف علة غير حقيقية نحو:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق

جعل علة شد الجوزاء النطاق قصدها خدمة الممدوح وهو خلاف الواقع ونحو:

وما اخضر ذاك الخال نبتًا وإنما ... لكثرة ما شقت عليه المرائر

ونحو:

أمر بالحجر القاسي فألثمه ... لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

ونحو:

وشكيتي فقد السقام لأنه ... قد كان لما كان لي أعضاء

س: ما هو تأكيد المدح أو الذم بما يشبه الآخر؟

ج: تأكيد المدح بما يشبه الذم هو أن يستثني صفة مدح من صفة ذم منفية بتقدير دخول الأولىٰ في الثانية نحو:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي: إن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبًا فلا عيب فيهم غيره، ومن المعلوم أنه

ليس بعيب، أو من صفة مدح مثبتة نحو «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش»[١٣]، وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح فهو أن يستثنىٰ صفة ذم من صفة مدح منفية نحو: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلىٰ من أحسن إليه، أو من صفة ذم أخرىٰ مثبتة نحو: فلان فاسق إلا أنه جاهل.

س: ما هو الإدماج؟

ج: هو أن يضمن كلام سيق لمعنىٰ معنىٰ آخر لم يصرح به نحو:

أقلب فيه أجفاني كأني ... أعد بها علىٰ الدهر الذنوبا

ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر، ونحو: الليل طويل ولا ينامه إلا كل خال من الهموم، ونحو: الليل قصير علىٰ المسامرين، والنهار طويل علىٰ المسافرين.

س: ما هو التوجيه؟

ج: هو إيراد الكلام محتملًا لوجهين متضادين علىٰ السواء كقول بعضهم في شخص فاقد إحدىٰ عينيه:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء

قلت شعرًا ليس يدري ... أمديح أم هجاء

ونحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ويسمىٰ التوجيه أيضًا بالإبهام.

س: ما هو تجاهل العارف؟

ج: هو أن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلة به لأجل المبالغة في المدح ونحوه كما تقول لصاحبك إذا أتاك: أنور بدر سطع أم ضوء شمس لمع ونحو: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]؟ ونحو: أصعب هذا، أم أنتم لا تفهمون؟.

---

(١٣) أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده. ذكره العجلوني في: «كشف الخفاء» (١/ ٢٠١).

س: ما هو القول بالموجب: أي بما اقتضاه الدليل؟

ج: هو إما بأن تثبت صفة جعلها المتكلم لشيء لغيره نحو: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ أي: صحيح ذلك، ولكن هم الأذل والله ورسوله الأعز، وقد أخرجوا منها، وكما تقول لمن قال لك: الامتحان يُظهر النجيب من البليد: أنا النجيب جعل المتكلم النجابة لنفسه فنفيتها عنه وأثبتها لنفسك، ونحو:

وقالوا قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادي

وقالوا قد سعينا كل سعي ... لقد صدقوا ولكن في فسادي

وإما بأن تحمل لفظه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالإرادة كقول القبعثري للحجاج لما توعده بالسجن بقوله: لأحملنك على الأدهم: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال له: إنما أردت الحديد، فقال: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا، ونحو:

قلت ثقلت إذا أتيت مرارًا ... قال ثقلت كاهلي بالأيادي

س: ما هي المبالغة؟

ج: هي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدًّا يستحيل أو يبعد فإن كان المدعى ممكنًا عقلًا وعادة فتبليغ،أوعقلًا لا عادة فإغراق، أو مستحيلًا عقلًا وعادة فغلو، والأولان مقبولان، مثال أولهما: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، ونحو قول واصف فرس:

وعادية إلى الغارات ضبحًا ... تريك بقدح حافرها التهابا

كأن الصبح ألبسها حجولًا ... وجنح الليل قمصها إهابا

جواد في الجبال تخال وعلًا ... وفي الفلوات تحسبها عقابا

إذا ما سابقتها الريح فرت ... وألقت في يد الريح الترابا

ومثال ثانيهما قول المتنبي:

روح تـــردد في مثـــل الخـــلال إذا ... أطـارت الـريح عنهـا الثـوب لم تـبن

كفـىٰ بجـسمي نحـولًا أنـني رجـل ... لـــولا مخـــاطبتي إيـــاك لم تـــرني

إذا يجوز عقلًا وصول الشخص في النحول إلىٰ هذه الغاية وإن امتنع عادة، ونحو: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧] ، وأما الغلو فمنه مقبول ومنه مردود، فالمقبول ثلاثة أنواع: أحدها ما اقترن به ما يقربه إلىٰ الصحة ككاد نحو: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور: ٣٥] ، ونحو: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ، ونحو:

تكـــاد قـــسيهم مـــن غـــير رامٍ ... تمكـــن في قلـــوبهم النبـــالا

ثانيهما: ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبي:

عقـــدت ســـنابكها عليهـــا عثـــيرًا ... لـــو تبتغـــي عنقـــا عليـــه لأمكنـــا

وقول المعري:

يـــذيب الرعـــب منـــه كـــل عـــضب ... فلـــولا الغمـــد يمـــسكه لـــسالا

ثالثها: ما أخرج مخرج الخلاعة كقول النظام:

توهمـــه طـــرفي فـــآلم طرفـــه ... فـصار مكـان الـوهم في خـده أثـر

ومـــر بفكـــري خـــاطرًا فجرحتـــه ... ولم أر خلقًـــا قـــط يجرحـــه الفكـــر

ونحو:

أنبئـــت أن فتـــاة كنـــت أخطبهـــا ... عرقوبهـا مثـل شـهر الـصوم في الطـول

ونحو:

لـــك أنـــف يـــا بـــن حـــرب ... أنفـــت منـــه الأنـــوف

أنـــت في القـــدس تـــصلي ... وهـــو في البيـــت يطـــوف

س: ما هي مراعاة النظير المسماة بالتناسب والتوفيق؟

ج: هي جمع المتناسبات نحو: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦] والبدر والثريا سائران، والنجم وسهيل مقترنان.

س: ما هو العكس؟

ج: هو تأخير جزء في الكلام بعد تقديمه نحو: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١] ونحو: عادات السادات سادات العادات، ونحو: أوامر الملوك ملوك الأوامر.

س: ماهي المشاكلة؟

ج: هي ذكر معنىٰ بلفظ معنىٰ آخر لوقوعه في صحبته كقوله:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصًا

ونحو: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ونحو: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

س: ما هي المطابقة المسماة بالطباق والتضاد؟

ج: هي الجمع بين معنيين متنافيين، ويكون باسمين نحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] وفعلين نحو: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] و﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وحرفين نحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ومختلفين نحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] ويسمىٰ ذلك طباق الإيجاب، ويكون بين مثبت ومنفي ويسمىٰ طباق السلب نحو: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦- ٧] و﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨] ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، ومن المطابقة التدبيج وهو ذكر ألوان لقصد الكناية أو التورية نحو:

تردىٰ ثياب الموت حمرًا فما أتىٰ ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

ونحو: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[البقرة: ١٨٧]، ومنها المقابلة وهي الجمع بين متوافقين فأكثر ثم ما يقابلهما نحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]، ونحو:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

س: ما هو الإرصاد المسمى بالتسهيم؟

ج: هو أن يجعل المتكلم قبل آخر السجعة أو البيت ما يفهمها عند معرفة الروي نحو:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ونحو: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[التوبة: ٧٠]، ونحو: فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب(١٤).

س: ما هو التجريد؟

ج: هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله فيها لأجل المبالغة في كمالها في المنتزع منه حتىٰ كأن الصفة صارت أصلًا يمكن أن ينتزع منها موصوف آخر مثلها في هذه الصفة نحو:

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد(١٥)

انتزع من نفسه شخصًا آخر مثله في تطاول الليل عليه وخاطبه بذلك.

س: ما هو المذهب الكلامي؟

ج: هو أن يورد للمطلوب حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[الحج: ٥].

س: ما هو نفي الشيء بإيجابه؟

ج: هو أن يفنىٰ تعلق أمر عن أمر فيتوهم ثبوته، والمراد نفيه نحو: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن

(١٤) لعل المؤلف يقصد قوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق:٣٩].

(١٥) البيت لامرئ القيس.

ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٣٧]، فإن نفي إلهاء التجارة عنهم يوهم ثبوتها لهم والمراد: نفيها أيضًا، ونحو: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣]، نفي الإلحاف والمراد: نفي السؤال من أصله، ونحو: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: ١٨]، نفي طاعة الشفعاء، والمراد: نفي الشفيع مطلقًا.

س: ما هي براعة الطلب؟

ج: هي أن يشير الطالب إلى ما في نفسه تلويحًا نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[هود: ٤٥]، إشارة إلى طلب النجاة لابنه.

س: ما هو التفريع؟

ج: هو أن يثبت حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر كقوله:

فاضت يداه بالنضار كما ... فاضت ظباه في الوغى بدمي

س: ما هو الاستتباع؟

ج: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحًا أو غيره فالمدح نحو:

ألا أيها المال الذي قد أباده ... تسل فهذا فعله بالكتائب

والذم كقوله:

أترى القاضي أعمى ... أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن ... عيد أموال اليتامى

س: ما هي المحسنات اللفظية؟

ج: منها الجناس ورد العجز على الصدر والسجع والقلب والتوشيح ولزوم ما لا يلزم والانسجام.

س: ما هو الجناس؟

ج: هو ما اتفق لفظاه في أربعة أمور: نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها وهو قسمان متماثل ومستوفي.

س: ما هو المتماثل؟

ج: هو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين نحو: أصلحت ساعة في ساعة أو فعلين نحو: ضربت في الأرض وضربت عمرًا أو حرفين نحو: إذا مررت بعمرو فسل به البحر.

س: ما هو المستوفى؟

ج: هو ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم وفعل نحو:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيىٰ لدىٰ يحيىٰ بن عبد الله

أو فعل وحرف نحو: علا فلان علىٰ الفرس، أو اسم وحرف نحو: فلان سافر من منذ شهر وحضر منذ يومين فإن الأولىٰ: اسم، والثانية: حرف، وقد يكون كلا المتشابهين مركبًا أو أحدهما فيسمىٰ جناس التركيب فالأول نحو:

إلىٰ حتفي سعىٰ قدمي ... أرىٰ قدمي أراق دمي

والثاني كقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هبه ... فدعه فدولته ذاهبه

ثم إن اتفق اللفظان في الخط سمي متشابهًا نحو: إذا ملك ... إلخ، نحو:

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

وأما إذا لم يتفقا فيه فيسمىٰ مفروقًا نحو: الشرط أملك عليك أم لك، ونحو:

كلكم قد أخذ الجا ... م ولا جام لنا

ما الذي ضر مدير الـ ... ـجام لو جاملنا

س: ما هو الجناس غير التام؟

ج: ما اختلف اللفظان فيه في واحد من الأربعة المتقدمة فإن كان الاختلاف في الهيئة سمي: محرفًا نحو: جبة البرد جنة البرد، والجاهل إما مفرط وإما مفرط لعدهم المشدد حرفًا واحدًا، وإن كان الاختلاف في العدد سمي ناقصًا إما بحرف، وهو إما في الأول نحو: دوام الحال من المحال،

ونحو: ساق ومساق أو في الوسط نحو: «لم يخلق الله داء إلا وخلق له دواء »[١٦] ونحو: جدي جهدي، أو في الآخر ويسمىٰ: مطرفًا نحو: الهوىٰ مطية الهوان ونحو:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وإما بحرفين ويسمىٰ: مذيلًا نحو:

إن البكاء هو الشفاء ء من الجوىٰ بين الجوانح

ومنه: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه ٩٧]، لأن المجرور فيه زيادة الهاء والكاف، وإن كان الاختلاف في النوع، فإن كان المختلف فيه متقارب المخرج سمي مضارعًا ويكون في الأول نحو: ليل دامس وطريق طامس، وفي الوسط نحو: ينهون وينأون، وفي الآخر نحو «الخيل في نواصيها الخير»[١٧] وإن كان متباعد المخرج سمي لاحقًا، ويكون أيضًا في الأول نحو: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وفي الوسط نحو تفرحون وتمرحون، وفي الآخر نحو: أمر الأمن مقبول، وإن كان الاختلاف في الترتيب سمي تجنيس القلب نحو: فتح وحتف، ويسمىٰ قلب كل ونحو: عورات وروعات ويسمىٰ قلب بعض، ثم إن كان اللفظان في جناس القلب متواليين سمي مزدوجًا نحو: جئتك من حلب ببلح، ومن المدينة بنديمة. وإن كان أحدهما في أول البيت والآخر في آخره سمي مجنحًا نحو:

لاح أنوار الهدىٰ من كفه في كل حال

س: ما هو رد العجز على الصدر؟

ج: هو جعل أحد اللفظين في أول الفقرة والآخر في آخرها نحو: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، ونحو: سالم الناس فأنت سالم، ويكون بين مشتقين نحو: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١٦) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم (٥٦٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزلَ لهُ شِفَاءً».

(١٧) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير...، برقم (٢٨٤٩)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير...، برقم(١٨٧١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣]، أو شبه مشتقين نحو: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، أو جعل أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني أو فيما سبقه نحو:

أملتهم ثم تأملتهم ... فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

ونحو:

دعاني من ملامكما سفاها ... فداعي الشوق قبلكما دعاني

ونحو:

حكت لحاظك ما في الريم من ملح ... يوم اللقاء وكان الفضل للحاكي

ونحو:

ونومي مفقود وصبحي لك البقا ... وسهدي مفقود وشوقي نامي

س: ما هو السجع؟

ج: هو توافق الفاصلتين من النثر أو النظم على حرف واحد وهو **ثلاثة أقسام**: مطرف ومرصع ومتواز.

س: ما هو المطرف؟

ج: هو ما اختلف فاصلتاه في الوزن نحو: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[نوح: ١٣، ١٤]، ونحو: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[النبأ: ٦- ٧]، فإن وزنهما مختلف.

س: ما هو المرصع؟

ج: هو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها وزنًا وتقفية نحو: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، ونحو: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾[المرسلات: ١- ٢]، ونحو: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[الانفطار: ١٣- ١٤]، ونحو: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾[طه: ٢٥- ٢٦]، وأما الأكثر فنحو: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية: ٢٥- ٢٦].

س: ما هو المتوازي؟

ج: هو ما كان الاتفاق فيه في أقل الألفاظ وزنًا وتقفية نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤] ، لاتفاق مرفوعة وموضوعة وهو الأقل ونحو: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[البروج: ٥، ٦] ، ونحو: حصل الناطق والصامت وهلك الحاسد والشامت لاتفاق الأقل أيضًا وهو الصامت والشامت، والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، قيل وأحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[الواقعة: ٢٨-٣٠] ، قيل: ثم ما طالت ثانيته نحو: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[النجم: ١، ٢] ، ونحو: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ٤، ٥] ، أو ثالثته نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة: ٣٠-٣٢] ، ونحو: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[البروج: ٥-٧] ، ومثاله في النظم قوله:

تحلى به رشدي ... وأثرت به يدي

وفاض به ثمدي ... وأثرت به يدي

وقوله:

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتغب في الله مرتقب

وقوله:

نحن في جذل ... والروم في وجل

والبر في شغل ... والبحر في خجل

وقوله:

غرامي أقم، صبري انصرم، دمعي انسجم ... عدوي انتقم، دهري احتكم، حاسدي اشمت

ويقال له التسميط. ومنه ما يعرف بالتشطير، وهو أن يجعل كل شطر من البيت سجعة مخالفة لصاحبتها في الشطر الآخر كقوله:

ألفاظه سور أفعاله غرر ... أقلامه قضب آراؤه شهب

س: ما هو القلب المسمى ما لا يستحيل بالانعكاس أيضًا؟

ج: هو كون الكلام بحيث لو عكست حروفه بأن أخذت الآخر فما قبله وهكذا بدون نظر للشكل كان هو الحاصل بعينه نحو: سور حماه بربها محروس، ونحو: أرانا الإله هلالًا أنارا، ونحو:

مودتـــه تـــدوم لكـــل هـــول وهـــل كـــل مودتـــه تـــدوم

ونحو: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ونحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

س: ما هو التوشيح أو التشريع؟

ج: هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى مع الوقوف على أي واحدة منهما نحو:

يـــا خاطـــب الـــدنيا الدنيـــة إنهـــا شرك الـــردى وقـــرارة الأكـــدار

ونحو:

جـــن الظـــلام فمذبـــدا متبـــسمًا لاح الهـــدى وتجلـــت الظلـــماء

س: ما هو لزوم ما لا يلزم؟

ج: هو أن يؤتى قبل الروي في السجع أو النظم بما ليس بلازم نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩- ١٠]، إذ الهاء غير لازمة، ونحو: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ - ٢]، ونحو:

سأشـــكر عمـــرًا إذا تراخـــت منيتـــي أيـــادي لم تمـــنن وإن هـــي جلـــت

فتـى غـير محجـوب الغنـى عـن صـديقه ولا مظهـر الـشكوى إذا النعـل زلـت

رأى خلتـي مـن حيـث يخفـى مكانهـا فكانـت قـذى عينيـه حتـى تجلـت

إذ اللام غير لازمة.

س: ما هو الانسجام؟

ج: هو سلاسة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبها نحو:

أدركـــوا العلـــم وصـــونوا أهلـــه مـــن جهـــول حـــاد عـــن تبجيلـــه

إنما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله

ونحو:

ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ومن أدبه

هما كمال الفتى فإن فقدا ففقده للحياة أليق به

س: ما هو التغاير؟

ج: هو أن يغاير ما كان عليه بأن يمدح الشيء ثم يذمه أو بالعكس كقول الصفي بعد أن شكا من العذل:

فالله يكلأ عذالي ويلهمهم عذلي فقد فرحوا قلبي بذكرهم

س: ما هو تشابه الأطراف؟

ج: هو أن يؤتى في آخر الكلام بما يناسب أوله في المعنى نحو: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الانعام: ١٠٣] ، فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبير يناسب ما يدرك.

س: ما هي المواربة؟

ج: هو أن يفسد المتكلم مفهوم كلامه بما يبديه من التأويل، وذلك أن يقول قولًا يتضمن ما ينكر عليه فإذا حصل الإنكار استحضر بحذفه وجهًا من الوجوه يتخلص به نحو قول أبي نواس:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده، فقال: لم أقل إلاضاء فاستحسن مواربته وقال بعض الحاضرين هذا شعر قلعت عيناه فأبصر.

س: ما هو الإطراد؟

ج: هوأن يذكر الشاعر اسم الممدوح وأبيه وجده على التوالي بلا تكلف نحو:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

س: ما هو الكلام الجامع؟

ج: هو أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ نحو:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

س: ما هو الاستطراد؟

ج: هو ذكر الشيء في غير محله؛ لمناسبة كأن يكون في فن من الفنون ثم يسنح له فن آخر يناسبه في الذكر فيورده ثم يرجع إلى الأول، وبهذا القيد يخرج التخلص نحو: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢] فعطف ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا؛ لكونه مناسبًا لأصل الكلام وهو البحران المعني بهما المؤمن والكافر.

س: ما هو الافتنان؟

ج: هو أن يتفنن المتكلم فيأتي بفنين أو أكثر في فقرة واحدة أو بيت واحد كالغزل والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء نحو: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٧] فيها هناء وعزاء، ونحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] فيها عزاء وفخر.

س: ما هو إرسال المثل؟

ج: هو أن يأتي المتكلم في بعض كلامه بما يجري مجرى المثل نحو: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا يوم القيامة، ونحو: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»[١٨] ونحو: البلاء موكل بالمنطق، ومنه في الشعر قوله:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

ونحو:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بد

---

(١٨) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، برقم (٦١٣٣)، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، برقم (٢٩٩٨)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س: ما هو ائتلاف اللفظ والمعنى؟

ج: هو أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنىٰ نحو:

تـــألف اللفـــظ والمعنـــىٰ بمدحتـــه والجـسم عنـدي بغـير الـروح لم يقـم

ونحو:

تؤلـــف اللفـــظ والمعنـــىٰ فـــصاحته تبـــارك الله منـــشي الـــدر في الكلـــم

س: ما هو ائتلاف اللفظ مع اللفظ؟

ج: هو أن يكون في الكلام معنىٰ يصح معه هذا النوع ويأخذه عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقوله في الإبل النحيلة:

كالقـــسي المعطفـــات بـــل الأســـ ـــــهم مبريـــــة بـــــل الأوتـــــار

فإن تشبيه الإبل بالقسي كناية عن هزالها فلو شبهها بغيرذلك كالعرجون.

والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الأسهم والأوتار والقسي حسنت التشبيه، ومنه:

خاضـوا عبـاب الـوغىٰ والخيـل سـابحة في بحـر حـربٍ بمـوج المـوت ملـتطم

تتمة في السرقات الشعرية

س: ما هي السرقات الشعرية؟

ج: هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه فإن كان ما أخذه اللفظ والمعنىٰ معًا بلا تغيير ولا تبديل أو بتبديل الألفاظ كلها أو بعضها بمرادفها فمذموم وسرقة محضة كما فعل عبد الله بن الزبير بقول معن بن أوس:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... علىٰ طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وإن كان ما أخذه الجميع مع تغيير النظم أو البعض سمي إغارة ومسخًا، فإن امتاز الثاني بحسن سبك فممدوح نحو:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

مع قول غيره.

من راقب الناس مات همًّا ... وفاز باللذة الجسور

فإن الثاني أعذب وأخصر، وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم أو تساويا فأبعد عن الذم وإن كان ما أخذه المعنىٰ وحده سمي إلمامًا وسلخًا، فإن امتاز الثاني فهو أبلغ نحو:

هو الصنع أن يعجل فخير وإن يرث ... فللريث في بعض المواضع أنفع

مع قوله:

ومن الخير بطء سيبك عني ... أسرع السحب في المسير الجهام

لما في الثاني من زيادة البيان بضرب المثل في السخاء وإن امتاز الأول، فالثاني مذموم، وإن تماثلا فهو أبعد عن الذم كقوله:

ولم يك أكثر الفتيان مالًا ... ولكن كان أرحبهم ذراعًا

مع قوله:

وليس بأوسعهم في الغنىٰ ... ولكن معروفه أوسع

ويتصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور: الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح والابتداء والتخلص والانتهاء.

س: ما هو الاقتباس؟

ج: هو أن يضمن النثر أو النظم شيئًا من القرآن أو الحديث من غير إفادة أنه منهما، فمثاله من القرآن في النثر فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتىٰ أنشد فأغرب.

وفي الشعر نحو:

وثغر تنضد من لؤلؤ ... بألباب أهل الهوىٰ يلعب

إذا ما ادلهمت خطوب النوىٰ ... يكاد سنا برقه يذهب

ونحو:

إن كنت أزمعت علىٰ هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

ومثاله من الحديث في الشعر:

قال لي إن رقيبي ... سيء الخلق فداره

قلت دعني وجهك الـ ... ـجنة حفت بالمكاره

ومنه:

لا تعاد الناس في أوطانهم ... قلما يرعىٰ غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشًا بينهم ... خالق الناس بخلق حسن

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه.

س: ما هو التضمين؟

ج: هو أن يضمن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه إن لم يشتهر. نحو:

علىٰ أني سأنشد عند بيعي ... أضاعوني وأي فتىً أضاعوا

س: ما هو العقد؟

ج: هو أن ينظم النثر مطلقًا لا علىٰ وجه الاقتباس كقوله:

واستعمل الحلم واحذر قول بارئنا سبحانه خلق الإنسان من عجل

ونحو:

ولما بدا صبحي وأشرق نوره تبصرت والإنسان قد يتبصر

س: ما هو الحل؟

ج: هو أن ينثر النظم وإنما يقبل إذا كان جيد السبك كقول من حل قول بعضهم:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

بقوله: لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده.

س: ما هو التلميح؟

ج: هو الإشارة إلىٰ قصة أو شعر أو مثل سائر من غير ذكره فالأول نحو:

فوالله ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

إشارة إلىٰ استيقاف يوشع للشمس، والثاني نحو:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأحفىٰ منك في ساعة الكرب

إشارة إلىٰ قول الآخر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث نحو:

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينة

أظنكم في الوفاء ممن صحبته صحبة السفينة

س: ما هو حسن الابتداء؟

ج: هو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بعبارة واضحة المعنىٰ عذبة اللفظ لتجذب السامع إلىٰ

الإصغاء بكليته ويسمىٰ الابتداء حينئذ براعة مطلع نحو:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلىٰ أعدائك السقم

ويزداد حسنًا إذا دلت علىٰ المقصود بإشارة لطيفة وتسمىٰ براعة استهلال كقول أبي محمد الخازن مهنئًا الصاحب بن عباد بمولود:

بشرىٰ فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

س: ما هو التخلص؟

ج: هو الانتقال مما ابتدأت به القصيدة من غزل أو شكوىٰ إلىٰ المقصود مع رعاية المناسبة بينهما بحيث لا يشعر السامع إلا وقد انتقل منه إلىٰ المقصود نحو:

تقول في قومس قومي وقد أخذت ... منا السرىٰ وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

س: ما هو الانتهاء؟

ج: هو آخر بيت من القصيدة فينبغي أن يكون علىٰ وضع مألوف وسبك معروف مشعرًا بالتمام فتتحقق براعة المقطع بحسن الختام نحو:

وإني جدير إذ بلغتك بالمنىٰ ... وأنت بما أملت فيك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

ونحو:

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

ونحو:

ما أسأل الله إلا أن يدوم لنا ... لا أن تزيد معاليه فقد كملت

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله علىٰ كل حال، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وصحبه والآل.

هذا ولما لاح فجر تمامه، وأشرقت شمس طبعه في سماء كماله، قلت مؤرخًا طبعه الكامل- أي الطبعة الأولى- بشطر من ثلاثة أبيات من الكامل، وهي:

شرك البلاغة قد تحقق صيده ... وتباشرت أهل العقول بنفعه

وغدا بحسن الطبع يدعو أهله ... كي ينصبوا أشراكهم لمصيده

ولسان حال الطبع قال مؤرخًا ... شرك تكامل لطفه من طبعه

الفهرس

دروس البلاغة

مقدمة المؤلفين ٧
مقدمة في الفصاحة والبلاغة ٩
علم المعاني ٢١
الباب الأول: الخبر والإنشاء ٢٣
الكلام على الخبر ٢٦
الغرض من إلقاء الخبر ٢٨
أضرب الخبر ٣٠
الكلام على الإنشاء ٣٣
١- الأمر ٣٥
٢- النهي ٣٨
٣- الاستفهام ٤٠
٤- التمني ٤٩
٥- النداء ٥١
الإنشاء غير الطلبي ٥٣
الباب الثاني: الذكر والحذف ٥٥
الباب الثالث: التقديم والتأخير ٥٩
الباب الرابع: القصر ٦٣
الباب الخامس: الفصل والوصل ٦٧

مواضع الوصل بالواو ٦٩
مواضع الفصل ٧١
الباب السادس: الإيجاز والإطناب والمساواة ٧٦
أقسام الإيجاز ٨١
أقسام الإطناب ٨٣
علم البيان ٩٠
التشبيه ٩٢
المبحث الأول: في أركان التشبيه ٩٤
المبحث الثاني: في أقسام التشبيه ٩٦
المبحث الثالث: في أغراض التشبيه ٩٩
المجاز ١٠٣
الاستعارة ١٠٧
المجاز المرسل ١١٦
المجاز المركب ١٢٠
المجاز العقلي ١٢٢
الكناية ١٢٦
علم البديع ١٣٢
محسنات معنوية ١٣٤
محسنات لفظية ١٤٧
خاتمة ١٥٣
تنبيه ١٥٥

شرك الآمل لصيد شوارد المسائل

مقدمة ١٦٦

الفن الأول: علم المعاني ١٧٠

أحوال الإسناد الخبري ١٧١

أحوال المسند إليه ١٧٣

أحوال المسند ١٧٧

أحوال متعلقات الفعل ١٨٢

القصر ١٨٣

الإنشاء ١٨٥

الفصل والوصل ١٨٩

الإيجاز والإطناب والمساواة ١٩٢

خاتمة في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ١٩٧

تنبيه ٢٠٢

الفن الثاني: علم البيان ٢٠٣

التشبيه ٢٠٤

المجاز ٢٠٩

المجاز المرسل ٢١٢

الاستعارة ٢١٤

الكناية ٢١٩

الفن الثالث: علم البديع ٢٢٢

تتمة في السرقات الشعرية ٢٤٠
الفهرس ٢٤٥